المركز الديمقراطي العربي برلين - ألمانيا

الطب والخدمات الصحية بالعالم الإسلامي عبر العصور

وقائع اعمال المؤتمر الدولي الافتراضي أيام 20-21 ايار - مايو 2023

إشراف وتنسيق:

د.عبد الحفيظ موسو-جامعة سعيدة-الجزائر

د.بودالعة نجادي-جامعة سعيدة -الجزائر

الجزء الثالث

2023

المركز الديمقراطي العربي

الطب والخدمات الصحية بالعالم الإسلامي عبر العصور

المركز الديمقراطي العربي ألمانيا – برلين
&
جامعة اب – اليمن

VR . 3383 – 6812 B

DEMOCRATIC ARABIC CENTER
Germany: Berlin 10315 Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de
TEL: 0049-CODE
030-89005468/030-898999419/030-57348845
MOBILTELEFON: 0049174274278717

كتاب وقائع المؤتمر الدولي العلمي:

الطب والخدمات الصحية بالعالم الإسلامي عبر العصور

Medicine and health services in the Islamic world through the ages

الجزء الثالث

إشراف وتنسيق:

د. موسم عبد الحفيظ-جامعةسعيدة-الجزائر

د.بوداعة نجادي-جامعة سعيدة-الجزائر

النـــاشر

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا/برلين

Democratic Arabic Center

Berlin / Germany

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه

في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved

No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, without the prior written permission of the publisher

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا/برلين

البريد الإلكتروني

book@democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي-برلين-ألمانيا

جامعة إب –اليمن

ينظمون المؤتمر الدولي العلمي الموسوم بـ:

الطب والخدمات الصحية بالعالم الإسلامي عبر العصور

Medicine and health services in the Islamic world through the ages

أيام 20و21آيار، مايو2023

إقامة المؤتمر بواسطة تقنية التّحاضر المرئي عبر تطبيق Zoom

ملاحظة: المشاركة مجانا بدون رسوم

لا يتحمل المركز ورئيس المؤتمر واللجان العلمية والتنظيمية مسؤولية ما ورد في هذا الكتاب من آراء، وهي لا تعبر بالضرورة عن قناعاتهم ويبقى أصحاب المداخلات هم وحدهم من يتحملون كامل المسؤولية القانونية عنها

الرئاسة الشرفية:

- الأستاذ الدكتور طارق أحمد قاسم المنصوب، رئيس جامعة إب، اليمن
- الأستاذ الدكتور فؤاد عبد الرحمن حسان، نائب رئيس جامعة إب اليمن، للدارسات العليا والبحث العلمي.
- الأستاذ عمار شرعان، مدير المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا

رئيس المؤتمر:

د. بوداعة نجادي، جامعة سعيدة، الجزائر

نائب رئيس المؤتمر:

د. حمادوش بولخراص، جامعة تيارت، الجزائر

مدير المؤتمر:

د. فضل قاسم الخضرمي، جامعة إب، اليمن

رئيس الهيئة الاستشارية:

د. موسم عبد الحفيظ، جامعة سعيدة، الجزائر

رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر:

دة. بكوش فافة، جامعة سعيدة، الجزائر

المنسق العام للمؤتمر:

دة. قراوي نادية، جامعة سعيدة، الجزائر

رئيس لجنة المتابعة:

د. مراد يحي الجحافي، جامعة إب، اليمن

التنسيق والنشر:

د ة. حنان طرشان، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا

مدير إدارة النشر:

د. ربيعة تمار، المركز الديمقراطي العربي ، ألمانيا

رئيس اللجنة التحضرية:

د. أحمد بوهكو، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا

رئيس اللجنة التنظيمية:

أ. كريم عايش، المدير الإداري، المركز الديمقراطي العربي (ألمانيا)

أعضاء اللجنة العلمية:

أ.د. بن داود نصر الدين (جامعة تلمسان. الجزائر)	أ.د. مبخوت بودواية (جامعة النعامة. الجزائر)
أ.د. كريم مطرجمزة ألزبيدي (جامعة بابل، العراق)	أ.د. بوباية عبد القادر(جامعة وهران 01. الجزائر)
أ د. جاكرلحسن (جامعة معسكر، الجزائر)	أ.د. مقنونيف شعيب (جامعة تلمسان، الجزائر)
أ.د. بن مصطفى إدريس (جامعة سعيدة. الجزائر)	أ.د. فشارعطاء الله (جامعة الجلفة. الجزائر)
أ.د. داعي محمد (جامعة سعيدة. الجزائر)	أ.د. بوغوفالة وذان (جامعة تيارت. الجزائر)
أ.د. عبد الحق زريوح (جامعة تلمسان، الجزائر)	أ.د. محمد علي دبوز(جامعة عين شمس، مصر)
أ.د يوسف كاظم الشمري (جامعة بابل، العراق)	أ.د. جمال فرفار(جامعة معسكر، الجزائر)
أ.د. بوحسون عبد القادر(جامعة سعيدة. الجزائر)	أ .د. إبراهيم سلامة أبو العلا (جامعة الاسكندرية، مصر)
أ.د صورية بوربابة (جامعة بشار، الجزائر)	أ. د. مكحلي محمد (جامعة سيدي بلعباس، الجزائر)
أ.د. أحمد الجاسم أبو القاسم (جامعة حلب، سوريا)	أ. د. حميد آيت حبوش (جامعة وهران 01، الجزائر)
أ. د. مرزوقي بدرالدين (جامعة وهران 01، الجزائر)	أ. د. حبيب حسن اللولب (جامعة الزيتونة، تونس)
أ. د. عثماني أم الخير(جامعة خميس مليانة، الجزائر)	أ.د. موساوي مجدوب (جامعة سعيدة. الجزائر)
أ. د. إبراهيم جدلة (جامعة منوبة، تونس)	أ.د. شرف عبد الحق (جامعة تيارت. الجزائر)
أ م. د. سليم الهنائي (جامعة نزوى، سلطنة عمان)	د. موسم عبد الحفيظ (جامعة سعيدة. الجزائر)
د.ة. هيفاء سليمان الإمام (الجامعة اللبنانية الدولية، لبنان)	أ د. يحي لعمارة محامد (جامعة مستغانم، الجزائر)
د. آيت أحمد نورالدين (جامعة سعيدة، الجزائر)	أ د. كريم ولد النبية (جامعة سيدي بلعباس، الجزائر)
أ د. حميد آيت حبوش (جامعة وهران 01، الجزائر)	دة. نرجس بخوش (جامعة الزيتونة، الجزائر)
د ة. كورات كريمة (جامعة سعيدة، الجزائر)	د. بن دوبة شريف الدين (جامعة سعيدة، الجزائر)
د. مداح عبد القادر(جامعة تيارت. الجزائر)	د ة. بن خيرة رقية، (جامعة تيزي وزو، الجزائر)
د. حمزة عبد الصمد (جامعة المدية. الجزائر)	د. قراوي نادية (جامعة سعيدة. الجزائر)
د. دكارأمين (جامعة سعيدة الجزائر)	دة. سميرة نميش (جامعة خنشلة، الجزائر)
د. حمادوش بولخراص (جامعة تيارت. الجزائر)	د. عبد الله طويلب (جامعة سعيدة. الجزائر)
د. كبداني فؤاد (جامعة سعيدة. الجزائر)	د. شباب عبد الكريم (جامعة سعيدة. الجزائر)
د. قدوري عبد الرحمن (جامعة سعيدة. الجزائر)	د. قاضي هشام (جامعة ورقلة. الجزائر)
د. مجاود حسين (جامعة سعيدة. الجزائر)	د. تبون عبد الكريم (جامعة سعيدة، الجزائر)
د. شيخ فاطيمة (جامعة سعيدة. الجزائر)	د. محروق إسماعيل (جامعة المدية، الجزائر)
دة. خليلي بختة (جامعة غليزان، الجزائر)	دة. قدورمنصورية (جامعة غليزان، الجزائر)
دة. بلقاسم ليلى (جامعة غليزان، الجزائر)	د. بلقاسم محمد (جامعة تلمسان، الجزائر)
د. قدوربوجلال (جامعة معسكر، الجزائر)	د. بكوش فافة (جامعة سعيدة. الجزائر)
د. بن بوزيان عبد الرحمان (جامعة تلمسان، الجزائر)	د. دحماني عمرجمال الدين (جامعة قسنطينة -2-. الجزائر)
د. بن دحمان حاج (جامعة غليزان، الجزائر)	د. كوشنان محمد (جامعة المدية، الجزائر)
د. هاشمي بن إبراهيم (جامعة معسكر، الجزائر)	د. دلبازمحمد (جامعة سعيدة، الجزائر)
د. طيبي عبد العالي (جامعة الجزائر02، الجزائر)	د. بوشيبة ذهيبة (جامعة سعيدة، الجزائر)
د. تلي رفيق (جامعة سعيدة. الجزائر)	د. بلخيرعبد الرحمن (جامعة تلمسان. الجزائر)

د. رزيوي زينب (جامعة سعيدة. الجزائر)	د. شادلي هواري (جامعة سعيدة، الجزائر)
د. بونقاب مختار(جامعة معسكر، الجزائر)	د. برنو توفيق (جامعة معسكر، الجزائر)
د. زاوي بوبكر(جامعة قسنطينة. الجزائر)	د. سكاكو مريم (جامعة سعيدة. الجزائر)
أعضاء اللجنة التنظيمية	
د. صديقي محمد (جامعة تلمسان، الجزائر)	د. دحماني يوسف (جامعة تلمسان، الجزائر)
د. فلاح محمد العربي (جامعة معسكر، الجزائر)	ط د. حصاد عبد الصمد (جامعة المدية، الجزائر)
ط د. علو اني توفيق (جامعة معسكر، الجزائر)	ط د. زلماط عمار(جامعة تلمسان، الجزائر)
ط د. محيوس أمينة (جامعة تيارت، الجزائر)	ط د. دربال سعيد (جامعة الجزائر02، الجزائر)
ط د. سنوسي بدرة (جامعة سيدي بلعباس، الجزائر)	ط د. سنوسي محمد (جامعة بشار، الجزائر)

ديباجة المؤتمر:

يعد علم الطب من أهم وأوسع مجالات العلوم العقلية، وقد أولى المسلمون عناية فائقة بهذا العلم؛ نظير ما امتاز به من فعالية في الحفاظ على الإنسان روحيا وبدنيا، فعملوا بذلك على بناء دُور الشفاء في مختلف الظروف والأحيان، وصنفوا فيه التآليف الكثيرة الحسان، التي صارت متداولة في كل المواطن والبلدان.

ويعتبر تاريخ الطب بالعالم الإسلامي من المقاربات التاريخية الجادة والرصينة التي تتبع إشكالات تاريخية مختلفة، تُبرز مسار تطور هذا العلم عبر العصور التاريخية، وعلى مختلف المستويات؛ من مؤسسات تعليمية وممارسات طبية، وخدمات صحية متنوعة، ونظام غذائي وصحي، وإسهامات طبية جليلة وإنجازات علمية توصل إليها المسلمون في ميدان الطب والتطبيب، وغيرها من المكونات البنيوية للواقع الطبي والصحي بالعالم الإسلامي عبر التاريخ.

وجاءت فكرة هذا الملتقى لتثري هذا الميدان الذي فاقت العناية به مؤخرا، لاسيما بعد الوباء الذي اجتاح العالم متمثلا في فيروس كوفيد 19، ومن جهة أخرى حتى تعزز فكرة دور العلوم المساعدة في علم التاريخ خاصة والعلوم الإنسانية عامة كعلم الطب، وإثراء للتواصل العلمي والثقافي بالعالم العربي والإسلامي.

الإشكالية:

إن موضوع "الطب والخدمات الصحية في العالم الإسلامي عبر العصور"، من البحوث الخصبة التي لم تستوف الدراسة المستفيضة من قبل الباحثين بصفة عامة والمؤرخين بصفة خاصة، لذلك جاءت إشكالية المؤتمر على النحو التالي: فيما تتمثل مظاهر تطوّر الطب والخدمات الصحية في العالم الإسلامي عبر التاريخ؟. لتكون بذلك إشكالية المؤتمر فرصة سامحة للباحثين من مختلف التخصصات للمساهمة في التعريف بتطوّر واقع الطب والتطبيب في العالم الإسلامي عبر محطات مختلفة من التاريخ.

محاور المؤتمر:

المحور الأول: الطب عند العرب قبل ظهور الإسلام.

المحور الثاني: الطب التقليدي بالعالم الإسلامي عبر التاريخ.

المحور الثالث: إسهام الأطباء والصيادلة في تطوّر علم الطب والخدمات الصحية بالعالم الإسلامي عبر العصور.

المحور الرابع: الانتاج الفكري في العلوم الطبية (حركة التأليف) بالعالم الإسلامي إبّان الفترة الوسيطة والحديثة والمعاصرة.

المحور الخامس: تاريخ المؤسسات الطبية ودورها في مجال الطب بالعالم الإسلامي

المحور السادس: تطوّر طرق وأساليب التداوي (العلاج) بالعالم الإسلامي.

المحور السابع: قوانين وأخلاقيات (آداب) ممارسة الطب بالعالم الإسلامي.

المحور الثامن: تعليم الطب (التعليم الطبي) بالعالم الإسلامي عبر التاريخ.

المحور التاسع: واقع التأثير والتأثر في مجال الطب بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي

كلمة رئيس المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

تمحورت جل الدراسات التاريخية في مجال العلوم حول العلوم النقلية من فقه وحديث وقراءات وغيرها، وهذا لتوفر المادة التاريخية في هذا النوع من العلوم، وبالمقابل نجد هناك قلة الدراسات في العلوم العقلية – الطب والصيدلة والحساب والهندسة والكيمياء وغيرها -، فكان لزاما علينا الخوض في البحث حول تاريخ العلوم العقلية، فوقع اختيارنا على دراسة فرع من هذه العلوم دراسة شافية وو افية، والمتمثل في علم الطب، الذي ينظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، فاجتهد الأطباء على تشخيص الأمراض و إيجاد الدواء الفعال منذ القديم إلى يومنا هذا.

إن موضوع تاريخ الطب عبر العصور من الموضوعات الهامة والخصبة، وهو ما جعلنا نسلط الضوء على هذا المجال بدراسة تاريخية أكاديمية متنوعة، كللت بمجموعة من الأبحاث الجادة والمفيدة والمستفيضة، ساهم فيها نخبة من أساتذة جامعيين وباحثين وطلبة دكتوراليين من مختلف أقطار العالم الإسلامي، والتي انبثقت عن المؤتمر الدولي الذي نظمه المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، بتعاون مع جامعة إب- اليمن، يومي 20 و21 ماي 2023، وجاء عنوان المؤتمر موسوما ب: "الطب والأطباء والخدمات الصحية بالعالم الإسلامي عبر العصور"، وهذه الدراسات أردنا أن ننشرها في هذا الكتاب لتكون في متناول الطلبة والباحثين في هذا المجال.

ونطمح أن تكون هذه الأبحاث قد غطت دراسة الموضوع نسبيا، ونسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا الكتاب إضافة إلى المكتبات، وأن يجعله عملا نافعا للعالم الإسلامي عامة والعالم العربي خاصة.

رئيس المؤتمر: د.بوداعة نجادي-جامعة سعيدة-الجزائر

عوامل الازدهاروالتفوق الطبي في الحضارة الأندلسية

Factors of prosperity and medical excellence in the Andalusian civilization

دة، مريم سكاكو، جامعة الدكتورمولاي الطاهر. سعيدة (الجزائر)
meriem.sekkakou@univ-saida.dz

ملخص:

عرف الطب في الأندلس تقدما ملحوظا وبرزت عدة أسماء كان لها الأثر الكبير في الرقي بهذا العلم، واكتسب أصحابه خبرات علمية ومهارات طبية وأتقنوا صناعة الأدوية والعقاقير بأبحاثهم واجتهاداتهم والرحلة إلى المشرق وغيرها من الأصقاع، وفي نفس الوقت التعرف على ما وصل إليه الأقدمون في هذا الميدان والحرص على ترجمتها والاستفادة منها وتصويبها والزيادة فيها،بل والتأليف ووضع الكتب والرسائل .

يأتي هذا في وقت كانت أوروبا عاجزة عن التصدي للأمراض المختلفة والمعدية منها بصفة خاصة في حين نسجل التقدم العلمي الحضاري الإسلامي في الأندلس في العلوم التطبيقية ومنها الطبية، وقد أضحى التراث الطبي للأطباء المسلمين منهلا للطب الأوروبي طيلة القرون الوسطى وكان له دور كبير في تقدم علوم الطب.ومن هنا ارتأينا المشاركة بهذه المداخلة المعنونة بـ " عوامل الازدهار والتفوق الطبي في الحضارة الأندلسية "

الكلمات المفتاحية: الحضارة، الأندلس، الطب، التفوق، الازدهار.

Summary :

Medicine in Andalusia knew remarkable progress, and several names appeared that had a great impact on the progress of this science, and his companions gained scientific expertise and medical skills and mastered the manufacture of medicines and drugs through their research, diligence, and their journey to the world of medicine. East and other regions.At the same time, getting to know what the ancients accomplished in this field, and making sure to translate it, benefit from it, correct it, and add to it.Rather, composing and writing books and letters on various topics and the most accurate. This comes at a time when Europe was unable to deal with various infectious diseases, including those in particular, while we record the scientific progress of Islamic civilization in Andalusia in applied sciences, including medical ones. .AndFrom here, we decided to participate in this intervention entitled "Factors of Prosperity and Medical Excellence in the Andalusian Civilization.

Keywords: civilization, Andalusia, medicine, excellence, prosperity.

مقدمة:

تتناول هذه المداخلة موضوع عوامل الازدهار والتفوق الطبي في الحضارة الأندلسية ، فالحديث عما شهدته الحضارة الأندلسية من تميز وإبداع شمل مختلف جوانب الحياة فيها، وكان في مقدمتها ما قدم من رعاية وخدمات طبية وما يسجل في هذا الجانب عناية الأندلسيين الكبيرة بالنظافة سواء تعلق الأمر بنظافة منازلهم ومحيطهم أو نظافتهم الشخصية، وأمام ما كان في الأندلس من نشاط علمي وفكري ساعدت فيه العديد من العوامل ارتأينا تسليط الضوء على جانب منها حيث كان إقبال الأندلسيين على مختلف العلوم وفي مقدمتها العلوم الطبية التي لم يكتفوا فيها بتدارس علوم الحضارات السابقة أو ما تعلموه من الوافدين إليهم أو في رحلاتهم إلى أقطار العالم الإسلامي وإنما سعوا إلى البحث والاستكشاف وتطوير علاجاتهم في كل الظروف خاصة في فترات الطواعين التي عصفت بالمنطقة وعلية جاءت مداخلتنا مقسمة إلى العناصر التالية:

- لمحة عن التطور التاريخي للطب عند المسلمين.
- عوامل التفوق والازدهار التي كانت وراء النشاط الطبي الذي عرفته الأندلس.
- مظاهر التفوق الطبي في الأندلس.

1. التطور التاريخي للطب عند المسلمين:

كثيرا ما يرتبط الحديث عن الحضارة الأندلسية بالتنوع والرقي والإبداع في مختلف المجالات والعلوم، وكان الطب من أبرز التخصصات التي لاقت عناية الأندلسيين، ويظهر ذلك من خلال أسماء الأطباء الذين علا كعبهم في هذا الميدان بما اكتسبوه من مهارات وخبرات علمية وإتقانهم صناعة الأدوية والعقاقير بأبحاثهم واجتهاداتهم ورحلاتهم ومؤلفاتهم ورسائلهم الطبية التي شملت مختلف المواضيع.

وبهذا يمكن القول أن المسلمين في المغرب والأندلس استطاعوا أن يرفعوا كرامة مهنة الطبيب من مستوى وضيع جدا إلى مركز رفيع، فالطبيب المسلم كان ملما بفروع العلوم الأخرى، كما كانوا أول من أدخل فكرة امتحان الأطباء لمزاولة مهنة الطبيب ونهضوا بالمستشفيات وأنفقوا عليها بسخاء، كما كان المسلمون أول من أدخل الرسومات والأشكال في الكتب الطبية، وهذا بعد أن كان علم الطبابة قد قبر في أوروبا قرونا طويلة، فكشفوا فيه أمورا كثيرة وهذبوا مسائله وحسنوا فصوله ونقحوا التعاليم القديمة وأضافوا تجاربهم فارتقت بكل هذا ثقافة الطبيب العربي المسلم[1].

[1] - علي أحمد، المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأوروبي وكيفية انتقالها خلال العصور الوسطى ضمن كتاب أعمال الندوة العلمية الدولية: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال العصور الوسطى، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الأداب والعلوم الانسانية، الرباط، ط1، 1995م، ص216.

فالطب من العلوم التي مارسها العرب منذ أقدم العصور لحاجتهم الماسة إليها في الحياة اليومية، وكان جل الطب العربي قبل الإسلام يعتمد على التجارب العلمية البسيطة واستخدام العلاج بالسحر والشعوذة ونسبة الأمراض إلى الشياطين واستعمال التمائم والتعاويذ وممارسة الطب لدى العرب كان بسيطا وبدائيا يستند على المتعارف عليه من تناول المواد الخام القريبة من الأيدي كالأعشاب الصحراوية وأبوال الإبل والعسل واشتمل التداوي أيضا على الحجامة والفصد والكي فضلا عن الكهانة والعرافة والسحر والطلاسم[1].

وفي صدر الإسلام عنى العرب بصناعة الطب لحاجة الناس إليها ولما كان عندهم من الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث على التداوي حيث قال:"**يا عباد الله تداووا فإن الله عزوجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدا وهو الهرم**" فكان من الأطباء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحرث بن كلدة الثقفي[2] الذي تعلم الطب بفارس واليمن وبقي إلى أيام معاوية بن أبي سفيان وكان منهم ابن أبي رمكة التميمي[3].

فالطب بدأ بسيطا لكن مع توسع الفتوحات الإسلامية والتعرف على تراث الشعوب الأخرى وترجمتها وأمام تشجيع الإسلام على العلم في مخلف التخصصات ووضعه لذلك قيما ومثلا عليا في طلبه وهو ما سيفتح أمام المسلمين آفاقا واسعة تدين الإنسانية بها لما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في العلوم.

2. عوامل التفوق والتميز في ميدان الطب في الأندلس:

2 - 1 تشجيع الأمراء والحكام:

كان عصر الولاة في الأندلس النواة الأولى لازدهار الحياة العلمية والثقافية وأساسا لنشاطها في العصور اللاحقة لاسيما عصر الإمارة، فقد أبدى عبد الرحمن الداخل (138- 172هـ/ 755- 788م) عناية تامة بالعلوم والآداب، وهذا ما أدى إلى عناية أهل الأندلس المميزة بأمور الفكر والثقافة وضرورة أن تكون لهم ثقافة وفكر ينافسون بها أهل المشرق ويفخرون بها ويتفقون بمعارفهم الواسعة[4].

---

[1] - نهاد عباس زينل، الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا – القرون الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013م ص- ص 89- 90.

[2] - توفي حوالي السنة 13 هـ ينظر :أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1985،2م،ص54.

[3] - أبو القاسم أحمد بن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912، ص47 ،ابن جلجل ،المصدر السابق، ص57..

[4] - أريج كريم حمد العتابي، الحياة العلمية في الثغور الشمالية الأندلسية، دار غيداء الأردن، 2016م، ص78.

فعبد الرحمن بن معاوية كان: " فصيحا، بليغا، حسن التوقيع[1]، " و" كان من أهل العلم وعلى سيرة جميلة من العدل[2]"

وسار خلفاؤه على نهجه في تشجيع الحركة العلمية والثقافية بشراء الكتب الثمينة ونسخها وإرسال التجار إلى الأقطار لشراء الكتب واستجلاب المصنفات من ذلك ما كان في عهد الحكم الثاني المستنصر الذي كان مهتما بجميع العلوم العقلية والطبيعية بما في ذلك الطب، فقرب أولي العلم والمعرفة وأكرمهم[3].

والشأن ذاته بالنسبة للأمراء والخلفاء الذين تعاقبوا على حكم الأندلس من اهتمام وتشجيع للعلماء والأطباء وحرص على تنشيط الحياة الفكرية والعلمية بكل السبل.

2-2 الرحلات العلمية:

كان في الأندلس من الازدهار الحضاري والعلمي نظير ما كان في المشرق من التطور والازدهار سواء في العلوم الفكرية والعقلية سيما في ميدان الطب فكان هناك الأطباء البارزون والمستشفيات والمستوصفات والصيدليات[4]، وفي الوقت ذاته كان للمشرق الإسلامي تأثيرا على الأطباء الأندلسيين، وكانت بغداد منذ أواخر القرن الثاني الهجري من أكبر المراكز الحضارية في العالم كله، وما من أندلسي يرحل إلى المشرق إلا ودخلها فأدرك الأندلسيون المكانة العلمية والحضارية لها[5]، فمن مسلمات التطور الحضاري والتفوق العلمي ما اعتاد عليه علماء الأندلس من اتخاذ الرحلات والأسفار بين مراكز العلم في العالم الإسلامي سنة حميدة للتزود بالعلوم واكتساب المعرفة وهو ما تولد عنه نشاط علمي باهر [6]، فأغلب الأطباء زاروا المشرق للتعلم وعادوا يحملون معارف متنوعة أهلتهم لاحتلال مراتب متقدمة في قرطبة[7] نذكر من أولئك الأطباء:

- **أبو حفص عمر بن برتق:**

---

[1] - ابن عذاري المراكشي، البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج،س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ب.ت، ج2، ص59.

[2] - نفسه، ج2، ص60.

[3] - أريج حمد العتابي، المرجع السابق، ص 78، نهاد عباس زينل المرجع السابق، ص 73.

[4] - نهاد عباس زينل، المرجع السابق، ص 102

[5] - محمد بشير حسن راضي العامري، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 4014، ص60.

[6] - نفسه، ص71.

[7] - محمد حقي:"الطب في المغرب والأندلس في العصر الوسيط نظرة علمية واجتماعية" في مجلة فكر-العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 1، 2005م، ص195.

كان طبيبا نبيلا قارئا للقرآن وكانت له رحلة إلى القيروان إلى أبي جعفر بن الجزار وهو من ادخل كتاب زاد المسافر إلى الأندلس[1].

- **ابن السمينة(ت 315هـ/ 927م):**

يحي بن يحي المعروف بابن السمينة، من أطباء قرطبة، كان بصيرا بالحساب والنجوم والطب، متصرفا في العلوم، رحلة الشرق، وقرأ كتب المتكلمين، ثم عاد إلى الأندلس وتوفي فيها.

- **أبو الحكم عبد الله بن مظفر بن عبد الله المرسي الأندلسي (ت 549هـ/ 1154م)**

رحل إلى دمشق، ودخل العراق، ثم أصبح في خدمة السلطان السلجوقي محمد ابن ملكشاه (548- 554هـ/ 1153- 1159م)، وأنشأ له بيمار يستانا منقولا يحمل في الأسفار على أربعين جملا، وقد عاش أبو الحكم مدة في دمشق، وكان له فيها دكان (عيادة طبية)يستقبل المرضى.

- **أبو جعفر أحمد بن حسان:**

طبيب الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور، وهو الذي رافق الرحالة الأندلسي، ابن جبير البلنسي (ت614هـ/ 1217م) في التطواف وغبر العديد من أقطار المشرق سنة (578هـ/ 1183م)، وترك كتابا في الطب بعنوان "[2].

- **محمد بن عبدون الجبلي العذري.**

رحل إلى الشرق سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (958م)، تمهر الطب، ونبل فيه، وأحكم كثيرا من أصوله، ثم رجع إلى الأندلس سنة ستين وثلاثمائة، وخدم بالطب الخليفة المستنصر والمؤيد بالله، قال عنه ابن صاعد إنه لم يلق في قرطبة أيام طلبه فيها من يلحق بمحمد بن عبدون الجبلي في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها، وحسن درايته فيها وإحكامه لغوامضها[3].

- **الكرماني أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي (ت458هـ):**

من أهل قرطبة، أحد الراسخين في علم العدد رحل إلى ديار المشرق ثم رجع إلى بلاد الأندلس، واستوطن مدينة سرقسطة، وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا، ولا نعلم أحدا أدخلها الأندلس قبله، وله عناية بالطب، ومجربات فضلة فيه ونفوذ مشهورة، بالكي والقطع والشق، وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية والجراحة.

- **أحمد بن يونس وأخوه عمر، ابنا يونس بن أحمد الحراني:**

---

[1] - ابن جلجل، المصدر السابق،ص107؛آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص461.

[2] - محمد بشير حسن راضي العامري، المرجع السابق، ص-ص 74-75.

[3] - ابن صاعد الأندلسي ،المصدر السابق،80

رحلا إلى المشرق في دولة الناصر في سنة ثلاثين وثلاثمائة، وأقاما عشرة أعوام ودخلا بغداد تأدبا بالطب، وخدما الرؤساء منهم ثابت بن سنان بن قرة (ت365هـ)، وقرأ عليه طب جالينوس عرضا، وخدما الطبيب ابن الصاري والذي كان طبيبا عالما بعلاج العيون وعللها ولم يكن في زمانه أعلم منه.

- **ابن زهر، أبو مروان بن عبد الملك:**

هو أبو مروان عبد الملك بن مروان بن زهر الأيادي الاشبيلي (ت470هـ/1077م)، كان فاضلا في صناعة الطب، خبيرا بأعمالها، وكان واله الفقيه محمد من جملة الفقهاء والمتميزين في علم الحديث باشبيلية.

رحل إلى الشرق وإلى بغداد بالذات، ثم دخل القيروان ثم مصر وتطبب مناك زمنا طويلا، ثم رجع إلى الأندلس وقصد مدينة دانية، فاشتهر في دانية بالتقدم في صناعة الطب وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس كلها.

انتقل أبو مروان بن زهر من دانية إلى مدينة اشبيلية، ولم يزل بها إلى أن توفى.

- **أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت (ت 595هـ).**

ولأبي الصلت أمية بن عبد العزيز من الكتب: الرسالة المصرية، ذكر فيها ما رآه في مصر من المشاهد والآثار ومن اجتمع بهم من الأطباء والمنجمين والشعراء، و(كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء)، وكتاب حديقة الأدب، وكتاب الملح العصرية من شعراء الأندلس والطارئين عليها، ورسالة في الموسيقى، وكتاب الهندسة، ورسالة في الإسطرلاب.

- **ابن رومية (561- 637هـ).**

هو أبو العباس بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل الإشبيلي الأندلسي المعروف بابن رومية، عالم مشهور بشؤون الحديث الشريف، ونباتي عشاب عقاقير، جال الأندلس ثم قدم المشرق، فنزل مصر سنة ثلاث عشرة وستمائة وأقام فيها مدة ثم أخذ يجول في بلاد الشام والعراق والحجاز مدة سنتين أفاد فيها شيئا كثيرا من الأحاديث والنباتات فعاد إلى إشبيلية وضل فيها إلى وفاته في آخر ربيع الثاني سنة سبع وثلاثين وست مائة، له دكان يبيع فيه الحشائش ويصنع العقاقير وينسخ الكتب ويؤلف ومن كتبه: كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، وأدوية جالينوس، الرحلة النباتية[1].

2- 3 الاضطلاع على مؤلفات السابقين وترجمتها:

إن التطور الحضاري للعرب ساهم بفضل الإسلام في بناء شخصية عربية إسلامية جديدة تتوق للعلوم والمعرفة وتتطلع لاكتشاف الحقائق وفهم تراث الأمم الأخرى وما وصلت إليه من انجازات حضارية

[1] - حول هذه الترجمات ينظر :ابن جلجل، المصدر السابق،ص-ص107 وما يليها؛ محمد بشير حسن راضي العامري،المرجع السابق، ص-ص 75-80.

فانصهر ذلك التراث مع معارفهم وإبداعاتهم للرقي بالحضارة العربية الإسلامية في مختلف الميادين، فاستعان العلماء المسلمون بما كان لدى الأمم الأخرى من علوم، فنهلوا من علماء اليونان والرومان والفرس، وكانت لهم إضافاتهم العلمية الدقيقة في العلوم الطبية[1].

فالتفاعل الحادث بين المسلمين وأمم العالم القديم ذات الحضارات العريقة كان شرطا مناسبا لوراثة العلم القديم ولظهور حركة الترجمة وازدهارها بعد ذلك في حضارة الإسلام،فحظيت جهود المترجمين وجماع العلوم بتشجيع وحماية الخلفاء الرسمية وكانت عنايتهم بنقل الكتب الأجنبية إلى العربية عناية فائقة حتى أنه كان من شروط الصلح بين الخليفة المأمون والإمبراطور البيزنطي تسليم مكتبة بها أمهات الكتب[2] .

فلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات الكبرى، والاختلاط مع الأمم الأخرى ونتيجة للاتصال الحضاري فيما بينها انتقلت الحركة العلمية من طور الترجمة واستيعاب العلوم المقدمة إلى مرحلة التأليف العلمي والابتكار الأصيل وإجراء التجارب والبحوث واستخلاص النتائج والقوانين[3].

فقد ترتب عن نقل العلوم الأجنبية إلى العربية إلى اتساع الثقافة العربية وحيويتها بعد أن تفاعلت مع ثقافات الأمم ذات الحضارات العريقة فأصبحت ثقافة عالمية وسارت بالعلم على طريق التقدم والتحديث،وفي الوقت نفسه حفظت تراث العلم العالمي من الضياع فكثير من المؤلفات اليونانية وغير اليونانية فقدت أصولها وبقيت ترجماتها العربية الصحيحة والدقيقة [4].

وفي الأندلس كان يعول في الطب على كتاب مترجم من كتاب النصارى يقال له الأبريشم ومعناه المجموع او الجامع على حد قول ابن جلجل[5]،وفي هذا تأكيد على أن الأطباء اعتمدوا في تكوينهم على الطب المسيحي الذي كانت لا تزال بقاياه في الأديرة،والى جانبه الطب التقليدي إضافة إلى ثقافة تقليدية عامة لكن مع مجيء القرن الرابع للهجرة/10م توسعت ثقافة الأطباء إذ صاروا يدرسون انجازات الطب الإغريقي والطب المشرقي الإسلامي [6] .

---

[1]- نهاد عباس زينل، المرجع السابق، ص 90

[2] - مصطفى لبيب عبد الغني، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م، ص-ص 50-51.

[3] - نهاد عباس زينل، المرجع السابق ، ص94.

[4] - مصطفى لبيب عبد الغني، المرجع السابق، ص69.

[5] -ابن جلجل،المصدر السابق،ص97.

[6] - ابن صاعد الأندلسي، ص78؛محمد حقي،المرجع السابق، ص195

فالطب الأندلسي تأثر بشكل كبير بالتقدم العلمي الطبي المشرقي من خلال تدفق الكتب الطبية من بغداد إلى قرطبة التي جمعت الكتب الطبية القديمة المترجمة في دار الحكمة في بغداد والتي استقى منها الأطباء العرب والمسلمون علومهم الطبية إلى جانب ما اكتشفوه من نظريات وما اكتسبوه من تراكم الخبرات النظرية والعلمية الطبية[1] نذكر منها:

- كتاب الأقرباذين[2] للطبيب أبي بكر الرازي البغدادي (ت 320هـ/ 932م)و كتاب **تركيب الأدوية** للطبيب والفيلسوف الكندي البغدادي (ت 255هـ /868م)، والذي وصل إلى الأندلس وشرحه الطبيب أبو العلا بن زهر (ت 525هـ / 1130م) وكتاب **الترياق** للكندي أيضا إلى جانب كتاب **الأدوية المفردة** للطبيب ابن سينا (ت 428هـ/ 1036م)، والذي ألف أبو العلا بن زهر مقالة في الرد على بعض جوانبه و نجد أيضا كتاب **المفردات** لإسطفن بن باسيل، وكتاب الأدوية المفردة لحنين بن إسحاق ؛ اللذان استفاد منهما الإدريسي الأندلسي في كتابه الجامع لصفات أشتات النبات .

ومن الكتب التي أدخلها الأندلسيون إلى قرطبة، كتاب **الاعتماد في الأدوية المفردة** للطبيب القيرواني أحمد بن إبراهيم الجزار المعروف بالجزار (ت 369هـ/ 979م) ، والذي قام بدراسته وتصحيح بعض ما جاء فيه، الطبيب الأندلسي عبد الرحمن بن إسحاق بن هيثم القرطبي، الذي عاش في عهد هشام المؤيد (366- 399هـ/ 986- 1009م)، في كتاب حمل عنوان **الاقتصاد في الإيجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد**، وكان كتاب **الاعتماد** لابن الجزار من أحد المصادر المهمة التي اعتمدها الزهراوي في كتابه **التصريف** هذا الأخير الذي قدم فيه الزهراوي معجما أبجديا للأدوية المفردة مع إعطاء مرادفات للكثير منها وتحدث أيضا عن بعض العمليات الجراحية والأدوات المستعملة فيها ما جعل بعض الدارسين يعتبرونه أكبر جراح عربي في العصور الوسطى [3].

3. مظاهر التفوق الأندلسي في العلوم الطبية:

قامت الحياة العلمية في الأندلس على أسس متينة من التنظيم والرعاية والتشجيع وتوافر وسائل الدرس والبحث والتأليف، وأصبحت قرطبة عاصمة العلم في أوروبا والغرب الإسلامي يؤمها العلماء

---

[1] - محمد البشير العامري، المرجع السابق، ص70؛يماني رشيد :"مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري" دورية كان التاريخية،العدد 43،مارس 2019م،ص118.

[2] - الأقراباذين: مأخوذة من أصل يوناني واستعملها أطباء وعلماء مسلمون للدلالة على معنى الأدوية المركبة، محمد البشير العامري، المرجع السابق ، ص68.

[3] - محمد البشير العامري، المرجع السابق،ص69، علي احمد ، المرجع السابق، ص217.

والطلاب من المشرق والمغرب، وتنوعت فيها الدروس والمحاضرات في جو من الحرية والتسامح فازدهرت العلوم الطبيعة والطبية وازدنت سماء الأندلس بأسماء مشاهير الأطباء في مختلف المراحل[1].

فتوج الطب العربي بقمة ازدهاره وتقدمه وتطوره في الأندلس وعاصمتها قرطبة التي شهدت تطورا ملحوظا في النوادي العمرانية والاجتماعية والفكرية خاصة في عهدي الإمارة والخلافة إذ شهدت الأندلس فيها مدة من الاستقرار والأمن ونشطة النفوس وتفتحت الآمال وانصرف الراغبون في العلم إلى الدرس والتحصيل وانتشرت حلقات الشيوخ وكثرت الكتب بين الناس وظهر فيها الفقيه والشاعر والأديب والمهندس والفلكي والطبيب[2].

وقد تميز أطباء الأندلس الإسلامية ولاسيما أطباء قرطبة باهتمامهم الخاص بنوعين من فروع الطب هما (دراسة الأعشاب) وما يستخرج منها من أدوية العلاجية، وإجراء العمليات الجراحية إذ أن الطب الجراحي قد ظهر في الأندلس في وقت مبكر قياسا إلى غيره من فروع الطب الأخرى[3]، كما يمكن تفسير اهتمام أهل الأندلس بصناعة الطب بجهودهم لإيجاد السبل لمواجهة الكوارث مثل الطاعون الجارف[4]

ومن دلائل نهوض العلمي في ميدان الطب في الأندلس ونشاط علمائه أن كثيرا من الأطباء يمارسون هذه المهنة بصورة تشابه ما عليه حال الأطباء في هذا العصر، بما يسمى العيادات الطبية التي يردها المرضى للعلاج [5].

وبالمقابل لما واجه المسلمون الطاعون الأعظم وسلسلة الطواعين التي تبعته عادوا إلى تراث العصور الإسلامية الأولى واتبعوا التقاليد الدينية والأبحاث الطبية التي ترجع إلى تلك العهود، لذلك أهم ما قدمته تلك المصادر ما هو إلا انعكاس لمجموع النصوص الكلاسيكية حول الموضوع، وكذلك الأمر بالنسبة للنصوص الطبية، فتقوم المصادر المعاصرة لطواعين القرن 8- 9هـ/ 14- 15م بتجميع هذه النصوص وتقديمها مع ذكر بعض الإضافات المتأخرة التي كثيرا ما أدت اختلاف ومجادلة حادة بين الفقهاء حول شرعيتها.

---

[1]- أحمد متفكر، الطب والأطباء بمراكش عبر العصور، مؤسسة أفاق، المغرب 2016، ص 23.

[2]- نهاد عباس زينل، المرجع السابق، ص 99

[3]- نفسه، ص 102.

[4] - يماني رشيد، المرجع السابق، ص119.

[5] - نهاد عباس زينل، المرجع السابق، ص102.

لكن نجد أن المصادر الأندلسية كانت أكثر عقلانية من المصادر الأخرى، فقد تخلصت نسبيا من قبضة النصوص الدينية الكلاسيكية، واعتمد مؤلفوها في أبحاثهم على طريقة الملاحظة والاستنتاج الذي يتطابق من المشاهدة[1].

فألف ابن خاتمة رسالة حول الطاعون الأعظم: تحصيل المرض القاصد في تفصيل المرض الوافد وألف لسان الدين بن الخطيب: مقلعة السائل عن المرض الهائل وامتازت هذه المؤلفات بالدقة والعلمية في وصف المرض وتقديم العلاج والاحتياطات الضرورية لتجنب العدوى[2].

وما هذه إلا إشارات قليلة لا تعكس بحق الازدهار الذي صنعه أطباء الأندلس المسلمين في العصر الوسيط إذ لو وقفنا عند ترجمة كل عالم لانبهرنا باجتهاده ومساعيه في البحث والاستنتاج بل واكتشافات زينت عصورهم وأبهرت أوروبا التي ما فتئت تراوح مكانها في ميدان الطب في ظل قيود الكنيسة.

خاتمة:

أبرز النتائج التي تم تسجيلها من خلال هذه الدراسة ما يلي:

- العناية والاهتمام الذين خص بهما الأندلسيون الدراسات التطبيقية في مقدمتها علم الطب.
- ساهمت جملة من العوامل والأسباب في الرقي بالطب في الحضارة الأندلسية وأفردها بخصائص ميزتها عن باقي الأقطار والفترات غلب عليها التميز والإبداع وعدم الركون إلى التقليد.
- في مقدمة تلك العوامل الدعم والتشجيع من الحكام والأمراء وحتى من الأسر النافذة والحرص على اقتناء الكتب وجلبها إلى حواضرهم لأهميتها في الاضطلاع على ما استجد وما وصل إليه علماء وأطباء العصور المختلفة.
- الرحلة العلمية خاصة إلى المشرق وحاضرتها بغداد والحرص على الاحتكاك والأخذ عن أطبائها طالت المدة أو قصرت.
- ازدهار علم الطب في الأندلس كان عظيما يشهد على ذلك أسماء الأطباء والمؤلفات التي ستبقى خالدة في تاريخ الإنسانية لما قدموه من خدمات أفادت صحيا وعلميا.

[1]- أحمد السعداوي: "المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته 8- 9هـ/ 14-15م" Ibla revue de l institute des belles letters arabes.58 annee,1995,p129

[2]- نفسه، ص 120.

قائمة المصادروالمراجع:

- **المصادر:**
- ابن جلجل ،أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ،طبقات الأطباء والحكماء،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط2، 1985م.
- بن صاعد الأندلسي ،أبو القاسم أحمد ، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج،س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ب.ت.
- **المراجع:**
- زينل نهاد عباس ، الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا – القرون الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013م.
- العامري محمد بشير حسن راضي ، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.
- أريج كريم حمد العتابي، الحياة العلمية في الثغور الشمالية الأندلسية، دار غيداء الأردن، 2016م.
- متفكر أحمد ، الطب والأطباء بمراكش عبر العصور، مؤسسة أفاق، المغرب 2016.
- مصطفى لبيب عبد الغني، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م.
- آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، 1955م.
- **المقالات والندوات:**
- حقي محمد:"الطب في المغرب والأندلس في العصر الوسيط نظرة علمية واجتماعية" في مجلة فكر-العلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد 1، 2005م.،ص-ص 119-206.
- السعداوي أحمد: "المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته 8- 9هـ/ 14-15م"

Ibla revue de l institute des belles letters arabes.58 annee,1995.p-p 119-141.

- علي أحمد، المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأوروبي وكيفية انتقالها خلال العصور الوسطى ضمن كتاب أعمال الندوة العلمية الدولية: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال العصور الوسطى، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الأداب والعلوم الانسانية، الرباط، ط1، 1995م.
- يماني رشيد :"مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري" دورية كان التاريخية،العدد 43،مارس 2019م،ص-ص 114-124.

مجالس العلم وازدهار الطب في عراق العجم
في القرن الرابع الهجري
Councils of science and the flourishing of medicine in Iraq Al-Ajam In the fourth century AH

د. أحمد عبد الباقي حسين النقيرة
دراسات وبحوث الحضارات – شعبة الحضارة الإسلامية في آسيا
ahmad.abdelbaky@yaho.com

ملخص:

شهدت منطقة عراق العجم(إقليم الجبال), أو ما يعرف حاليا بدولة إيران, عناية بالطب, وأهله, وبخاصة في ظل سيطرة أمراء بني بوية علي هذا الاقليم, وما كان من عنايتهم بالثقافة الطبية, وطرق العلاج المختلفة.

وقد أدرك الأطباء خلال تلك الفترة أهمية العلاج بالأغذية, وأنه يقف جنبا إلي جنب من حيث ضرورته للشفاء, مع الأدوية العشبية, والمستحضرات الكيميائية؛ فكانت العديد من المؤلفات من كتب ورسائل صنفها أطباء هذا الإقليم, في هذا المجال الحيوي.

فهي مؤلفات مهمة في الإرث الحضاري الإسلامي؛ لأنها قدمت لنا مادة علمية تحمل في طياتها قيمة صحية تناسب طبائع وأمزجة الأجسام المختلفة.

الكلمات المفتاحية: عراق العجم, مراكز الحضارة الإسلامية, الطب الوقائي, أدوية عشبية, أدوية كيميائية, علم الطب.

summary:

The region of Iraq Al-Ajam (the province of the mountains), or what is now known as the state of Iran, witnessed the care of medicine and the doctors, especially under reign of the princes of Bani Buyu over this region, and what was their interest in the medical culture, and the different methods of treatment. During that period, doctors realized the importance of food therapy, and that it stands side by side in terms of its necessity for healing, with herbal medicines and chemical preparations. Many books and treatises were written by the doctors of this region in this vital field. They have important books in the Islamic cultural heritage, because they provided us with scientific material that carries with it a health value that suits the natures and moods of different bodies.

Keywords: Persian Iraq, centers of Islamic civilization, preventive medicine, herbal medicines, chemical medicines, medical science

مقدمة:

بلاد الجبال، وهى البلاد المعروفة عند العامة بعراق العجم، وقد أطلق العامة هذا الاسم فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، عندما تولي السلاجقة[1]حكم بلاد فارس الغربية ، وجعلوا دار حكومتهم فى همذان[2] وبسطوا نفوذهم على ما بين النهرين ، حيث مقام الخليفة العباسي ، فكان العامة يطلقون عليها هذه التسمية تمييزاً لها عن عراق العرب[3].

ويحد بلاد الجبال من ناحية الشرق فارس[4] ومفازة خراسان[5] ومن جنوبها حدود خوزستان[6]ومن غربها إقليم أذربيجان[7]والجزء الشمالى من إقليم العراق ومن شمالها جبال الديلم[8]، وذلك برأى من يجعل قزوين[1]، والرى[2]، من بلاد الجبل ، ويخرجهما من بلاد الديلم[3].

---

[1]- السلاجقة : مجموعة من القبائل التركية التى تنتمي إلى طائفة الأوغوز ، وكانت تنتشر فى تركستان وما وراء النهر ، كان ميكائيل بن سلجق زعيمهم المبجل ، يسكن بموضع يسمى نور بخارى من أعمال بخاري ، حتى عبر السلطان محمود الغزنوى إلى بخارى فنقله وأصحابه إلى خراسان فقوى أمرهم وسيطروا على خراسان فى سنة 430هـ/1038م فى عهد السلطان مسعود الغزنوى، وإمتد سلطانهم من خراسان إلى بغداد التى دخلوها سنة 447هـ/1055م ؛ انظر : عماد الدين الأصفهانى : دولة آل سلجوق ، القاهرة ، شركة طبع الكتب العربية ، 1900 ، ص 5-9 ؛ عبد النعيم محمد حسنين : إيران والعراق فى عصر السلاجقة، دار الكتاب المصرى، ط1، 1982م ، ص 29- 38.

[2]- **همذان :** تقع وسط بلاد الجبال ومن همذان إلى حلوان أول مدن العراق سبعة وستون فرسخاً وهمذان مدينة كبيرة لها أربعة أبواب ولها مياه ، وبساتين وزروع كثيرة وتجارات ؛ انظر : السلطان المؤيد عماد الدين إسماعيل : **تقويم البلدان** ، باريس ، دار الطباعة السلطانية ، 1840م، ص 417.

[3]- لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية, ص 221.

[4]- فارس من أقاليم إيران الجنوبية ، وقد ورث العرب عن المملكة الساسانية تقسيم فارس على خمسة أقسام ، وظل هذا التقسيم معمولاً به حتى عهد المغول :
* أرد شيرخره وقصبتها شيراز . * سابورخره ومدينتها سابور. * أرجان ومدينتها أرجان .
* أصطخر ومدينتها اصطخر القديمة (برسيبوليس) قصبة فارس الساسانية.
* دارا بجرد ومدينتها دارا بجرد.
انظر:ابن البلخى . فارس نامة ، تحقيق: يوسف الهادى ، القاهرة ، الدار الثقافية ، 2001م ، ص3.

[5]- يطلق على هذه الصحراء اسم (كركس كوه) ، انظر : مجهول : **حدود العالم من المشرق إلى المغرب** ، ترجمه عن الفارسية : يوسف الهادى ، القاهرة ، الدار الثقافية ، 2002م . ص 151 ؛ وخراسان : كلمة مركبة من خور (شمس) واسان (مشرق) ، وإمتدت بين نهر امودريا شمالاً وشرقا وجبال هندكوش جنوبا ، ومناطق فارس غربا ، وامتدت أحيانا إلى بلاد سغد ، وإلى سجستان جنوبا ، تتقاسمها اليوم إيران الشرقية الشمالية (اشتهر منها نيسابور) وأفغانستان الشمالية (اشتهر منها هراه وبلخ) وتركمانستان (اشتهر منها مرو) ؛ انظر: محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى : **مفاتيح العلوم** ، القاهرة ، دار النهضة العربية. ص95؛ لويس معلوف : **المنجد فى اللغة** ، بيروت ، الطبعة الكاثوليكية ، 1966م ، (قسم الأدب والعلوم) ، ص174.

[6]- **خوزستان :**بلاد شرقيها حد فارس وحدود أصفهان ، وجنوبها البحر وشىء من العراق وغربها حدود العراق، وشمالها مدن بلاد الجبال، وهى بلاد عامرة وأكثر نعمة من كل البلاد المتصلة بها ؛ انظر: مجهول : **حدود العالم** ، ص 149.

[7]- **أذربيجان :** إقليم يقع إلى الغرب من بحر قزوين ، وكانت أردبيل أكبر مدنه وبها دار الإمارة ، وهى من الجمهوريات التى استقلت عن الإتحاد السوفيتى سنة 1991م ، وعاصمتها باكو. =
= الاصطخرى : **مسالك الممالك** ، ليدن ، مطبعة بريل ، 1937م ، ص 181 ؛ رأفت الشيخ ، ومحمد رفعت : **آسيا فى التاريخ الحديث والمعاصر**، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الانسانية ، ط2، ص 2001م ، ص 279 .

[8]- المقدسي: أحسن التقاسيم, ص385.

وينقسم إقليم الجبال إلى خمس مناطق رئيسية : كرمانشاه[4]، وهمذان وأصفهان ، والرى ، وثغر قزوين ، فالأولى تمثل المنطقة الغربية من إقليم الجبال ، وهمذان تلى المنطقة السابقة جنوبا ، أما أصفهان فتقع فى الطرف الجنوبى الشرقى من إقليم الجبال ، قرب حافة المفارة الكبرى[5].

1- ازدهار الطب و انتشار الثقافة الطبية في إقليم الجبال:

اعتنى وزراء الدول المستقلة التي كتب لها السيطرة على اقليم الجبال بجعل مجالسهم منارة للعلم؛ فكان قصر الصاحب بن عباد من مراكز الحضارة الأربعة فى إيران ، التى جذبت إليها رجال العلم والأدب[6].

ومن مجالس العلم باقليم الجبال مجلس الوزير ابن العميد, مجلس علم يتنافس فيه العلماء بعلمهم [7].

---

[1]- **قزوين** : مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخاً، أول من استحدثها سابور ذو الأكتاف ، وعندما ولى سعيد بن العاص، الكوفة غزا الديلم ، فأوقع بهم وقدم قزوين فمصرها وجعلها ثغر أهل الكوفة إلى الديلم ؛ انظر : ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، بيروت ، دار صادر، ط2، 1995م ، جـ4 ، ص 343.

[2]- **لرى:** مدينة كبيرة ، وقدر عمارتها فرسخٌ ونصف فى مثله ، وفى المدينة نهران يجريان بها، ومن أبرز قراها قرية (طهران) ، بينهما نحو فرسخ ، وأصبحت هذه القرية (طهران الحديثة) عاصمة إيران ؛ انظر : ياقوت الحموى : **معجم البلدان** ، جـ4 ، ص 51 ؛ عماد الدين إسماعيل: **تقويم البلدان** ، ص431.

[3] - ابن حوقل: صورة الأرض, ص304.

[4]- **كرمانشاه :** وهى قرميسين القديمة ، وهى من أجل مدن الجبل ، وهى عامرة ، وينبت بها الزعفران؛ انظر: لسترنج : **بلدان الخلافة الشرقية** ، ص 222.

[5] - عصام الدين عبد الرؤف: الدول المستقلة فى المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي, ص238

[6]- مراكز الحضارة فى إيران فى القرن الرابع الهجري هي :
1- قصر الصاحب بن عباد بأصفهان .
2- قصر السامانيين فى بخارى.
3- قصر شمس المعالى (قابوس بن وشمكير) فى طبرستان وجرجان.
4- قصر ملوك خوارزم المعروفين باسم (مأمون) فى " خيوة " ؛ انظر: إدوارد جرانفيل براون : **تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى** ، ترجمة : إبراهيم أمين الشواربى ،مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، 2004 م ، ص 117.

[7] عندما ورد القاضى الجعابى أصفهان مع الوزير أبى الفضل بن العميد جرت بينه وبين الطبرانى مذاكرة فكان الطبرانى يغلب الجعابى، وفى ذلك يقول ابن العميد : ما كنت أظن أن فى الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التى أنا فيها ، حتى شهدت مذاكرة الطبرانى ، وأبى بكر الجعابى بحضرتى ، فكان الطبرانى يغلب الجعابى بكثرة حفظه ، وكان الجعابى يغلب الطبرانى بفطنته وذكاء أهل بغداد ، انظر : أبو زكريا يحيى ابن منده : **ذكر أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى**، ص 344.

وعندما أصبح ابن سينا[1] وزيراً لعلاء الدولة بأصفهان، جعل علاء الدولة ليالى الجمعات مجلس العلم بين يديه بحضرة سائر العلماء ، وابن سينا فى جملتهم[2].

أما الصاحب بن عباد فقد وصف الثعالبى[3] مكانته فى العلم ، وكذلك مجلسه، بقوله: " هو صدر المشرق وتاريخ المجد ،وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان.. ولولاه ما قامت للفضل فى دهرنا سوق ،وكانت أيامه للعلوية والعلماء ، والأدباء والشعراء وحضرته محط رحالهم ، وموسم فضلائهم ومترع آمالهم ، وأمواله مصروفه إليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم ".

وكان الصاحب بالرغم من انشغاله بسياسة أمور الدولة ، يجمع العلماء والمحدثين من حوله ، ويتدارسون العلم فيما بينهم ، ومن ذلك أنه جمع حفاظ الحديث بأصبهان ، فأخذوا فى مذاكرة الحديث ، ثم تعرضوا بعد ذلك لتراجم الشيوخ[4].

وكان الصاحب بن عباد هو الآخر يتمتع بالثقافة الطبية ؛ حيث ذهب الثعالبي إلى أن له رسالة في الطب وجدها تجمع إلى ملاحة البلاغة ، ورشاقة العبارة ، حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه ، وتدل على تبحره في ذلك العلم ، وكان قد كتبها إلى أبى العباس الضبى قال فيها :" قد عرفت ما شرحه مولاى من امره ،وأنبأ عنه من أحوال جسمه فدلتنى جملته على بقايا في البدن يحتاج معها إلى الصبر وإلى التنقية ،والرفق بالتصفية فأما الذي يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته فلأمرين أحدهما أن الجسم

كما قلت آنفا لم ينق فتتفق الشهوة الصادقة وترجع العادة السابقة ، والآخر أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولذت بها المبردات قلت الشهوة وضعف الهضم ، ومع ذلك فلابد مما يطفي ويغذى ، ثم يمكن من بعد أن يتدارك ضعف المعدة بما يقوى منها ويزيل العارض المكتسب عنها ..[5]".

---

(1) **ابن سينا** : لقب بالشيخ الرئيس ،وعرف بالمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابى ، كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى ، وكان من العمال الكفاة ، تولى العمل بقرية من قرى بخارى تدعى خرمثينا ، وتزوج منها ، وولد له ابن سينا فى سنة 370هـ/ 980م ، وعندما بلغ العاشرة كان قد حفظ القرآن ، وبرع فى الأدب العربى ، ووقف نفسه خلال السنوات التالية على دراسة الشريعة الإسلامية والفلسفة والعلوم الطبيعية ، كما درس المنطق ، ومصنفات اقليدس وإيساغوجى ، ثم وجه عنايته فى سن السادسة عشرة إلى دراسة الطب ، وما كاد يبلغ الثامنة عشر من عمرة حتى كانت شهرته كطبيب قد بلغت حدا جعله يستدعى لعلاج الأمير السامانى نوح بن منصور ؛ انظر:براون : **الطب العربى** ، ترجمة: أحمد شوقى حسن ، مؤسسة سجل العرب ، 1966م، ص 77؛

Seyyedhossein, Oliver leaman; History of Islamic philosophy, london, 1996. vol 1, p.231.

[2] - ابن سينا: منطق الشرقيين والقصيدة المزدوجة فى المنطق, ص ح.

[3] - يتيمة الدهر, ج3, ص169.

[4] - الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج16, ص87.

[5] - الثعالبي: يتيمة الدهر, ج3, ص18.

وكتب الخوارزمى[1] يصف حضرة أبى محمد العلوى : " ما رأيت حضرة أكثر منها داخلا راجيا ولا خارجا راضيا ، ولا أجمع فيها بين وجهين قد فرق بينهما الأصل والنسب ، وجمع بينهما القصد والطلب ، فوردا وهما أعرى من الحية وصدرا وهما أكسى من الكعبة... حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء ، وملقى الرحال وموسم الشعراء، وقرارة ينصب إليها العلم والأدب".

بالإضافة إلى مجالس علم الوزراء, ظهرت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى العديد من المدارس ، التى أنشأها الفقهاء والعلماء فى منطقة خراسان وما وراء النهر، ويبدو أن أصفهان شاركت فى هذا التحول ؛ فكان بها مدرسة تسمى مدرسة ابن سينا.

وترجع شهرتها إلى أن الشيخ الرئيسى أبو على بن سينا كان يقوم بالتدريس فيها أثناء إقامته بأصفهان[2].

ومن المؤسسات التى يمكن أن نضمها إلى معاهد العلم، البيمارستان (المستشفى)؛ التى لعبت دوراً هاما فى النهضة العلمية فى مجال الطب والعلاج خلال القرن الرابع الهجرى، بالإضافة إلى أنها كانت بمثابة معاهد علمية لتعليم الطب ، فكان الطلبة يجتمعون فى القاعة الكبرى من المستشفى حيث كانوا يراجعون دروسهم وينسخون المخطوطات الطبية التى راجعها أساتذتهم وأصلحوها لهم ، وكان هؤلاء الأساتذة يلقون عليهم الدروس من مؤلفات جالينوس والرازى وابن المجوسى حتى ظهر قانون ابن سينا الذى كسف التعاليم السابقة له[3] .

ومن أطباء أصفهان ، ابن مندويه ، الذى عمل بمستشفى عضد الدولة فى بغداد ، ويبدو أنه كان على إتصال دائم بالعاملين بمستشفى أصفهان ودليل ذلك ، (رسالة إلى المتقلدين علاج المرضى ببيمارستان أصفهان) ، وكان له عدد كبير من التلاميذ فى كل مكان[4].

ومن أطباء أصفهان (المرزبانى) وهو أحمد عبد الرحمن بن على بن المرزبانى(توفى فى بداية القرن الخامس الهجرى) تولى إدارة مستشفى عضد الدولة، ويبدو أنه عمل محاضراً للطب الشرعى؛ لأن سيرته الذاتية تشير إلى براعته فى القانون الإسلامى (قاضى) والطب[5].

ومن أطباء مدينة الري, والذي حاز مكانة متميزة بين أقرانه في صناعة الطب: أبو بكر الرازي(ت313هـ), والذي تعلم الطب وهو كبير, على يد علي بن ربن الطبري.

---

[1] - رسائل أبى بكر الخوارزمى, ص176

[2] - زنوبة نادي مرسي: أضواء على بعض مظاهر الحضارة فى مدينة أصبهان فى العهد البويهى,ص202.

[3] - رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق خلال العصر البويهى,ص232.

[4] - ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء, ص423.

[5]-Cyrilelgood. Medical history of persia,p163

وكان الرازي مجتهدا في صناعة الطب, والكشف عن حقائقها وأسرارها[1]؛ فتولى تدبير بيمارستان الري، ثم رياسة أطباء البيمارستان المقتدري في بغداد.

وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه، ودونهم تلاميذهم، ودونهم تلاميذ أخر، فيجئ المريض فيذكر مرضه لاول من يلقاه، فان كان عندهم علم وإلا تعداهم إلى غيرهم، فإن أصابوا وإلا تكلم الرازي في ذلك[2].

ولما كانت خزائن الكتب فى المدارس من الأمور التى تساعد على الدرس والبحث، فقد أكثر مؤسسو المدارس من وقف الكتب على اختلاف علومها وفنونها فى المدارس وأنشأوا لها المبانى الخاصة والحجرات العديدة ،وأقاموا عليها الخزان والمشرفين والنظار[3].

ودار الكتب بأصفهان ، بجوار مسجدها الجامع ، وذهب المافروخى[4]إلى أن الذى بناها هو أبو العباس الضبى[5] ويشتمل فهرسها على ثلاث مجلدات كبيرة، من المصنفات فى التفاسير وغرائب الأحاديث ،ومن المؤلفات فى النحو واللغة ومن المدونات من غرر الأشعار وعيون الأخبار من سنن الأنبياء والخلفاء وسير الملوك والأمراء وكذلك كتب فى المنطق والرياضيات والطبيعيات والألهيات.

ويبدو أنه كان فى عهد الصاحب دار للكتب ، مفتوحة لأهل العلم ؛ حيث يقول أبو حيان التوحيدى سمعت أبا الفضل الهروى يقول للصاحب " لو وضع فى خزانة الكتب للوقف شئ من الطب لكان ذاك بابا من المنافع الحاضرة ، والخير العام[6]".

ومن أشهر المكتبات الخاصة باقليم الجبال، مكتبة الصاحب بن عباد ، التى كانت حافلة بالكتب التى بلغ تعدادها مائتين وستة آلاف مجلد ،وذكر البعض أن كتب اللغة وحدها كانت حمل ستين جملاً[7].

وكان أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن ،وهو من خواص الصاحب ، يتولى خزانة كتب الصاحب[1] وعين الصاحب من يقوم بنسخ الكتب ؛ حيث كانت رسائله وكتبه مطلوبة بخراسان وغيرها من البلاد ، ومن أشهر هؤلاء النساخ، أبو حيان التوحيدى[2].

---

[1] - محمود دياب: الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية, ص186.

[2] - الزركلي: الأعلام,ج6, ص130.

[3] - ناجي معروف: مدارس قبل النظامية ،ص14.

[4] - محاسن أصفهان,ص85.

[5]- الوزير أبو العباس أحمد الضبى، تولى الوزارة بعد وفاة الصاحب ، لفخر الدولة بن بويه ؛ انظر : خواندمير : **دستور الوزراء** ، ص 223.

[6] - التوحيدي: مثالب الوزيرين, ص80.

[7] - أحمد بن محمد الحسني: رسالة لارشاد فى أحوال الصاحب ابن عباد,ص31.

وكان للوزير ابن سينا مكتبة خاصة باقليم الجبال[3]، بالإضافة إلى ذلك انتشرت باقليم الجبال مكتبات الفقهاء والعلماء ، ومن أشهرها مكتبة الطبرانى[4].

2- أبرزعلماء الطب في إقليم الجبال:

ازدهر علم الطب في ذلك الاقليم، وبخاصة فى عهد بنى بويه ، ونبغ فيه علماء من أبرزهم :عبد الرحيم بن على بن المرزبان ، كان أصفهانى الأصل ، عالماً بعلم الشريعة وعلم الطب ، ارتقى به الحال فى ظل أمراء بنى بويه، فعمل قاضياً بتستر وخوزستان ، ثم استدعى لإدارة بيمارستان بغداد[5]، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى سنة ست وتسعين وثلاثمائة[6] .

وبرز فى عهد بنى بويه بأصفهان أبو على أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه ، استدعاه عضد الدولة للعمل ببيمارستان بغداد ، ووصفه ابن أبى أصيبعه[7]بأنه من أشراف أصفهان وكان والده عبد الرحمن بن مندويه أديبا فاضلاً ، له أشعار حسنة منها :

ويحرز أموالاً رجالا اشحة وتشغل عما خلفهن وتذهل

لعمرك ما الدنيا بشيء ولا المنى بشيء ولا الإنسان معلل

ومن مصنفات ابن مندويه أربعون رسالة إلى جماعة من أصحابه فى الطب، منها : رسالة إلى أحمد بن سعد فى تدبير الجسد ، ورسالة إلى عباد بن عباس فى تدبير الجسد ، ورسالة إلى أبى الفضل العارض فى تدبير الجسد ، ورسالة إلى أبى القاسم أحمد بن على بن بحر فى تدبير المسافر ،ورسالةإلى حمزة بن الحسن فى تركيب طبقات العين، ورسالة إلى عباد بن عباس فى وصف انهضام الطعام ، ورسالته إلى أحمد بن سعد فى وصف المعدة والقصد لعلاجها ، ورسالة إلى مستفسر فى تدبير جسده وعلاج دائه ، ورسالة إلى أبى محمد بن أبى جعفر فى تدبير ضعف الكلى لمن يستبشع الحقنة.

مما سبق يتبين لنا أن دوره لم يتوقف عند علاج المرضى بمستشفى بغداد ، بل امتد ليشمل محاولاته فى نشر علم الطب وتعليمه .

---

[1] - الثعالبي: يتيمة الدهر, ج3,ص292.

[2] - بدوي طبانة: أبو حيان التوحيدي, ص337.

[3] - صدر الدين: أخبار الدولة السلجوقية, ص6.

[4] - الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج16,ص127.

[5] أنشأ عضد الدولة بيمارستان ببغداد فى الجانب الغربى فى سنة (372هـ/982م) ؛ انظر: ابن تغرى بردى. **النجوم الزاهرة** ، جـ4 ، ص 145.

[6] - القفطي: تاريخ الحكماء, ص23.

[7] - طبقات الأطباء, ص422.

ومن كتبه : كتاب الجامع المختصر من علم الطب ، وكتاب الأطعمة والأشربة ، وكتاب نهاية الاختصار فى الطب ، وكتاب الكافى فى الطب ، ويعرف أيضاً بكتاب القانون الصغير[1] .

وبلغت مكانته فى علم الطب أننا نجد البيرونى ينقل عنه ، من كتاب الكافى فى الطب وفى عدة مواضع من كتابه الصيدنه ، وفى تقويم الصحة لابن بطلان نصوص عدة عن كتاب الأغذية[2].

ومن أبرز فلاسفة اقليم الجبال ابن مسكوية ولد في مدينة الري(طهران حاليا)[3] وهو أحمد بن محمد بن يعقوب، الملقب بمسكوية عمل لدى الوزير أبى محمد المهلبى وزير معز الدولة ببغداد ، ثم خدم بعد ذلك الأمير عضد الدولة فكان فى ندمائه ورسله ، ثم خدم بعد ذلك الوزير أبا الفضل بن العميد بالرى وابنه أبا الفتح[4].

ومن مصنفاته : كتاب الفوز الأكبر، والفوز الأصغر ، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم ، وترتيب العادات ، وآداب العرب والفرس ، وتطهير الأعراق فى علم الأخلاق ، وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ،وكتاب الطهارة فى الحكمة العملية ، ورسالة فى ماهية العدل[5].

ومن كتبه فى الطب : كتاب الأدوية المفردة[6].

عندما تطرق ابن مسكوية للدرس والتأليف فى الفلسفة ، لاحظ عناية الفلاسفة بالدراسات الفلسفية النظرية ، وقلة إهتمامهم بالتفكير العملى وخاصة الأخلاق ، فركز على هذه الناحية ، ووضع فيها مؤلفات عديدة ، حتى أقبل طلاب العلم فى زمانه على دراستها وشغف الناس بمطالعتها ، وأخذ الفلاسفة من أصدقائه يناقشون مسائلها فى مجالسهم ، فصارت المواضيع الأخلاقية بفضله تحتل المكانة الأولى ، ولهذا يلقبونه بالمعلم الثالث[7].

توفى مسكوية فى سنة (421هـ/ 1030م)[8] .

وقد سبق وذكرنا قدوم الشيخ الرئيس ابن سينا إلى اقليم الجبال، والتحاقه بعلاء الدولة ابن كاكوية حيث عمل وزيراً ، وكان يشتغل أيضاً بالتدريس ، أما بالنسبة لمكانته فى الفلسفة ، فقد عُرف بالمعلم

---

[1] - ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء,ص423.

[2] -البيروني: الجماهر فى الجواهر, ص23.

[3] - المافروخي: محاسن أصفهان, ص34.

[4] - محمد عواد: مسكوية المعلم الثالث أول فيلسوف للأخلاق فى الإسلام، ص88

[5] - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين,ص303.

[6] - القفطي: تاريخ الحكماء,ص332.

[7] - عبد العزيز عزت: ابن مسكويه فلسفته وأخلاقه ص 8.

[8] - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، صفحة 303.

الثالث بعد أرسطو والفارابى ، ويبدو أنه بعد إطلاعه على كتب الفارابى وجه إهتماماً خاصاً للحكمة الإلهية وما وراء الطبيعة[1].

وتزيد مؤلفات الشيخ عن مائة مصنف، وأشهرها كتاب الشفاء فى الحكمة ، وكتاب القانون فى الطب، وهما من أمهات الكتب العلمية فى العالم .

ويبدو أن مجلس العلم الذى أقامه ابن سينا بأصفهان قد أثر فى عناية "أبو عبد الله معصومى الأصفهانى" بالفلسفة ، حيث درس بحضرة الشيخ الفلسفة والعلوم العقلية ،ومكانة معصومى من الشيخ الرئيس يوضحها قول ابن سينا: "مقام معصومى فى حضرتى مثل مقام أرسطو لدى أفلاطون " وتأثر كذلك بابن سينا فى عنايته بالحكمة الإلهية ، وتوفى معصومى فى سنة (450هـ/ 1058م).

ومن مصنفاته : كتاب دانشوران ، ومن مصنفاته فى الطب كتاب حفظ الصحة[2].

2-1- طرق العلاج المستخدمة:

كان اطباء ذلك الاقليم يعتمدون على قوانين الوقاية الصحية كثيرا ومعرفتهم بها كانت كاملة, ويستفيدون من الطبيعة اكثر, ومسألة الحمية التي هي من التعاليم الاكيدة في الطب الحديث كانت أصلا عندهم. وكذلك استخدموا الأدوية التى قام على تحضيرها الأطباء والصيادلة.

استخدم أهل اقليم الجبال طرق عدة للعلاج منها استخدام الحجامة فى العلاج من بعض الأمراض ، وذهب أبو يعقوب الشريطى عند حديثه عن الحجامة فى مجلس داود بن على الأصفهانى إلى أن الحجامة ، كان أول ظهورها بأصفهان[3].

وكان بعض سكان اقليم الجبال يذهبون إلى الأهواز (منطقة عسكر مكرم) للعلاج[4]، وكذلك استخدموا عيون الماء الحارة للاستشفاء بمائها ؛ حيث كان بأصفهان عينا ماء يقصدهما الناس من كافة الأنحاء للاستشفاء من الأمراض الجلدية كالحكة والبثور[5].

اشتهر اقليم الجبال بموارد طبيعية، تستخدم فى تحضير الأدوية، ومنها : الأثمد، وهو حجرالكحل الأسود ، وذكر البيرونى[6]أن الصيادلة أجمعوا على تفضيل الأثمد الأصفهانى، وكانوا يستخدمونه فى قطع

---

[1] - رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي, ص62.

[2] - محمود نجم آبادي: تاريخ طب در ايران، ص 691

[3] - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب,ج2,ص318.

[4] - التنوخي: الفرج بعد الشدة,ج2,ص83.

[5] - ابن رستة: الأعلاق النفيسة, ص158.

[6] - الجماهر في معرفة الجواهر,ص141.

النزيف ، ويوضع أيضاً على القروح كمطهر، وكانوا يدقونه ويخلطونه ببعض الشحوم ،ويوضع على الحروق فلا تتقرح ، وكانوا يعتبرونه أجود أنواع أكحال العين للذين ضعفت أبصارهم، وذلك يعد خلطة بالمسك[1].

واستخدموا(الأشق[2])المحلول بالخل كدهان لعلاج أمراض الجلد[3] ونقل البيرونى عن حمزة الأصفهانى أنه قال : أن بقرية قهرود من رستاق قاشان نباتا يتحول إلى زجاج أبيض ، يستخدمه أهل أصفهان فى صنوف شتى من الأدوية.

ومن نباتات اقليم الجبال الطبية (السكبينج) ، وهى صمغة نبات يشبه القثاء ، ينبت بقرية (مورجه خرت) بأصفهان ، وعليه يعتمد الأطباء ، ويدخلونها فى الأدوية الرئيسية، ومن ذلك أنه أفضل الأدوية للماء النازل فى العين، ويستخدم أيضاً كعلاج للسعال المزمن[4] ومن شجر أصفهان (الأرجوان) الذى يتميز بالزهر شديد الحمرة ، ويستخدم لحاء هذا الشجر كأدوية للقئ[5].

واستخدم أطباء اقليم الجبال (الزعفران) فى تحضير أدوية للمعدة والكبد ، وبلغت شهرة الأدوية المصنوعة بأصفهان، أن أقبل عليها أهل الأقاليم المجاورة ، ومن ذلك (الحُبلة) وهو دواء مسهل ، يسهل الماء والبلغم[6] وكذلك دهان من السمسم ونوع من أنواع الصفصاف كان أهل الأهواز يقبلون عليه ، لاستخدامه فى علاج لسع العقارب[7].

وقد وجد استخدام الأغذية في العلاج عناية كبيرة من الأطباء خلال تلك الفترة؛ فقال الرازي: إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة.

ولم يكتفي الرازي بدعوته تلك, بل قام بتأليف كتاب الطب الملوكي في العلل وعلاج الأمراض كلها بالأغذية[8].

وله أيضا كتاب" كتاب فِي أَن الحمية المفرطة والمبادرة إِلَى الْأَدْوِيَة والتقليل من الأغذية لَا يحفظ الصِّحَّة بل يجلب الْأَمْرَاض" يظهر مدى عنايته بالأغذية, والعناية في تحصيلها؛ لتحصين الجسد.

---

[1] - ابن قيم الجوزية: زاد المعاد. ج4، ص 283.

[2] - نبات معمّر يبلغ ارتفاع ساقه 180 إلى 250 سم، قطر الساق 3 إلى 6 سم، له أوراق قاعدية من ثلاثة أجزاء، وثمار بيضوية الشكل ذات لون بني مائل للبنفسجي، وأزهاره البيضاء داخل مظلته.

[3] - ثابت بن قرة:الذخيرة في علم الطب, ص 13.

[4] - ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية,ج3، ص 33.

[5] - ابراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطب,ص157.

[6] - البيروني: الصيدنة ، صفحة 285.

[7] - ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص 157.

[8] - محمود دياب: الطب والأطباء، ص 188

وللرازي كذلك كتاب :" كتاب أَطْعِمَة المرضى", وكتاب كتاب مَنَافِع الأغذية وَدفع مضارها وَهُوَ مقالتان يذكر فِي الأولى مِنْهُمَا مَا يدْفع بِهِ ضَرَر الْأَطْعِمَة فِي كل وَقت ومزاج وَحَال وَفِي الثَّانِيَة قَولَانِ اسْتِعْمَال الأغذية وَدفع التخم ومضارها أَلفه للأمير أبي الْعَبَّاس أَحْمد بن عَليّ.

وله مقَالَة فِي الأغذية مُخْتَصر مقَالَة فِيمَا سُئِلَ عَنهُ فِي أَنه لم صَار من قل جمَاعَة من الْإِنْسَان طَال عمره ألفها للأمير أبي الْعَبَّاس أَحْمد بن عَليّ[1].

ثم شارك ابن مسكوية الفيلسوف في هذا الباب بالتأليف في طب الاطعمة والأغذية ومن كتبه في هذا المجال: كتاب فى تركيب الباجات[2] من الأطعمة, أو كتاب الطبيخ, وكتاب الأشربة[3].

ثم قام ابن مندويه بتأليف كتاب الأطعمة والأشربة, والذي يعد خطوة مهمة في مجال الطب الغذائي؛ فالمعلومات المذكورة كانت تعتمد على الملاحظة الشخصية, والتجربة للوصول إلى الطعام الأوفق والأصلح للجسم, وهذه هي الغاية الأساسية من تأليف الكتاب كما أوردها ابن مندويه في مقدمة المخطوط" وأحسن الأقوات من الجسد أنماه وأهناه وأمراه فيه وألذه عنده وأشهاه إليه وقرنت بين الأشهى والأوفق في كتابي هذا[4]."

خاتمة:

شهدت مجالس العلم والعلماء سواء على مستوى رجال السياسة , وكبار رجال الدولة, والعلماء, عناية فائقة في عهد أمراء بني بوية؛ وقد ساعدهم في ذلك اختيارهم لوزراء تميزوا بمكانتهم العلمية, بالاضافة إلي رغبتهم في جعل قصورهم منارة للعلم تضاهي عاصمة الخلافة بغداد.

وقد اعتنى هؤلاء الوزراء بالطب والاطباء, فجمعوا حولهم كبار الأطباء وخصوهم بالرعاية والمكانة , فتفرغوا لعلاج المرضى في المستشفيات المنتشرة في اقليم الجبال ومنها: مستشفى أصفهان, ومستشفى الري.

وقد أسهم سيطرة أمراء بني بوية على بغداد عاصمة الخلافة, واستقدامهم لعديد من الأطباء من اقليم الجبال للعمل في مستشفيات بغداد (العضدي)؛ في نشاط ملحوظ للمراسلات الطبية بين أطباء اقليم الجبال المقيمين, والعاملين في بغداد؛ ليفيدوا من علمهم في كل ماهو جديد, فوجدنا أكثر من 40 رسالة كتبها ابن مندويه للرد على استفسارات مختلفة, ومعالجات عدة لأمراض مستعصية في عصرة.

---

[1] - ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ص 114-127.

[2] -**الباجات**: معرب وأصله بالفارسية باها " أى ألوان الأطعمة " ؛ انظر : ابن منظور : **لسان العرب**، جـ1 ، ص 198.

[3] - القفطي: تاريخ الحكماء. ص 332.

[4] - محمد تلرفادي: دراسة علمية لصناعة الأرزية, ص87.

ولم يكتفوا بعلاج المرضى بل كان لهم عشرات التلاميذ يتلقون علم الطب العملي بين أيديهم, وأفرزت أقلامهم عشرات المؤلفات تناقش طرقا عد لعلاجات تقوم على التجربة العلمية, والمشاهدة لأثر الأدوية: العشبية, والتركيبات الكيميائة, ومحاولتهم كذلك استخدام الأغذية كطريقة لحفظ الصحة, وعلاج الأمراض.

قائمة المصادروالمراجع:

- ابراهيم بن مراد. بحوث فى تاريخ الطب والصيدلة. بيروت: دار المغرب الإسلامي,1991م.
- ابن أبي أصيبعة. موفق الدين أبى العباس أحمدبن القاسم السعدى (ت668هـ \1269م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء. بيروت: دار مكتبة الحياة,1995م.
- ابن البيطار. ضِيَاءٌ الدِّينُ أبو مُحَمَّدٌ عَبد الله(ت646هـ/ 1248م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية . القاهرة: مطبعة اسماعيل ابراهيم.
- ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. بيروت: دار الكتب العلمية,1998م.
- ابن حوقل. أبو القاسم محمد بن على (ت 367هـ\ 977م):صورة الأرض. القاهرة: دار الكتاب الاسلامي.
- ابن رستة.أحمد بن عمر(ت 300 هـ / 912 م) :الأعلاق النفيسة . ليدن: مطبعة بريل,1891م.
- ابن سينا. على الحسين بن عبد الله(ت429 هـ\ 1037م): منطق الشرقيين والقصيدة المزدوجة فى المنطق . القاهرة: المكتبة السلفية,1910م.
- ابن قيم الجوزية. زاد المعاد فى هدى خير العباد. تحقيق: شعيب الأرنوؤط، وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة,1994م.
- أحمد بن محمد الحسني . رسالة لارشاد فى أحوال الصاحب ابن عباد . ملحق بكتاب المافروخى : محاسن أصفهان .
- البيروني. أبو الريحان محمد بن أحمد(ت 440هـ\1048م):
- الجماهر فى الجواهر. تحقيق:يوسف الهادي، تهران: شركة النشر العلمي,1995.
- الصيدنة . بغداد: معهد الدراسات الإسلامية.
- التنوخي. الفرج بعد الشدة. القاهرة: مطبعة الهلال,1904م.
- التوحيدي. على بن محمدبن العباس (ت 414هـ \1022م): مثالب الوزيرين. تحقيق:ابراهيم كيلاني، دمشق: دار الفكر,1961م.
- الثعالبي. أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ \ 1037م): يتيمة الدهر. القاهرة: المكتبة الحسينية,1943م.
- الخوارزمي. رسائل أبى بكر الخوارزمى. قسطنطينة: مطبعة الجوائب,1297هـ.
- الذهبي. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨ هـ): سير أعلام النبلاء. تحقيق:أكرم البوشي، بيروت: مؤسسة الرسالة,1993م.
- الزركلي. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين,1980م.
- القفطي. جمال الدين أبو الحسن(ت 646هـ/1248م): تاريخ الحكماء . المانيا: معهد تاريخ العلوم العربية,1999م.

- المافروخي. مفضل بن سعد(القرن الخامس الهجري): محاسن أصفهان. طهران: مطبعة مجلس.
- المقدسي. أبو عبد الله محمد(ت 378هـ\988م): أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم . ليدن: مطبعة بريل,1906م.
- بدوي طبانة. الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم . القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.
- ثابت بن قرة.(ت288م/901م): الذخيرة فى علم الطب . القاهرة: المطبعة الاميرية,1928م.
- رشاد معتوق. الحياة العلمية فى العراق خلال العصر البويهى. مكة: معهد البحوث العلمية واحياء التراث الإسلامي,1997م.
- رضا زاده شفق. تاريخ الأدب الفارسى . ترجمة: محمد موسى هنداوي، القاهرة: دار الفكر العربي,1947م.
- زنوبة نادي مرسي. أضواء على بعض مظاهر الحضارة فى مدينة أصبهان فى العهد البويهى (العدد4). جامعة القاهرة: مجلة كلية الاداب,1998م.
- صدر الدين أبى الحسن على بن أبى الفوارس. أخبار الدولة السلجوقية . بيروت: دار الافاق الجديدة,1984م.
- عبد العزيز عزت. ابن مسكوية فلسفته الأخلاقية ومصادرها. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي,1946م.
- عصام الدين عبد الرؤوف. الدول المستقلة فى المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسى حتى الغزو المغولى . القاهرة: دار الفكر العربي,1999م.
- عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين . بيروت: مؤسسة الرسالة,1993م.
- لسترنج. بلدان الخلافة الشرقية. ترجمة: بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد، بغداد: مطبعة الرابطة,1954م.
- محمد تلرفادي وآخرون. دراسة علمية لصناعة الأرزية في مخطوط الأطعمة والأشربة (العدد14). حلب: مجلة بحوث جامعة حلب, 2019م.
- محمد عواد. مسكوية المعلم الثالث أول فيلسوف للأخلاق فى الإسلام، الجامعة الأردنية قافية . الاردن: الجامعة الاردنية- المجلة الثقافية,1989م.
- محمود دياب. الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية,1970م.
- محمود نجم آبادى. تاريخ طب در إيران بس از اسلام از ظهور اسلام تادوران مغول. تهران: مؤسسة انتشارات وجاب دانشكاه,1275ش.
- ناجي معروف. مدارس قبل النظامية ، بغداد: مطبعة المجتمع العلمى العراق, 1973م .

-Cyrilelgood. Medical history of persia, cambridge,1951.

الصيدلة الأندلسية خلال القرنين 4-5 هـ / 10-11 م، عصر ابن وافد الطليطلي.

Andalusian Pharmacy during the 4th-5th century AH / 10th-11th century CE, the era of Ibn Wafid Al-Tulaitili

ط د. حسين فهيس، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور
جامعة المدية، الجزائر
astrocine@hotmail.com

ملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى التنقيب عن تاريخ الصيدلة الأندلسية خلال القرنين 4-5 هـ / 10-11 م، وهو العصر الذهبي الذي تأسست خلاله القاعدة الأساسية للطب والصيدلة في الأندلس.
تنصب دراستنا هاته على أن أحد أبرز أطباء وصيادلة القرن الخامس هجري، وهو ابن وافد، الذي أهملته الدراسات التاريخية إلا ببعض التلميحات معتمدا على ما قاله بعض المؤرخين فيه أمثال ابن صاعد وابن جلجل، لذلك ارتأينا أن نسلط الضوء على هذا العالم من خلال كتابه: الأدوية المفردة نموذجا ذاكرين أهمية الكتاب وتقسيماته.
الكلمات المفتاحية: الصيدلة، الأندلس، ابن وافد، الطب، الأدوية.

Summary:
This study aims to explore the history of Andalusian pharmacy during the 4th-5th century AH / 10th-11th century CE, which was the golden age when the basic foundation of medicine and pharmacy was established in Andalusia. Our study focuses on one of the most prominent physicians and pharmacists of the fifth Hijri century, Ibn Wafid, who has been neglected by historical studies except for some hints based on what some historians like Ibn Sa'id and Ibn Jalloul have said about him. Therefore, we decided to shed light on this scholar through his book: "Al-Adwiyah Al-Mufradah" as a model, highlighting the importance of the book and its divisions.
Keywords : Pharmacy, Andalucia, Ibn Wafid, Medecine, Medicines.

مقدمة:

تمثل دراسة الطب والخدمات الصحية في العالم الإسلامي عبر العصور نافذة كبيرة للاطلاع على أسباب رقي الحضارة الإسلامية في هذا المجال، وهو مجال حيوي يتعلق بصحة الانسان ووجوده، فمن خلال الحقائق التاريخية كانت الحضارة العربية الإسلامية مهتمة بالصحة خاصة مع ظهور الإسلام الذي نقل العرب من وضعية البساطة والضعف إلى وضعية الجاهزية والعلم والقوة، وفي هذا الشأن فقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة الاهتمام بالصحة في قوله: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، "الصحة والفراغ"، وقال أيضا: " ما أنزل الله عز وجل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله". رواه أحمد

نحاول من خلال هذا البحث الالمام بتاريخ الصيدلة خلال القرنين 4-5 هـ / 10-11 م مبرزين المحطات الأولى التي مهدت لظهور الصيدلة في الأندلس دون أن ننسى أسباب ازدهار علم الصيدلة والطب وأهم رواده، بالإضافة إلى تعريف علم الصيدلة وأهم قواعد المعالجة بالنباتات الطبيعية.

ثم ندخل عصر ابن وافد أي نهاية القرن الرابع الهجري والقرن الخامس الهجري، حيث يمكن الحديث عن الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية لهاته الفترة التي قاسها المؤرخون إلى عصر الخلافة (316- 422 هـ / 929 – 1031 م)، ومرحلة دول الطوائف (422 – 484 هـ / 1031 – 1091 م).

وعليه تهدف دراستنا هذه إلى البحث في تجليات شخصية علمية وسياسية هي ابن وافد الذي لم يحظى بكثير من الدراسات، حيث نجد ذكره في كتب التاريخ لا يتعدى بضعة أسطر، أو ورقات، وهذا ما أردنا في هذا البحث أن يبقى ذكر تاريخ الطب والصيدلة العربية والإسلامية مجرد نقل نم كتاب إلى كتاب أو أطروحة إلى أطروحة بل نرى أن تكون المواضيع أكثر تخصصا وليس عموميات.

وقد قمنا فيه باتباع المنهج الوصفي التحليلي في وصف شخصية ابن وافد وتحليل كتابه (كتاب الأدوية المفردة) الذي لقي شهرة واسعة في أوروبا خلال القرون السادس والسابع والثامن هجري، فضلا عن العلماء المسلمين الذي تلوه أمثال الغافقي وابن البيطار وغيرهم.

1. مفهوم الطب والصيدلة في الحضارة الإسلامية:

1.1 مفهوم الطب

1.1.1 تعريف ابن خلدون:

ذكر ابن خلدون في المقدمة عن الطب قوله : ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب، وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذية

بنضجه وقبوله للدواء ، أولاً: في السجية والفضلات والنبض، محاذين لذلك قوة الطبيعة، فإنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض. وإنما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء ، بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ، ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب[1].

2.1.1 تعريف ابن سينا :

الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح و يزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة .[2] كما عرف ابن سينا الطب في أرجوزته :

الطب حفظ صحة ، برء مرض ** من سبب في بدن عنه عرض**

و هذا التعريف لحد مهنة الطب تعريف مدهش في شموله مع إيجازه إذ يكاد يجمع كل فروع مهنة الطب ومراحل دراستها.[3]

3.1.1 تعريف الرازي:

أفرد الرازي تعريفا للطب في تعريفه الصناعة التي يحتاج إليها في سياسة جسده و تقويمه تسمى الطب، و ينقسم قسمين:

أحدهما تدبير الجسد الصحيح ليثبت له صحته، والآخر رد الجسم السقيم إلى حال الصحة... فليحرص الإنسان على علم ما يكسبه صحة و عافية و يدفع عنه مرضا و علة.

و قد أفرد الرازي في كتابه المنصوري في الطب المقالة الرابعة تحت عنوان: في حفظ الصحة، حيث تعرض لتقدير الحركة و حالها و وقتها ، و كذلك في تقدير النوم و وقته و منافعه و مضاره، و في تدبير المطعم ...[4]

2.1 مفهوم الصيدلة:

عرفها البيروني و قال عنها :

إن لفظة الصيدناني (الصيدلاني) معرفة من كلمة جندناني، وجندن أو جندل بالهندية هو الصندال، وأهل الهند يستعملونه كثيرا ويتداوون به أكثر من تداويهم بغيره من العطور.[5]

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، تح : محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، سنة 2011 (ب ط) ، ص 455 .

[2] ابن سينا ، القانون في الطب ، بيروت ، دار صادر (ب ط) ص 3 .

[3] أحمد محمد أبو زيد ، مرجع ذاته ، ص 289 .

[4] أنظر المقالة الرابعة من كتاب المنصوري في الطب ، مرجع ذاته ، الصفحات 203 - 236 .

[5] د.جلال محمد عبد الحميد موسى ، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية و الكونية ، لبنان ، دار الكتاب اللبناني ، سنة 1988 (ب ط) ص 222 .

كما عرف حسن صديق خان في كتابه: " السحاب المركوم في بيان أنواع الفنون وأقسام العلوم " بما يلي: أن علم الصيدلة هو فرع من فروع الطب، يبحث فيه عن تمييز المتشابهات من أشكال النباتات من حيث أنها صينية أو هندية أو رومية، وعن معرفة زمانها صيفية أو خريفية، و عن تمييز جيدها من رديئها، و عن معرفة خواصها".

ففي هذا التعريف نجد الصيدلة فرعا لعلم الطب يبحث في أحوال النباتات، ولذلك كان الفارق بينه وبين علم النبات أن علم الصيدلة باحث عن تمييز أحوالها أصالة، وعلم النبات باحث عن خواصها أصالة، الأول أشبه للعمل والثاني أشبه للعلم، وكل منهما مشترك بالآخر[1].

2. حركة الترجمة في الأندلس:

أما في المغرب الإسلامي فقد كانت هناك حركة للترجمة نشأت في عدة مدن إسلامية، و لكن أهم هذه المدن كانت طليطلة و خاصة بعد سقوطها في يد ألفونسو السادس عام 478 هـ / 1085 م، كانت هذه المدينة عامرة بالمكتبات العربية و كان يقطنها جماعات ثلاث : المسيحيون و العرب و اليهود، و قد قام الأخرون بدور الوساطة بين المسيحي و العرب، ثم بدأت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ثم إلى الإسبانية و ذلك بدأ من أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.[2]

و كان مسلمو الأندلس قد نشطوا قبل ذلك في ترجمة الكتب الإغريقية و اللاتينية إلى العربية ، ومن أمثلة ذلك كتاب ديوسقوريدس في الطب الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، و قام نفر من عجم الأندلس بنقله إلى العربية ، كما قاموا أيضا بنقل كتاب هورشيوس Horasius الروماني في التاريخ إلى العربية في عهد الحكم المستنصر بن الناصر (336 - 350 هـ) ، على يد أحد فقهاء قرطبة و أحد قساوستها المستعربين ، و بنى عليه أحمد بن محمد الرازي ما كتبه في الجغرافية التاريخية فيما بعد .[3]

و مما ساعد على رواج حركة الترجمة إلى العربية و منها إلى اللغات الأخرى ، وجود عدد وافر من العلماء والأدباء المسلمين الذين كانوا على معرفة باللغات الأجنبية و خاصة في القرن الخامس الهجري الذي ازدهرت فيه العلوم و الآداب الإسلامية ازدهارا كبيرا ، ومن هؤلاء عبد الدايم بن مروان بن جبر اللغوي نزيل ألمرية (ت 426 هـ) .[4]

---

[1] د.جلال محمد عبد الحميد موسى ، مرجع ذاته ، ص 221 .

[2] د.رجب محمد عبد المنعم ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف (دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني) سنة 1985 ، (ب ط) ص 453 .

[3] د.رجب محمد عبد المنعم ، مرجع سابق ، ص 453 .

[4] المرجع نفسه، ص 453 .

3. بدايات علم الصيدلة في الأندلس:

عرفت مرحلة خلافة الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-237هـ / 852-886) ظهور جماعة من الأطباء والصيادلة، وعرفت الجماعة المعاهدين، وهي أول من اشتغل بالطب و الصيدلة لعدم معرفة العرب بهذه الصنعة ومنهم خالد بن يزيد بن رومان النجراني الذي كان بارعا في الصيدلة حيث كان يصنع بيده الأدوية الشجارية، كما ظهر زمن الخليفة محمد بن عبد الرحمن أيضا جواد النصراني الذي تنسب إليه اللعوق ودواء الراهب والبسونات المنسوبة إليه وإلى حمدين ابن إبان.[1]

أما ابن ملوكة النصراني الذي ظهر في أيام الأمير عبد الله (275 – 300 هـ / 888 – 910 م) وأول دولة الخليفة عبد الرحمن الناصر من أعلى الصيادلة (كان يصنع بيده ويقصد العروق وكان على باب دارة ثلاثون ترسيما لقعود الناس.[2]

4. الحياة الفكرية والعلمية في القرنين 4 و 5 هـ:

انتشرت دور العلم في جميع أنحاء الأندلس وزادت عناية الخلفاء بالعلم والتعليم فأرسلوا البعثات العلمية إلى المشرق لنقل العلوم و الكتب و ازدهرت حركة التأليف و إنشاء المكتبات، و كان ذلك كله بتشجيع من الخلفاء و الأمراء الذين تنافسوا في اقتناء الكتب النفيسة.[3]

ومن أهم المكتبات نذكر مكتبة الحكم المستنصر الذي انصرف بعد تأمينه لدولته لهوايته المفضلة و هي الاهتمام بالثقافة و جمع الكتب، و قد جمع في قصره مكتبة يقدر بعضهم عددها فيها من الكتب بأربعمائة ألف مجلد، كما أنشأ المكاتب لتعليم الفقراء و اليتامى و شجع المؤلفين ، و كل ذلك جعل من قرطبة أعظم مركز علمي في الغرب كله الإسلامي و المسيحي على السواء .[4]

و استمر التقدم العلمي في عهد ملوك الطوائف (عصر ابن وافد) بالرغم من التفكك السياسي ، فقد نضجت الحضارة الإسلامية في هذه الفترة و زاد اهتمام ملوك الطوائف بالعلم و تنافسوا في تقريب العلماء و رعايتهم ، و استمرت هذه النهضة العلمية في التقدم في عهد ملوك بني الحمر في غرناطة الذي استمر قرنين و نصف من الزمان .[5]

5. ابن و افد الطليطلي (القرن 4 و 5 هـ):

---

[1] ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ج3، ص 65.

[2] ابن أبي أصبيعة، موفق الدين أحمد، عيون الأنباء في طبقاء الأطباء، ط4، بيروت، 1987، المجلد الثالث، ص 66.

[3] د.محمد عبده حتاملة ، موسوعة الأندلس و المغرب العربي، (الكتاب 1 ج 2) الجزائر ، دار المدار الثقافة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 سنة 2009 ، ص 1028 .

[4] د.سلمى الخضراء الجيوسي، مرجع ذاته ، ص 91 .

[5] د.محمد عبده حتاملة، مرجع سابق ، ص 1028 .

1.5 نبذة عن حياة ابن و افد الطليطلي:

نتحدث عن شخصية ابن وافد الطليطلي نموذجا لتاريخ الصيدلة الأندلسية في القرنين 4 و5هـ-10 و11م، مبرزين أهم المصادر التي تكلمت عنه، نسبه ومولده، شيوخه، ومعاصروه من العلماء ثم نتلكم عن أهم مؤلفاته والترجمات المنقولة إلى أوروبا، فضلا عن إنجازات ابن وافد في مجال الصيدلة والطب، كما نذكر أقوال العلماء والمؤرخين و الأطباء في شخصية ابن وافد وانتقاداتهم أيضا له في مجال الترجمة و الزراعة.

ومن بين أهم المصادرنذكر:

تكلم المؤرخون و الأطباء المشارقة و المغاربة (خاصة الأندلسيون) عن ابن وافد ، ممن عاصروه أو جاءوا بعده ، ويمكن التطرق إلى أهم هذه المصادر كما يلي :

- ابن أصيبعة في كتابه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (طبع في مصر، مطبعة مصطفى وهبي بالقاهرة سنة 1882، كما طبع في لبنان سنة 1965).
- ابن صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم.
- الغافقي في كتابه الأدوية المفردة.
- بالإضافة إلى ابن الزهد، وابن العوام.

أما نسبه ومولده هو الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحي بن وافد بن مهند اللخمي أحد أشراف أهل الأندلس ، و ذوي السلف الصالح منهم ، و السابقة القديمة فيهم ... استوطن مدينة طليطلة و كان في أيام ذي النون .[1]

وقد ولد ابن وافد في ذي الحجة من سنة سبع و ثمانين و ثلاثمائة[2]، أي أن ابن وافد ولد عام (387 هـ / 997 م) في المرحلة الثانية من عصر الخلافة التي تمتد من 366 - 422 هـ / 976-1031 م ، حيث تعرف بعصر الحجابة العامرية و هي مرحلة المنصور بن أبي عام (367 - 392 هـ / 977 - 1002 م)[3].

كما تلقى ابن وافد العلم على يد مجموعة من كبار العلماء الذين كانوا في طليطلة ، و تذهب بعض المصادر إلى أن ابن وافد قد عاصر العالم الفذ و الطبيب الشهير و أكبر الجراحين في القرون الوسطى : أبو القاسم الزهراوي حيث أخذ عنه مبادئ الطب و علم الصيدلة التي تفوق فيها الزهراوي ، بالإضافة إلى علماء آخرين .

---

[1] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ب ط) ص 447 .

[2] ابن أبي أصيبعة، مرجع ذاته، ص 446 .

[3] د.سلمى الخضراء الجيوسي، مرجع سابق، ص 91 - 99 .

ومن من عاصر ابن وافد علماء لا حصر لهم على اعتبار أن المرحلة التي عاش فيها هذا العالم كانت تمثل العصر الذهبي للعلوم في الأندلس، و يكفي أنه أخذ العلم عن الزهراوي، كما عاصر عالم النبات و الزراعة ابن بصال، و ابن صاعد الأندلسي علامة طليطلة، و العلامة الفلكي ابن الزرقالة (الزرقالي) و غيرهم، وقد وافته المنية عام 467 هـ / 1075م[1].

2.5 **مؤلفات ابن و افد:**

يذكر ابن أصيبعة خمس مؤلفات في قوله: ولابن وافد من الكتب:

1 - كتاب الأدوية المفردة.

2 - كتاب الوساد في الطب.

3 - مجربات في الطب.

4 - كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر.

5 - كتاب المغيث.[2]

6 - المجموع في الفلاحة : هناك شكوكا جدية بشأن هوية مؤلف هذا الكتاب الذي ينسب إلى ابن وافد.[3]

3.5 أهم الترجمات المنقولة إلى أوروبا

عرفت كتب ابن وافد انتشارا واسعا ، و إقبالا منقطع النظير بالنسبة للعلماء المسلمين و العرب ، كما ترجمت بعض كتبه إلى عدة لغات ، في حين ترجم كتابا ابن وافد في العلاج بالحمامات و الينابيع الطبية والعقاقير النباتية المفردة إلى لغات نصرانية : الأولى إلى اللاتينية بعنوان " De Balneis " و الثاني إلى اللغة القطلونية بعنوان كتاب العقاقير المفردة " Libre Les Médicines Partioulars "[4] ، هذا و نشير إلى أن كتاب العقاقير البسيطة : (الأدوية المفردة) ترجمه إلى اللاتينية عميد المترجمين في القرون الوسطى : جيرار دوكريمون بعنوان : Abengefith de medicamentis Simplicibus

هذه الترجمة طبعت في ستراسبورغ عام 1531 ، و في البندقية إبتداء من عام 1532، واستعملت مرارا في الغرب.

---

[1] د.محمد الأمين بلغيث ، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479-539 هـ / 1086-1144 م) الجزءالثاني ، الجزائر ، القافلة للنشر و التوزيع ، سنة 2014 ، (ب ط) ص 780 ، و إسماعيل سامعي ، معالم الحضارة العربية الإسلامية ، ص 215 .

[2] ابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق ، ص 447 .

[3] د.سلمى الخضراء الجيوسي ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 1372 .

[4] المرجع نفسه، ص 1305 .

يوجد مخطوطة من النص العربي في : ايسكويال (Es curial) رقم 833 .[1]

هذا ونشير إلى كتاب المجموع في الفلاحة[2]، الذي ينسب لابن وافد قد حظي بشهرة و ذيوع كبيرين ، بدليل الترجمتين اللتين صدرتا له بلغتين رومانسيتين في شبه الجزيرة الإيبيرية : القشتالية و القطالانية ، و بدليل تأثيره اللاحق في أعظم عمل في الزراعة لعصر النهضة الزراعة العامة (Agricultura General) لغابريل ألونسودي هيريرا.[3]

كما أن كتاب " الأدوية المفردة " ضاع أصله و لا يوجد أثره إلا في ترجمة لاتينية (Mineral ibus su Pliabus) و هو كتاب ذاعت شهرته في العالم اللاتيني، و أصبح واحدا من أهم الكتب التي عرفتها أوروبا في القرون الوسطى.[4]

4.5 إنجازات ابن و افد في مجال الصيدلة و الزراعة

كان ابن وافد من الأطباء الذين اهتموا بمسألة العثور على نباتات مفردة (Simples) التي يمكن استخدامها كعقاقير دون الحاجة إلى معاملتها.[5]

و يظهر أثره البالغ في كتابه " الأدوية المفردة " الذي يمثل ثمرة عقدين من العمل والجهد، اقتفى ابن وافد خطى ديوسقوريدس و جالينوس، و جمع في الوقت ذاته ملاحظاته الخاصة التي قادته إلى تفصيل استعمال العقاقير المفردة على المفردة، أو إلى الاستغناء عن هذه بالكامل كلما أمكن ذلك، و الاكتفاء بالعلاج بواسطة نظم التغذية (الحمية) التي ثبتت فائدتها جيدا .[6]

6. ماهية كتاب الأدوية المفردة:

يفتتح ابن وافد كتابه بالبسملة و التوحيد ، ثم يعرض رؤيته بخصوص كتاب الأدوية المفردة لدياسقوريدوس و جالينوس على أساس أنهما مصدرين مهمين في علم الصيدلة (الأدوية المفردة كمثال)، و لمح الكاتب أن لكل مؤلف منهج و رؤية و يتمثل ذلك في قوله "إلا أنهما مفتقران إلى الجمع بينهما [7]، إن في كل واحد منهما قسم من علمهما ليس في الآخر" ، كما فصل مرة أخرى

[1] د.رشدي راشد ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ج 3 ، لبنان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مؤسة عبد الحميد شومان ط 1 ، سنة 1997 ، ص 1043 .

[2] د.محمد الأمين بلغيث ، مرجع سابق ، ص 733 .

[3] د.سلمى الخضراء الجيوسي ، مرجع سابق ، ص 1372 .

[4] د.إسماعيل سامعي، مرجع سابق ، ص 215 .

[5] د.سلمى الخضراء الجيوسي، مرجع سابق ، ص 1304 .

[6] د.سلمى الخضراء الجيوسي ، مرجع سابق ، ص 1305 .

[7] ابن وافد ، الأدوية المفردة ، تح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، سنة 2001 ، ص 5 .

منهج دياسقوريدوس في الكتابة بقوله " أنه ذكر الدواء بهيئته و حليته و منفعته " أما منهج جالينوس في الكتابة فيركز على ذكر جوهر الدواء و طعمه وكيفيته و قوته و منفعته .

و يظهر عمل ابن وافد ذاكرا الجهد و التعب الذي نال منه من خلال جمع فائدة الكتابين و نظم المنفعتين، فهو يرى أن مجال الدراسة يمثل أرضية خصبة , رغبة جامحة في التأليف - و وجدت فيه نفسا وامضة - ثم يستطرد مقدمته بإهداء العمل إلى رئيس الدولة أبو الحسن علي بن مجاهد و هذا شأن الكثير من العلماء ليضفي على عمله عطاء و ضمانا لنشر مؤلفه، و هذا يدل على اهتمام الأمراء في تلك الفترة بالعلم ، و بذلك يضمن انتشار مؤلفه لتعم الفائدة.

و يذكر ابن وافد خطة عمله بقوله : " فجمعت قوليهما على دواء دواء " أي أخذ قول كل عالم بخصوص نفس الدواء ، كما انتقى المستعمل منه في الأندلس (عندنا) و قام بمقارنة الأقوال بما ورد في أكثر النسخ المتداولة حينها - أي أنه قام بتحقيق المخطوط بالمصطلح الحديث - و أثبت المؤكد منه في مؤلفه ، كما قام بتفسير أغلب الأدوية في صدر القول عند تناوله لتفسير المجهول منه ، و اتسع عمله بسرد أقوال دياسقوريدوس و جالينوس ، فيما يخص كيفية جوهر الدواء و جوهره و قوته و مائية طعمه و منفعته ، مع ذكر منافع الدواء و وجوه استعماله و عمله ، كما لمح ابن وافد حين ذكره لقول دياسقوريدوس بالحرف ذ، أما جالينوس فرمز له بالحرف ج .

و يستطرد ابن وافد في كتابه قائلا أنه أجرى مقارنة المعلومات مع كتب الأطباء الذين سبقوه مع تقديم ما توصل إليه بنفسه من تجارب ميدانية تعتمد على الملاحظة و التجريب والاستنتاج، بالإضافة إلى إسناد أقوال العلماء، وهذا يعبر على الأمانة العلمية حقيقية.

1.6 تقسيم كتاب ابن و افد

يذكر ابن وافد في المقدمة أنه قسم كتابه إلى قسمين كما يلي:

- **القسم الأول:** في ذكر جمل جواهر الأدوية و طعمها، وقواها الأول و الثواني و الثوالث على حسب ما ذكره جالينوس .[1]

- **القسم الثاني:** في قسمة الأدوية الثلاثة : النباتية و المعدنية و الحيوانية .

قسم المؤلف القسم الثاني من الكتاب إلى أربع درجات، فجعل في كل درجة ما كان حارا أو باردا فيها، و درجة الحار و البارد إلى الرطب و اليابس.

2.6 ماهية الأدوية المفردة

قسم ابن وافد الأدوية بحسب قواها و إلى ما اعتمده الأطباء الأقدمون خاصة أبقراط

[1] ابن وافد ، مرجع ذاته ، ص 6 .

و جالينوس و ابن سينا و الرازي و غيرهم ، كما قدم تعريفا للدواء المفرد .

تعريف الدواء المفرد :

عرف ابن وافد الدواء المفرد بأنه هو الدواء الثابت المحفوظ على ما هو في طبعه عليه لم نخلطه نحن ولا ركبناه [1].

- **تعريف الدواء:** كل ما من شأنه أن يغير طباعنا.

- **تعريف الغذاء:** كل ما من شأنه أن ينمي جوهرنا، ويزيد فيه.

فالغذاء مقهور مغلوب متغير من الشيء المتغذى به، والدواء على خلاف ذلك لأنه غالب للبدن الذي هو دواؤه مفيد له.

أما تغيير الدواء يكون إما بكيفية واحدة من كيفيات جواهر القوى الفاعلة في الأدوية وفي جميع الأشياء الأخرى، ومعنى ذلك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وأما بكيفيتين مقترنتين من هذه، فتفعل فعلين مقترنين وأما بجملة جوهره بمنزلة كثير من الأدوية القتالة...

كما أن الدواء إذا لقي البدن فإنه إما أن يكون شبيها بمزاج البدن الذي يلقاه فلا يسخنه ولا يبرده ولا يجففه ولا يرطبه وهو ما يطلق عليه المعتدل، وإما أن يكون غير شبيه به فسمي باسم القوة الغالبة عليه.

3.6 نماذج علاجية ووقائية في كتاب ابن و افد:

هذه الأدوية تنسب إلى السعال من وجهين : أحدهما يقال أنه دواء السعال لأنه يحدث السعال ، و الثاني : يقال إنه يسكن السعال ، و قوة هذه ضد قوة تلك ، و ذلك لأن قوة المحدث للسعال ملطفة ، وقوة المسكن مغلظة ، و القوة المغلظة موجودة في الجواهر الباردة الغليظة ، مثل المغرية و المسددة ، و أما المحدثة للسعال فقوتها ملطفة ، و الملطفة موجودة الجواهر في الحارة اللطيفة ، لأن الرطوبات التي يحتاج أن يخرجها السعال تحتاج إلى أشياء تقطعها و تجففها .

و لما استنفد جالينوس ذكر الأدوية المنقية الفتاحة للمسام و الثقب التي هي: الكرسنة والترمس، واللوز المر، و بزر الأنجرة، و أصل السوس و العنصل، و سائر الأشياء التي الغالب عليها الطعم المر: قال: ومن ذلك: البورق ، و النطرون ، و الشيح و القيسوم.[2]

ذكر ابن وافد الأدوية التي تصلح لتقطيع الحصا كما يلي:

[1] المرجع نفسه، ص 10 .

[2] ابن وافد ، مرجع ذاته ص 32 .

المتولد في الكلى والمثانة: هي أدوية لا تجفف إلا أنها بليغة التقطيع جيدة بمنزلة أصل الهليون، ولكن حرارتها أقل ما يكون، وذلك أن الحرارة تجمع الحصى لتجفيفها إياها ولا تقطعها وتفتحها.

وأما الأدوية القليلة الحرارة فهي مع ما يمكنها من الترطيب، جيدة بمنزلة أصل الهليون، وأصل العليق، وقسطرن، وجعدة، وحجر اليهودي، والزجاج المحرق، وكل العنصل، وما أشبه ذلك.[1]

الخاتمة:

تمثل دراسة تاريخ العلوم أحد أبرز المواضيع في الوقت الحالي، إذ أنها تقدم مسيرة تطور الطب منذ العصور الأولى للحضارة الإنسانية إلى غاية وقتنا الحالي، وقد كانت الحضارة الإسلامية من أهم الحضارات في العصر الوسيط، من حيث الإنتاج العلمي والاكتشافات الطبية، أما تاريخ الصيدلة في الأندلس فهو حلقة تاريخية أخرى تستدعي الكثير من البحث والتنقيب، وقد كان ابن وافد حلقة في هذه المسيرة العلمية الحافلة بالعطاء ولكنه لم يحظى بالدراسة مثل أطباء المشرق أمثال الرازي وابن سينا، وذلك راجع لصعوبة الحصول على إنتاجه العلمي.

غير أن كتاب الأدوية المفردة الذي اعتمدت عليه أوروبا كأحد مصادر علم الأدوية المفردة في مجال الطب، تمثل أرضية خصبة للدراسات الأكاديمية مستقبلا، وابن وافد العالم النباتي والطبيب المسلم كان أحد أبرز علماء القرن الخامس الهجري في الأندلس، ساهم بإنتاجه العلمي ولا يزال يذكر إلى اليوم.

قائمة المراجع:

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط4، بيروت، 1987، المجلد الثالث.
- ابن سينا، القانون في الطب، بيروت، دار صادر (ب ط).
- ابن وافد، الأدوية المفردة، تح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط 1، سنة 2001.
- أحمد محمد أبو زيد، العلوم العربية في حلة شعرية، المملكة العربية السعودية، المجلة العربية، عدد 185 سنة 2015 (ب ط).
- إسماعيل سامعي، معالم الحضارة العربية الإسلامية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية سنة 2007 (ب.ط).
- أنظر المقالة الرابعة من كتاب المنصوري في الطب.
- جلال محمد عبد الحميد موسى، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، لبنان، دار الكتاب اللبناني، سنة 1988 (ب ط).

[1] المرجع نفسه، ص 33 .

- رجب محمد عبد المنعم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، (دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني) سنة 1985، (ب ط).
- رشدي راشد، موسوعة تاريخ العلوم العربية ج 3، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان ط 1، سنة 1997.
- سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 1، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، سنة 1999
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، لبنان، سنة 2011 (ب ط).
- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (479-539 هـ / 1086-1144 م) الجزء الثاني ، الجزائر ، القافلة للنشر و التوزيع ، سنة 2014 ، (ب ط).
- محمد عبده حتاملة وآخرون، موسوعة الأندلس و المغرب العربي، (الكتاب 1 ج 2) الجزائر ، دار المدار الثقافة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 سنة 2009.

أساليب التداوي في تاريخ المغرب قبل انتشار البنيات الحديثة

The therapy methods in Moroccan History before the emergence of modern structures

محمد أبرهموش، باحث في التاريخ، جامعة ابن طفيل، (المغرب)

abarrehmouchmohamed@gmail.com

ملخص:

حقق تاريخ الطب والمرض تراكمات مهمة، في الإسطوغرافيا الغربية، بفضل تجديد الإشكاليات، وتمطيط حيز المصادر، مع تبني الانفتاح المنهجي، من أجل البحث في قضايا بكر، من شأنها تطوير المعارف الإنسانية. وفي المقابل، لم يحظ هذا الجانب بالعناية المطلوبة في التاريخيات المغربية، باستثناء دراسات معدودة انطلقت من إشكاليات جديدة، لإعادة كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي، على ضوء معطيات التراث الطبي والمنهجيات الحديثة.

تقارب هذه الدراسة، أساليب التطبيب في تاريخ المغرب، قبل الموجة الامبريالية، التي اهتمت بتحديث خدمة الصحة العامة، بغرض توفير الظروف المناسبة لترسيخ واقع الاستعمار، خصوصا أمام معاناة المجتمع، عبر التاريخ، من الأوبئة والأمراض الخطيرة، التي جعلته يُقبل على جل العلاجات الممكنة، سواء المادية منها أو الرمزية، بفعل غياب شبه تام للبنيات الصحية الرسمية، رغم تواجد المارستانات ببعض الحواضر.

الكلمات المفتاحية: تاريخ المغرب، الأوبئة والأمراض، المارستانات، التطبيب التقليدي

Abstract:

The history of medicine and disease has achieved important accumulations in Western historiography thanks to the constantly emerging problematics, the proliferation of literature on the subject, and the adoption of a comprehensive methodological openness in order to investigate new issues that would contribute to the human knowledge. On the other hand, the subject under study has not gained its due attention in the Moroccan historiography, with the exception of a few studies that tackled new problems to rewrite social and cultural history in the light of the data of medical patrimony and modern methodologies.

This study approaches the methods of medication in the history of Morocco, before the imperialist wave that was concerned with the modernization of the public health service to create the appropriate conditions for the consolidation of the reality of colonialism, especially in the face of the sufferings of the Moroccan society from epidemics and serious diseases, which have made it accept available treatments, whether material or symbolic, due to the almost complete absence of official health services, despite the presence of mâristâns in some cities.

Key words: History of Morocco, Epidemics and diseases, Mâristâns, Traditional medicine

مقدمة

أثارت موجة فيروس كورونا المستجد-كوفيد 19، بعدما اجتاحت مناطق كثيرة من العالم، بما فيها المغرب، نقاشات كثيرة، حول قضايا العدوى والوفيات والنجاعة الطبية، عبر مسارات بحثية متنوعة. فقد انتعشت الكتابة، وأقيمت الندوات عن بعد، كما غزت الحوارات والتدوينات وسائل الإعلام والتواصل الحديث، بغرض التفكير في أساليب مواجهة الجائحة والتعايش معها، مع مساءلة مستويات الرعاية الصحية وتقييمها، من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، بما في ذلك التاريخ، من خلال رحلة الحفر في صور المعيش الوبائي، عبر حقب زمنية موغلة في القدم، بغرض الفهم والتفسير والتأويل للواقع الراهن، اعتمادا على خلفيات تاريخية رصينة وعميقة، في ظل الحجر الصحي والخوف من العدوى والموت، الذي ألقى بضلاله على مختلف الممارسات والمواقف الاجتماعية، كما أثر على معظم تفاصيل العادات اليومية والطقوس الدينية والتمثلات الجماعية...

تروم هذه الدراسة، تقييم جوانب من الوضعية الصحية والطبية في المغرب، إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، باعتبارهما قطعة زمنية تعكس واقع الحياة اليومية، قبل انتشار البنيات الحديثة في القرن العشرين. وذلك من خلال الخوض في أساليب استطباب الأجساد، في سياق معيشي وصحي هش، كما هو معلوم، قبل رجة الاستعمار الذي اهتم بورش الصحة، ومكافحة الأمراض والأوبئة، بغرض توفير شروط الاحتلال والاستغلال، عبر وسائل متنوعة، على رأسها السلطة الصحية والطبية، في ظل غياب أو ضعف المؤسسات الرسمية الخاصة بحفظ الصحة العامة.

تعتمد الدراسة على مقاربة مركبة وشمولية، قصد تشخيص أوضاع الأجساد في الحياة اليومية، من خلال التوقف عند بعض الأمراض والأوبئة الأكثر انتشارا بين المغاربة، قبل تغلغل التحديث القسري، بالإضافة إلى الاهتمام بأساليب التداوي وخلفياتها، ثم مرجعياتها الإيكولوجية والثقافية، وذلك بالاعتماد على إشارات المصادر التاريخية المحلية والأجنبية، وكذا تراكمات وإفادات العلوم المجاورة، على المستويين النظري والمنهجي، في إطار التاريخ الاجتماعي والثقافي، الذي يستعين بالمعطيات الديموغرافية والاقتصادية والمعارف الأنثروبولوجية والسوسيولوجية والسيكولوجية، من أجل بناء معرفة تاريخية عابرة للتخصصات، ومعبرة عن جوانب من الوضع البشري المركب، بفضل البحث المتواصل عن مساحات معرفية مهمشة، تدفع إلى تمديد دوائر التساؤل والفهم والتفسير.

1- ملامح الحياة اليومية: خراب الأجساد

يقول الحسن الوزان، في وصف إفريقيا: "يظهر الوباء في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات، أو خمس عشر أو خمس وعشرين سنة (...) ولم يظهر الوباء بنوميديا منذ مائة سنة، ولم يظهر قط في أرض السودان"[1]. لقد تعاقبت على المغرب، قبل انتشار البنيات الحديثة، على المدى الطويل، مجموعة من الأوبئة الفتاكة[2]، بما في ذلك الطاعون، الذي "لم ينقطع نهائيا. فمثل الحريق، بقي كامنا كالجمر تحت الرماد"[3]. ذلك أن الأوبئة كانت دائمة التردد على البلاد، بمعدل لا يقل عن ثلاثة أو أربعة في كل قرن، حسب الدراسات الحديثة، إذا استثنينا الأقل خطورة أو المحدودة الانتشار، كما أن المدة الفاصلة بين الموجات الوبائية تراوحت ما بين سنتين وعقدين، أو نصف قرن في أفضل الأحوال[4]، مثلما تبرز سلسلة الطواعين المتوالية على البلاد، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، في سنوات: 1742-1744؛ 1747-1751؛ 1798-1800؛ 1818-1820.

الطواعين بمختلف أصنافها: الرئوية أو الدملية أو اللمفاوية، من أخطر الأوبئة في تاريخ المغرب. كانت تعيث بالأجساد المنهكة في الأصل، خصوصا في ظل الكفاف المعيشي البنيوي، إذ ترتب عن الطاعون الكبير (1798-1800)، على سبيل المثال، ما بين نصف وثلث الموتى من السكان، بعد الهزات الديموغرافية الدورية، التي كانت تنخر الوسط البشري عبر الزمن[5]، في "ظروف مهترئة وبطون جائعة"[6]،

---

[1] الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، جزآن، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1983، ص. 85.

[2] محمد أبرهموش، **الموت في المغرب قبل الاستعمار. من الديموغرافيا إلى التمثلات**، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، القنيطرة، 2020-2021، ص. 80-90.

[3] هذا الاقتباس يخص تاريخ أوروبا بعد القرن الرابع عشر. راجع: محمد الأمين البزاز، "الطاعون الأسود بالمغرب في القرن 14 م"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط**، ع 16، 1991، ص. 121.

[4] عثمان المنصوري، **التجارة بالمغرب القرن السادس عشر. مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001، ص. 326. محمد الأمين البزاز، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشروالتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992، ص. 87.

Daniel NOIN, **La population rurale du Maroc**, Paris, PUF, 1970, p. 267.

[5] البزاز، **تاريخ الأوبئة**، ص. 69-83، 85-99.

James Grey Jackson, **An Account of the empire of Morocco and the district of Suse**, London, 1809, pp. 269-271.

[6] رضوان شعايبي، **صورة المغرب في كتابات الأطباء الفرنسيين 1912-1956**، جمعية البحث والتوثيق، الرباط، 2016، ص. 88.

لأن دوام الأوبئة والمجاعات والحروب وغيرها، كان يسفر عن كثرة الموتان واضطراب الحياة اليومية، بشكل دوري رهيب.

لقد كانت البلاد تدور في حلقة ديموغرافية مأساوية ومفرغة، بفعل محدودية طرق الوقاية والعزل أمام العدوى. فقد دخل الطاعون إلى طنجة عام 1818، ومنها انفجر نحو مناطق عديدة، حتى كان يحصد يوميا بفاس، حوالي 300 ضحية[1]، كما أن مقبرة طنجة لم تستوعب كل الموتى، فعين مكان آخر للدفن[2]. إنها صور عن ديموغرافيا مجوفة أو منشارية، حيث يسيطر الموت بدل الحياة[3]، بفعل ثالوث المجاعات والأوبئة والحروب[4]، في واقع يتسم بالعتاقة التقنية، والكفاف المعيشي، والهشاشة الصحية[5]، التي تتعمق بسبب المصاعب المادية والغذائية، مع إهمال شروط النظافة، ومقومات الوقاية والاحتراز، خصوصا بالسهول والتجمعات المكتظة، مقارنة بالمناطق المنعزلة، كجبال الأطلس والريف والصحراء[6]، حيث "الحجر" الصحي الطبيعي من العدوى.

لم تندمل الجروح الديموغرافية السابقة، حتى شهد المغاربة أزمة وبائية جديدة، ابتداءً من سنة 1834. إنه وباء الكوليرا أو الخوف الأزرق[7]، أو "بُوكَلِيبْ" أو "الرِّيحْ الصَّفْرَاء" باللسان المحلي[8]. وقد "كانت

---

[1] أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 8، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص. 133. نور الدين بلعطاري، **الابتسام عن دولة ابن هشام أو ديوان العبر في أخبار أهل الثالث عشر، لأبي العلاء إدريس (ت. 1275هـ/ 1858م). تحقيق ودراسة**، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-وجدة، 2006-2007، ص. 120.

[2] البزاز، **تاريخ الأوبئة**، ص. 111-112.

[3] Pierre CHAUNU, "Mourir à Paris (XVI[e]-XVII[e]-XVIII[e] siècles)", In: **Annales. Economies, sociétés, civilisations**. 31[e] année, N. 1, 1976, pp. 29-30.

[4] محمد الضعيف، **تاريخ الضعيف**، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986، ص. 125، 155.

[5] فردريك وايسجربر، **على عتبة المغرب الحديث**، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار الأمان، الرباط، 2011، ص. 19. أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر. إينولتان (1850-1912)**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983، ص. 357.

[6] Bernard ROSENBERGER et Hamid TRIKI, "Famines et épidémies au Maroc XVI[e] et XVII[e] siècles", **Hespéris-Tamuda**, V. XIV, 1973, pp. 148-150.

[7] يطلق الخوف الأزرق على الكوليرا، لأنها تخلف زرقة على الجلد "بسبب الإسهال الحاد والقيء". راجع: محمد حبيدة، " الكوليرا والكورونا من الحدود البيولوجية إلى العولمة الفيروسية"، ضمن: **دور المؤرخ في فهم أزمة كورونا؟**، مطبعة قرطبة، أكادير، منشورات تكامل للدراسات والأبحاث، 2020، ص. 40.

[8] Lucien RAYNAUD, **Etude sur l'hygiène sur l'hygiène et la médecine au Maroc,** Alger, 1902, p. 84.

موته بغتة وفجأة"، حسب سردية المشرفي، فكم "من واحد مات فيه بالحيرة والدهشة، حيث يرى الإنسان أخاه صحيحا فيسقط ميتا، وقل من جاوز به في تلك المدة أربعة وعشرين ساعة"[1]. مما كان يسفر عن نزيف ديموغرافي كبير: أزيد من 300 ضحية في يوم واحد بفاس[2]، وما بين 47 و50 نسمة يوميا في طنجة. غير أنه، كانت أقل من خسائر الطاعون السابق، بشكل عام، التي وصلت إلى 20%، حسب الدراسات الحديثة[3].

انتشرت الكوليرا بسرعة كبيرة في العالم، كالنار في الهشيم، إذ انتقلت من الهند إلى الصين، مرورا بمناطق أخرى في آسيا وأوروبا الشرقية والغربية، ثم البلدان المغاربية وأمريكا الشمالية. وقد تكررت موجاتها في دورات عديدة، بعدما شكلت وريثا للطاعون، طيلة ما تبقى من القرن التاسع عشر، بشكل متزامن أحيانا مع الأزمات الغذائية البنيوية[4]. وهو ما يفسر بصفة عامة، منشارية المشهد الديموغرافي وتراقصه بين الانخفاض الدوري والتعويض النسبي، بين التراجع المباغت والنمو البطيء.

من جهة أخرى، ترددت على المجتمع المغربي قبل الأزمنة الحديثة، أوبئة مختلفة، تسببت في تعمق النزيف الديموغرافي، كالتيفوئيد والتيفوس والجدري، إلى جانب أمراض خطيرة، مثل حمى المستنقعات، والزهري، والجدام، والسل، والرمد، وغيرها[5]. ثم بعض الأسقام اليومية المتربصة بالأجساد، التي وثقتها المصادر المحلية والأجنبية، على المدى الطويل[6]، مثل: القرع الملازم لرؤوس الأطفال والنساء، وصداع الرأس والحمى والأسنان، ثم أمراض المعدة والقلب والأمعاء، بالإضافة إلى الإسهال والسعال والنقرس والجرب... علاوة على أمراض العيون، والسل، والجلد، والأعصاب التي تفسر بالمس الشيطاني أو الجني.

---

[1] حسن الفرقان (دراسة وتحقيق)، **أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19. نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطاعون للعربي المشرفي**، دار التوحيدي، طنجة، 2014، ص. 177.

[2] **نفسه**، ص. 188.

[3] البزاز، **تاريخ الأوبئة**، ص. 144، 173-174.

[4] **نفسه**، ص. 144، 168، 171-174.

[5] بوجمعة رويان، **الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945**، الرباط-نيت، الرباط، 2013، ص. 111- 151-209.
RAYNAUD, **Etude sur l'hygiène,** pp. 143-144. JACKSON, **An Account,** p. 154.

[6] الوزان، **وصف**، ج 1، ص 83-85. أبو القاسم الغساني، **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص. 5-6، 415-421. أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991، ص. 346-353. إدمون دوتي، **مهام في المغرب من خلال القبائل**، ترجمة عبد الرحيم حزل، الرباط، دار الأمان، 2016، ص. 144.
Emile LAOUSTE, Emile LAOUSTE, **Mots et choses berbères,** Augustin Challamel, Paris, 1920, pp. 147-178.

كانت بنية المساكن تسهل حركية تفشي الأمراض والأوبئة الخطيرة[1]. كانت ضيقة ومظلمة بالحواضر، لاسيما منازل أو أكواخ الفئات الدنيا التي تعج بالجراثيم والحشرات والقوارض، إذ تأوي الإنسان والحيوان في مكان شبه مغلق وقليل التهوية، بفعل غياب النوافذ أو صغرها، وضيق الأزقة، في أحياء المسلمين واليهود على السواء، مع تفاقم الأزبال والتراب صيفا، وكثرة الأوحال شتاء[2]. كما عاش معظم سكان البوادي، في مساكن على شكل خيام من الصوف، أو أكواخ من الحصير والأغصان، أو حجرات من الطوب أو الحجر، فوق أرضيات غير مبلطة، قرب الزرائب ومواقف الدواب[3]. هذا بالإضافة إلى تلوث المياه، نتيجة غياب الشروط الصحية، مما كان يُسهم في تفشي الأسقام ونخر الأجساد ونشر الموت.

كادت البلاد تبدو شبه خالية من الآدمي، قبل الغزو الإمبريالي الحديث، وذلك في حدود ثلاثة ملايين نسمة على أعلى تقدير، حسب بعض الباحثين[4]، على غرار جل بلدان إفريقيا الشمالية، لاسيما ما بين القرنين الرابع عشر والتاسع عشر، إذ كانت تسجل تراجعا في عدد سكانها، أو تزايدا ضعيفا في بعض الفترات[5]، بفعل تراكم وفيات الأزمات، ونخرها لهذا النظام الديموغرافي القديم، المنطوي على "توازن هش، لا يكاد يسمح بتعاقب الأجيال"[6]، مما يستوجب البحث والتقصي لالتقاط أخبار الوفيات، في أفق تشخيص علل الأجساد وأساليب الاستشفاء، قصد تفسير جوانب من البنيات القائمة آنذاك.

---

[1] RAYNAUD, **Etude sur l'hygiène**, p. 78.

[2] لوي فوانو، **وجدة والعمالة: مونوغرافية وجدة وقبائل شرق المغرب، ج 1**، الرباط-نيت، الرباط، 2014، ص. 64.
انظر كذلك:
Ali-bey EL ABBASSI, **Voyages d'Ali-bey El Abbassi en Afrique et en Asie**, T. 1, Paris, 1830, p. 327. RAYNAUD, **Etude sur l'hygiène**, p. 70. Yvette KATAN, **Oujda une ville frontière du Maroc (1907-1956)**, Rabat, la porte, 1990, p. 403.

[3] أندريان جاك فولي، **كنت عبدا في المغرب (1783-1784)**، ترجمة بوشعيب الساوري، القلم، الدار البيضاء، 2017، ص. 43. **أسفار الرحالة جان موكي**، ترجمة عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني، الرباط، 2003، ص. 31-32. رويان، **الطب الكولونيالي**، ص. 47-48.
Jean SERVIER, **Les Berbères**, PUF, Paris, 1990, pp. 88-89.

[4] محمد حبيدة، **بؤس التاريخ. مراجعات ومقاربات**، دار الأمان، الرباط، 2015، ص. 79. محمد حالي، **المجتمع والأزمات الديمغرافية في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر (1727-1757)**، منشورات ألنايا، دمشق، 2013، ص. 163.

[5] Dominique TABUTIN et Autres, "L'histoire de la population de l'Afrique du Nord pendant le deuxième millénaire", In: **The History of World Population in the Second Millennium**, organisée à Florence du 28 au 30 juin 2001 par le Comité de Démographie Historique de l'UIESP et la Società Italiana di Demografia Storica, p. 6.

[6] حسين بوجرة، **الطاعون وبدع الطاعون، الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350-1800)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص. 85.

2- المنشآت الصحية العامة: تاريخ المارستانات

يحيل مصطلح المارستان، في تاريخ المغرب، على المنشآت الصحية العامة التي شيدت ببعض الحواضر الكبرى، منذ القرون الوسطى، كفضاءات لتقديم وصفات العلاج وتدريس الطب[1]. وهو توصيف يعبر عن تحوير، أو اختصار، للكلمة الفارسية "بيمارستان" المركبة من مقطعين: "بيمار" أي المريض أو العليل، ثم "ستان"، بمعنى المكان أو الدار. وقد أطلق هذا الاسم، في العالم الإسلامي، على محل علاج المرضى، قبل إنشاء أول مستشفى في مصر سنة 1825، على ضوء التقنيات الحديثة[2].

وفي تاريخ المغرب، لم ترد كلمة المارستان في المصادر التاريخية، حتى تأسيس "دار الفرج" بمراكش، خلال حكم يعقوب المنصور الموحدي (1184-1198). كتب أحد الإخباريين حول منجزات هذا الأخير: "بنى بمدينة مراكش بيمارستانا ما أظن أن في الدنيا مثله (...)، لم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه، وعولج إلى أن يستريح أو يموت"[3]. ويرجح أن صاحب هذه السردية، عبد الواحد المراكشي، هو أول من أدخل لفظ البيمارستان من الشرق بعد إقامته الطويلة به، وتأليف كتابه في العراق، حيث كانت الكلمة تطلق على أماكن علاج المرضى[4].

يرتبط ازدهار المارستانات بعصر المرينيين[5]، بحيث جُدِّد بعضها، كـ"سيدي فرج" بفاس، كما بني بعضها الآخر، بمدن مراكش والرباط وسلا ومكناس وأسفي[6]. كما كانت تضم غرفا ومرافق عديدة، إذ كان "دار الفرج" بمراكش، يحوي غرف التمريض والصيدلة لتركيب "الأشربة والأذهان والأكحال"، بالإضافة إلى الحديقة والبرك المائية[7]. بينما كان "سيدي فرج" بفاس، بعد توسيعه زمن أبي عنان، يتألف من طابقين: طابق أرضي يضم 18 غرفة للرجال، وطابق أول من 22 غرفة للنساء، إلى جانب حديقة لنزهة المرضى،

---

[1] جوزيف لوشيوني، **المؤسسات الحبسية. من النشأة إلى سنة 1956**، ترجمة نجيبة أغرابي، دار أبي رقراق، الرباط، 2010، ص. 174.

[2] أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، بيروت، دار الرائد العربي، 1981، ص 3-4.

[3] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبط وتصحيح وتعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949، ص. 287-288.

[4] محمد رابطة الدين، "البيمارستان"، **معلمة المغرب**، ج **6**، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، مطابع سلا، 1992، ص. 1965.

[5] لوشيوني، **المؤسسات الحبسية**، ص. 171.

CHAKIB et Autres, "Le Maristane Sidi-Frej à Fès", **Histoire des sciences médicales**, T. 28, N. 2, 1994, p. 171.

[6] الكانوني، **الطب العربي**، ص. 135-150.

[7] المراكشي، **المعجب**، ص. 287-288.

وإقامة الحفلات الموسيقية كل أسبوع[1]. وكانت تعتني بهم عناصر تابعة للمخزن، "من كتاب وممرضين وحراس وطباخين... ويتقاضى كل واحد من هؤلاء المستخدمين أجرا حسنا"[2]. لكن، من المؤسف أنها تدهورت منذ سنة 1397، بعد تصرف أبي سعيد الثاني في مصادر تمويلها، بغرض تجهيز جيشه ودعم حكمه[3].

أظهر السعديون، ثم العلويون، اهتماما محدودا بالصحة العامة. فإذا كان عبد الله الغالب (1557-1574)، شيد مارستان مراكش "ووقف عليه أوقافا عظيمة"[4]، لتوفير الأطر والتجهيزات، فقد صار، بسبب قلة الاعتناء، فضاء للمجانين والحمقى[5]. وفي حكم العلويين، بعدما تعطل مارستان المرينيين بسلا، بنى المولى عبد الله سنة 1733 ضريح ابن عاشر[6]، الذي شكل نواة لأعمال عبد الرحمن بن هشام (1822-1859)، حيث بنى حوله ثلاثين غرفة، لإيواء من يقصد "قبره من الأقطار النائية والأقاليم البعيدة، لما يتحدث عنه من خوارق وكرامات، كبرء المفلوجين والمصروعين، وذوي العمى والرمد والمقعدين"[7]، إذ بغرض استغلال المقدس الديني، كانت بعض المارستانات تابعة للمسجد أو الضريح[8]، مما أهلها للقيام بوظائف اجتماعية، كـ"تجهيز الموتى زمن الأوبئة"، بـ"سيدي فرج"[9]، أو إيواء المعوزين في مجاعة 1868، بـ"سيدي الغازي"[10].

باختصار، مرت المارستانات من مرحلتين بارزتين: طور البناء والازدهار، ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر، ثم طور التدهور بعد ذلك؛ أي من فضاءات تستقبل معظم المرضى، إلى ملاجئ لذوي الاضطرابات العقلية والنفسية، خلال القرن التاسع عشر، في ظل الواقع الطبي المنهار، رغم بعض التدخلات الطبية، كالحجامة واستئصال الأورام، مع جبر الكسور وإزالة الغشاوة عن العيون، ثم قلع

---

[1] Abdelfattah CHAKIB, "Le Maristane Sidi-Frej", p. 171.

[2] الوزان، **وصف**، ج 1، ص. 229.

[3] علي ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص 89.

[4] محمد الوفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق هوداس، أنجي، 1888، ص. 51.

[5] الكانوني، **الطب العربي**، ص. 168.

[6] براون، **موجز تاريخ سلا**، ص. 47.

[7] الدكالي، **الإتحاف الوجيز**، ص. 74.

[8] Franz KOGELMANN, "Sidi Fredj: A case Study of a religious endowment in Morocco", In: **Social welfare in Muslim societies in Africa**, Elanders Gotab, Stockholm, 2002, p. 72.

[9] الكانوني، **الطب العربي**، ص. 139.

[10] البضاوية بلكامل، "بيمارستانات الرباط من الأصول إلى بداية فترة الحماية"، ضمن: **مدينة الرباط**، ص. 98-99.

الأضراس والختان، اعتمادا على أدوات عتيقة، تعبر عن الموروث الطبي، ولا تساير ابتكارات شهدها العالم منذ النهضة الأوروبية[1]، بل تجتر معارف تعود للمصنفات القديمة.

وفي القرن العشرين، أقامت سلطات الحماية المستشفيات والمستوصفات، من أجل توفير شروط الاحتلال والاستغلال، كما كان عليه الأمر في جل المجتمعات المستعمرة[2]. إلا أنها احتفظت بالمارستانات، بعد إصلاح بعضها، معماريا وإداريا، لكنه نادرا ما كانت تمولها، بل ظلت تحت إدارة الأحباس ضمانا للدعم المالي[3]، مع تفادي أي اصطدام مع الثقافة المحلية. جاء في تقرير طبي، يهم مارستان فاس، عام 1928: "إنه منظر محزن حقا، ولا يمكننا إلا أن نشاهد هذه الوقائع ونتأسف لها، ولكن لأننا التزمنا أن نحترم معتقدات المغاربة وعاداتهم، فإن علينا أن ننتظر أن يغيروها هم أنفسهم"[4]. لقد كان التداوي بالمارستانات عتيقا، ينبني على أساليب دينية وسحرية لطرد الأرواح الشريرة، ثم مستحضرات الأعشاب والبخور، واستراتيجيات البركة[5]، بالإضافة إلى تقييد المجانين والمعتوهين بالسلاسل، قصد عزل أجسادهم عن المجتمع. كما أن هذه المراكز الاستشفائية كانت معدودة، لا تتواجد إلا ببعض الحواضر، كفاس ومراكش ومكناس وأسفي وسلا والصويرة والقصر الكبير[6]. لكن، ما حصة الأرياف البعيدة عنها؟

3- أساليب استطباب الأجساد

أقبل المغاربة، قبل انتشار البنيات الحديثة، على مداواة أجسادهم في فضاءات مختلفة، في المارستانات والبيوتات والدكاكين والأسواق وأماكن العمل، لكنهم كانوا أكثر توظيفا للعلاجات الروحية الرمزية، نظرا لبعدها الغيبي، وفعاليتها النفسية، وتكاليفها البسيطة التي كانت تقدم لفاعلين رمزيين

---

[1] Fouad LABOUDI, **Histoire de la médecine au Maroc du XVII^{éme} au XIX^{éme} siècles, Aspects évolutifs**, Thèse de doctorat, Faculté de Médecine et de Pharmacie- Rabat, 2016, p. 91.

[2] أرنولد دافيد، **الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية**، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص. 11-12.

[3] لوشيوني، **المؤسسات الحبسية**، ص. 469.

[4] René GRUCHET, **La conquête Pacifique du Maroc, Berger-Leurault**, Paris, 2è Ed. 1934, pp. 169-170.

ورد في: رويان، **الطب الكولونيالي**، ص. 72.

[5] مصطفى بوشعراء، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1984، ص. 183.

[6] محمد الدكالي، **الإتحاف الوجيز، تاريخ العدوتين**، تحقيق مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، الطبعة الثانية 1996، ص. 74. كينيث براون، **موجز تاريخ سلا. 1000-1800**، ترجمة محمد حبيدة وأناس لعلو، منشورات أمل، الدار البيضاء، 2001، ص. 47. البضاوية بلكامل، "بيمارستانات الرباط"، ص. 92.

متعددين[1]، مثل الطَّلْبة، والأولياء، والعشابون، والعطارون، والسحرة، وأحبار اليهود، بغرض إقامة طقوس استشفائية متعددة، كالتعاويذ والتمائم والدعاء والوصفات البسيطة. وهو ما يعبر عن علاجات تقليدية، تنهل من المعتقدات الدينية والممارسات الثقافية، حسب سوسيولوجيا الصحة والمرض، في إطار التطبيب الشعبي الموروث، الذي ترسخ عبر القرون والأجيال، قبل ظهور الطب العلمي الحديث وانتشاره[2].

انطوى الطب المغربي التقليدي على ممارستين[3]: الممارسة الأولى، شبه رسمية، تجسدها المارستانات التي كانت تمول من الأحباس، كمراكز استطبابية عامة، عرفت مع مرور الوقت، تدهورا في الوسائل والأساليب. أما الممارسة الثانية، فهي شعبية، لا يستغرق تشخيصها السطحي إلا وقتا قصيرا، مقابل مبالغ زهيدة، كما أنها تمزج بين الطقوس السحرية والموروث الطبي، حيث تنبني على العلاج الروحي والتنجيم، وطقوس طرد الجن والشياطين، مع وصفات مركبة من المواد الطبيعية، كالأحجار وأطراف الحيوانات والنباتات والبخور، لكونها موادا تنطوي على فوائد سحرية وحكم معينة، عند المسلمين واليهود أيضا[4]. هذا بالإضافة إلى الممارسات الدينية والسحرية القائمة على الرقى، والأدعية، والقرآن، والتمائم، والطلاسم[5]. مع الاستغاثة بالأولياء والصلحاء الأحياء منهم والأموات، كاعتقاد استشفائي وحمائي، خلال أوقات الشدة والمرض والحاجة، عند المسلمين واليهود على السواء[6]. لقد كانت كل هذه الوسائل، من أبرز المسالك المتاحة لاستطباب مركب، يجمع بين الشعائر الدينية والطقوس السحرية والمعارف الطبية.

---

[1] روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ج 2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص. 781. بوشعراء، **الاستيطان والحماية**، ص. 175، 184.

[2] سعيدة شين، **التصورات الاجتماعية للطب الشعبي –دراسة ميدانية في منطقة الزيبان**، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة-الجزائر، 2014-2015، ص. 148.

[3] D. MOUSSAOUI et Autres, "Histoire de la médecine au Maroc pendant le Protectorat ", **Histoire des sciences médicales**, T. XXVI, N. 4, 1992, pp. 268. p. 293.

[4] إدمون دوطي، **السحر والدين في شمال إفريقيا**، ترجمة فريد الزاهي، المعهد الجامعي، الرباط، 2019، ص. 48-49.

[5] المكي الناصري، **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة**، مج 1، تحقيق محمد الحبيب النوحي، الرباط، المؤسسة الناصرية، 2014، ص. 288-289.

[6] محمد الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، الدار البيضاء، مركز التراث الثقافي المغربي، 2004، ص. 139. محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ج 2، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004، ص. 306. أوجست موليراس، **المغرب المجهول (الجزء الأول). اكتشاف الريف**، ترجمة عز الدين الخطابي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2013، ص 88.

يلاحظ في تاريخ المغرب، على المدى الطويل، استمرار النسق العلاجي نفسه. يذكر الوزان، في القرن السادس عشر، أن الكي كان من العلاجات المتداولة بمنطقة حاحا، إذ "لا يوجد أي طبيب من أي صنف ولا أي جراح أو عقاقيري"[1]. وهو الأمر الذي وثقته النصوص الأجنبية والمحلية قبل الاستعمار، إذ كان كي البشرة من الممارسات السحرية العتيقة، في حالات الإصابة بالوباء والطاعون، أو أوجاع الرأس، أو ألم المفاصل، أو عرق النسا، أو الحمى والجروح، أو إبطال السحر والعين[2]، مادامت أصول الأمراض، حسب الذهنيات الجماعية، تعود إلى القوى الخفية، كالقضاء والقدر والجن والعين، وكذا "التوكال"[3]، أي السحر القائم على تسميم المأكل أو المشرب...

منذ القرون الوسطى، كانت الحامات، أو العيون الحارة الكيبريتية، من أشهر العلاجات التقليدية للاستشفاء في المغرب[4]، كحامة مولاي يعقوب، التي كانت مزارا طبيعيا ومرهما لتسكين تقرحات الجدري والجرب والزهري، حسب التوثيقات الأجنبية قبل الاستعمار[5]. علاوة على منابع أخرى، كانت تنتشر في مناطق عديدة، إذ وصل عددها، حسب تقرير طبي زمن الحماية، زهاء تسعة عشرة حامة، يتردد عليها المغاربة باستمرار، للاستحمام في المياه الساخنة والتبرك[6]، مما سرع من منسوب العدوى، نظرا لكثرة الاختلاط. يقول المؤرخ المغربي بوجمعة رويان: "كم مريض انكشف ضره بمولاي يعقوب، وكم سليم جاء للتبرك فانقلب إلى أهله وهو يحمل داء من الأدواء"[7].

من جهة أخرى، ساد الاستشفاء بالجراحة البسيطة، خصوصا الحجامة، التي تتطلب آلة المحجمة، وهي قارورة من الزنك، تستعمل في شفط الدماء الفاسدة من قَفَا الإنسان، أو من "الحجاميات" بالتعبير المغربي العامي، كي تنساب الدورة الدموية. كما هو الحال أيضا، عند الفصد

Issachar BEN-AMI, **Culte des saints et pèlerinages Judéo-Musulmans au Maroc**, Paris, Maisonneuve, 1990, p. 64.

[1] الوزان، **وصف**، ج 1، ص. 98.

[2] الضعيف، **تاريخ**، ص 262. دوطي، **السحروالدين**، ص. 26. دوتي، **مراكش**، ص. 356.

JACKSON, **An Account**, p. 157. RAYNAUD, **Etude sur l'hygiène**, p. 134.

[3] رويان، **الطب الكولونيالي**، ص. 73-77. شعايبي، **صورة المغرب**، ص. 99-102.

[4] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ج 1، ص. 47. الناصري، **الاستقصا**، ج 2، ص. 204-205.

[5] RAYNAUD, **Etude sur l'hygiène**, pp. 143-144. JACKSON, **An Account**, p. 154.

اشتهر داء الزهري بتسميات محلية متنوعة، كـ"النوار" أو "أكليد" أو "الحب الإفرنجي". انظر: رويان، **الطب الكولونيالي**، ص. 173.

[6] شعايبي، **صورة المغرب**، ص. 97.

[7] رويان، **الطب الكولونيالي**، ص. 90

والشرط، حيث يُشق العضو المريض بشفرة حادة، لاستئصال الأورام والبثور، بفعل الطواعين أو الأمراض، أو لسعات الزواحف والحشرات. وقد كان "الحجّام"، ممارس هذا العلاج، يقوم بعمليات أخرى، كختان الأطفال وقلع الأضراس وجبر الكسور[1].

في السياق نفسه، كان التكوين الطبي عتيقا، ينهل من المخطوطات القديمة، الإغريقية أو الإسلامية، للحصول على شهادة أو رخصة سميت وقتها بـ"الإجازة"، التي تتطلب تعرف علل فساد الهواء وظهور الأمراض، ثم خصائص النباتات والمعادن والأدوية، وكذا تقنيات الفصد والاستفراغ والحجامة[2]، اعتمادا على أدوات بسيطة، مثل السكين والمشراط والحقن والملقط والمقص...[3]. وذلك بشكل يعكس الجمود الذي شهدته البلاد في نهاية القرن التاسع عشر، حيث توقف التعليم الطبي بجامعة القرويين، بعدما أصدرت آخر شهادة عام 1893[4]. لقد خار الوضع الصحي والطبي، مع مرور الوقت، وأصبح كارثيا في بداية القرن العشرين، بعد تضافر عوامل كثيرة.

خلاصات عامة

بناءً على ما سبق، يظهر أن المجتمع المغربي قبل الأزمنة الحديثة، كغيره من المجتمعات ما قبل الصناعية، عانى من أوبئة وأمراض عديدة، عاثت بأوضاع الأبدان والأذهان، في ظروف معيشية عتيقة ورعاية صحية هشة، رغم تشييد بعض المارستانات بالحواضر الكبرى، كمرافق عامة منذ القرون الوسطى، إلى جانب فضاءات علاجية أخرى، في الأسواق والساحات والدكاكين والأضرحة والقصور والبيوت...

كانت الفئات العامة تلجأ إلى التطبيب الشعبي، الذي يقوم على الطقوس الاستشفائية الدينية والسحرية، ووصفات الأعشاب والبخور، في الوقت الذي تدهورت فيه أحوال المارستانات، كانعكاس واقعي لأوضاع ميدان الطب التقليدي، الذي تعرض لنقص حاد في الموارد البشرية، مما عجل في طلب الخدمات الأجنبية الحديثة، في ظل ضعف البديل المحلي، وهو ما كُرّس زمن الاستعمار، حيث حافظت الإقامة العامة على مسألة الازدواجية بين التحديث والتقليد، على مستويات التطبيب والرعاية الصحية.

---

[1] الفرقان، **أدبيات الأوبئة**، ص. 252. رويان، **الطب الكولونيالي**، ص. 98. انظر أيضا:
RAYNAUD, **Etude sur l'hygiène**, pp. 134-136. LABOUDI, **Histoire de la médecine,** p. 92, 136.

[2] LABOUDI, **Histoire de la médecine,** pp. 70-78.

[3] RAYNAUD, Etude sur l'hygiène, p. 131.

[4] Mustapha AKHMISSE, "Histoire de la médicine au Maroc, des origines à l'avènement du Protectorat", **Histoire des sciences médicales**, T. XXVI, N. 4, 1992, pp. 268.

على العموم، يبدو أن الرعاية الصحية العامة، في المغرب قبل البنيات الحديثة، خصوصا خلال القرن التاسع عشر، كانت ضعيفة جدا، إن لم نقل منعدمة، لاسيما في المناطق المنعزلة البعيدة على التجمعات الحضرية. ورغم وجود بعض أساليب الوقاية والعلاج التقليدية، فإنها لم تكن مضمونة، ولا متاحة لمعظم الفئات الاجتماعية، خصوصا أمام تردي الأوضاع المعيشية والطبية والصحية، بفعل الكفاف الاقتصادي، والوفيات الدورية، والعتاقة التقنية والذهنية، والأزمات السياسية...

ملحق: الأوضاع الصحية والطبية في مغرب ما قبل الاستعمار

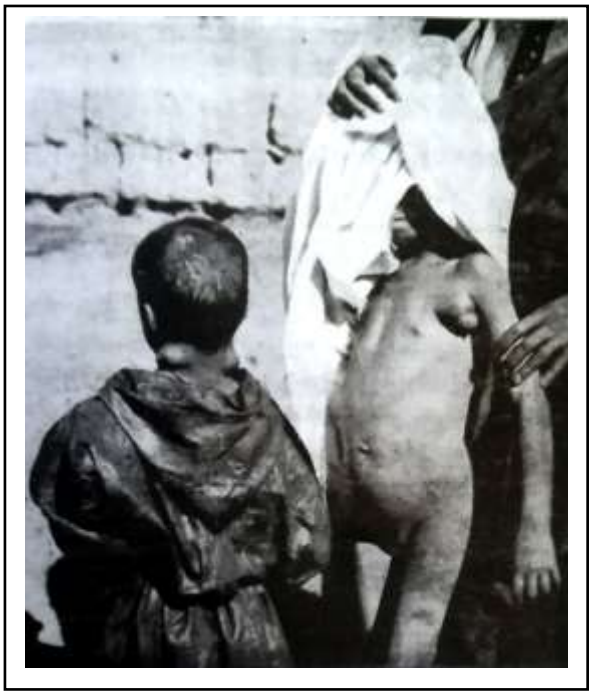

صورة 1: الطاعون الدملي على مؤخر العنق وتحت الإبطين
(رويان، ص. 224).

صورة 2: أدوات جراحية بسيطة
(RAYNAUD, p. 131).

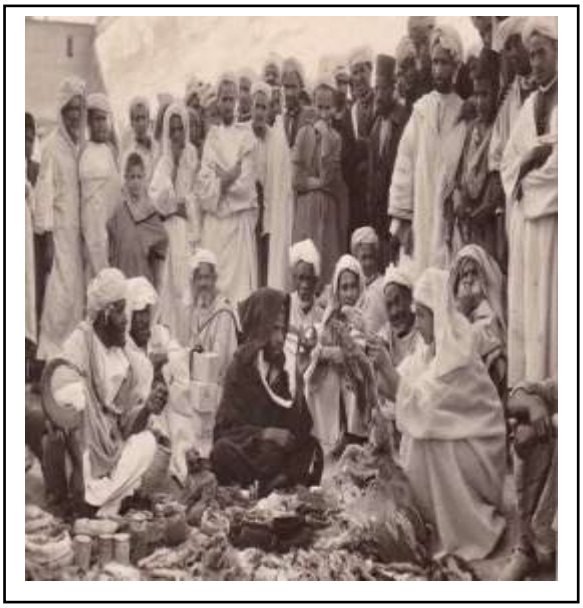

صورة 3: بائع العقاقير والتمائم في السوق الأسبوعي
(لوطورنو، ص. 941)

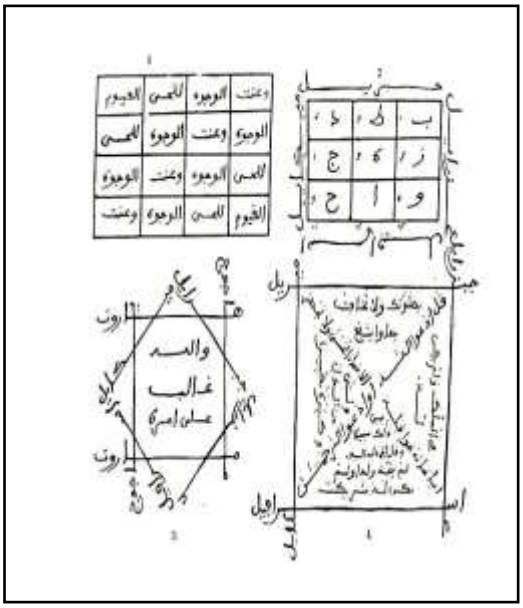

صورة 4: نماذج عن الطلاسم السحرية
(RAYNAUD, p. 125)

البيبليوغرافيا

1. الكتب: المصادروالمراجع

- ابن أبي زرع علي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط، دار المنصور، 1972.
- ابن أبي زرع علي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.
- الإفراني محمد، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، الدار البيضاء، مركز التراث الثقافي المغربي، 2004.
- أندريان جاك فولي، **كنت عبدا في المغرب (1783-1784)**، ترجمة بوشعيب الساوري، القلم المغرب، الدار البيضاء، 2017.
- براون كينيث، **موجز تاريخ سلا. 1000-1800**، ترجمة محمد حبيدة وأناس لعلو، منشورات أمل، الدار البيضاء، 2001.
- البزاز محمد الأمين، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992.
- بلعطاري نور الدين، **"الابتسام عن دولة ابن هشام أو ديوان العبر في أخبار أهل الثالث عشر" لأبي العلاء إدريس المتوفي بعد 1275هـ/ 1858م: تحقيق ودراسة لقضايا تواصلية**، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-وجدة، 2006-2007.
- بوجرة حسين، **الطاعون وبدع الطاعون، الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350-1800)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
- بوشعراء مصطفى، **الاستيطان والحماية بالمغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1984.
- التوفيق أحمد، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر. إينولتان (1850-1912)**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983.
- حالي محمد، **المجتمع والأزمات الديمغرافية في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر (1727-1757). مساهمة في الديمغرافيا التاريخية**، منشورات ألنايا، دمشق، 2013.
- حبيدة محمد، **بؤس التاريخ. مراجعات ومقاربات**، دار الأمان، الرباط، 2015.
- دافيد أرنولد، **الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية**، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.
- الدكالي محمد، **الإتحاف الوجيز، تاريخ العدوتين**، تحقيق مصطفى بوشعراء، الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، ط. 2، 1996.
- دوتي إدمون، **مراكش**، ترجمة عبد الرحيم حزل، مرسم، الرباط، 2011.
- دوتي إدمون، **مهام في المغرب من خلال القبائل**، ترجمة عبد الرحيم حزل، الرباط، دار الآمان، 2016.
- دوطي إدمون، **السحروالدين في شمال إفريقيا**، ترجمة فريد الزاهي، المعهد الجامعي، الرباط، 2019.

- رويان بوجمعة، **الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945**، الرباط-نيت، الرباط، 2013.
- الزياني أبو القاسم، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991.
- شعايبي رضوان، **صورة المغرب في كتابات الأطباء الفرنسيين 1912-1956**، منشورات جمعية البحث والتوثيق، الرباط، 2016.
- الضعيف محمد، **تاريخ الضعيف**، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986.
- عيسى أحمد، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، بيروت، دار الرائد العربي، 1981.
- الغساني أبو القاسم، **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- الفرقان حسن (دراسة وتحقيق)، **أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19. نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطاعون للعربي المشرفي**، دار التوحيدي، طنجة، 2014.
- فوانو لوي، **وجدة والعمالة: مونوغرافية وجدة وقبائل شرق المغرب**، ج 1، الرباط-نيت، الرباط، 2014.
- الكانوني محمد، **في عصر دول المغرب الأقصى**، تحقيق علال ركوك ومحمد بالوز، كلية الطب والصيدلة، الرباط، 2013.
- الكتاني محمد، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ج 2، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004.
- لطيف محمد العادل، **الخوف في بلاد المغرب في العصر الوسيط**، دار زينب للنشر، تونس، 2019.
- لوشيوني جوزيف، **المؤسسات الحبسية. من النشأة إلى سنة 1956**، ترجمة نجيبة أغرابي، دار أبي رقراق، الرباط، 2010.
- لوطورنو روجي، **فاس قبل الحماية**، ج 2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- ماريا تير ميتلن، **اثنتا عشرة سنة من الاستعباد. رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب 1731-1743**، ترجمة بوشعيب الساوري، دار السويدي، أبو ظبي، 2018.
- المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبط وتصحيح وتعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة،القاهرة، 1949.
- المكاوي أحمد، **الدور الإختراقي والاستعماري للطبابة في المغرب**، منشورات الزمن، الرباط، 2009.
- المنصوري عثمان، **التجارة بالمغرب القرن السادس عشر. مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001.
- موكي جان، **أسفار الرحالة الفرنسي جان موكي**، ترجمة عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني، الرباط، 2003.
- موليراس أوجست، **المغرب المجهول (الجزء الأول). اكتشاف الريف**، ترجمة عز الدين الخطابي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2013.

- الناصري أحمد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**. ج 8، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
- الناصري المكي، **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة**، مج 1، تحقيق محمد الحيب النوحي، الرباط، المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم، 2014.
- وايسجربر فردريك، **على عتبة المغرب الحديث**، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار الأمان، الرباط، 2011.
- الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 2، 1983.
- BEN-AMI Issachar, **Culte des saints et pèlerinages judéo-musulmans au Maroc**, Paris, Maisonneuve, 1990.
- EL ABBASSI Ali-bey, **Voyages d'Ali-bey El Abbassi en Afrique et en Asie**, T. 1, Paris, 1830.
- GRUCHET René, **La conquête Pacifique du Maroc, Berger-Leurault**, Paris, 2è Ed. 1934.
- JACKSON James, **An Account of the empire of Morocco and the district of Suse**, London, 1809.
- KATAN Yvette, **Oujda une ville frontière du Maroc (1907-1956)**, Rabat, Editions la porte, 1990.
- LAOUSTE Emile, **Mots et choses berbères. Notes de linguistique et d'ethnographie dialectes du Maroc,** Augustin Challamel, Paris, 1920.
- NOIN Daniel, **La population rurale du Maroc**, Paris, PUF, 1970.
- RAYNAUD Lucien, **Etude sur l'hygiène sur l'hygiène et la médecine au Maroc,** Alger, 1902.
- SERVIER Jean, **Les Berbères**, PUF, Paris, 1990.

2. المقالات

- البزاز محمد الأمين، "الطاعون الأسود بالمغرب في القرن 14 م"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط**، ع 16، 1991.
- بلكامل البضاوية، "بيمارستانات الرباط من الأصول إلى بداية فترة الحماية"، ضمن: **مدينة الرباط. التاريخ والذاكرة**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2016.
- جادور محمد، "الطب المغربي في نهاية القرن التاسع عشر. عبد السلام العلمي نموذجا"، ضمن: **المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2004.
- جادور محمد، "المجذومون بمغرب بداية العصر الحديث"، ضمن: **دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب**، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-ابن مسيك، 2011.
- حبيدة محمد، "الكوليرا والكورونا من الحدود البيولوجية إلى العولمة الفيروسية"، ضمن: **أي دور للمؤرخ في فهم أزمة كورونا؟**، مطبعة قرطبة، أكادير، منشورات تكامل للدراسات والأبحاث، 2020.
- رابطة الدين محمد، "البيمارستان"، **معلمة المغرب**، ج 6، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 1992.
- مرزاق محمد، "الأرستقراطية الوجدية خلال بداية القرن العشرين. الزاوية القندوسية الزيانية نموذجا"، **مجلة جمعية تاريخ المغرب-وجدة**، ع 2، 1994.
- AKHMISSE Mustapha, "Histoire de la médecine au Maroc, des origines à l'avènement du Protectorat", **Histoire des sciences médicales**, T. XXVI, N. 4, 1992.
- CHAKIB Abdelfattah et Autres, "Le Maristane Sidi-Frej à Fès", **Histoire des sciences médicales**, T. 28, N. 2, 1994.
- CHAUNU Pierre, "Mourir à Paris (XVI^{e}-XVII^{e}-XVIII^{e} siècles)", In: **Annales. Economies, sociétés, civilisations**. 31^{e} année, N. 1, 1976.
- KOGELMANN Franz, "Sidi Fredj: A Case Study of a Religious Endowment in Morocco", In: **Social welfare in Muslim societies in Africa**, Elanders Gotab, Stockholm, 2002.
- MOUSSAOUI D. et Autres, "Histoire de la médecine au Maroc pendant le Protectorat ", **Histoire des sciences médicales**, T. XXVI, N. 4, 1992.
- .

3. الرسائل الجامعية

- أبرهموش محمد، **الموت في المغرب قبل الاستعمار. من الديموغرافيا إلى التمثلات**، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، القنيطرة، 2020-2021.
- شين سعيدة، **التصورات الاجتماعية للطب الشعبي –دراسة ميدانية في منطقة الزيبان**، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة-الجزائر، 2014-2015.
- LABOUDI Fouad, **Histoire de la médecine au Maroc du XVII^{éme} au XIX^{éme} siècles, Aspects évolutifs**, Thèse de doctorat, Faculté de Médecine et de Pharmacie- Rabat, 2016

الطّب والامبريالية الفرنسية في شمال إفريقيا
– دراسة مقارنة بين الجزائر والمغرب الأقصى-
Medicine and imperialism in North Africa
-A comparative study between Algeria and Marocco -

د. مصطفى عتيقة. جامعة تيارت (الجزائر)
bahdja.samira@yahoo.com

ملخص:

يتناول هذا العمل واقع الطّب الاستعماري في شمال افريقيا، فالغاية من هذه الدّراسة هو تسليط الضّوء على السياسة الاستعمارية الفرنسية في اثنين من أقطار المغرب العربي (الجزائر،المغرب الأقصى)، رغم أنّ الحديث عن تاريخ الطّب الاستعماري والوضع الصّحي إبّان فترة الاستعمار الفرنسي يطرح تساؤلات عدّة لشحّ المعلومات، وما كتب عن هذه المرحلة لا يتوفر سوى في المصادر والمراجع الأولية الفرنسية.

إنّ ممارسة الطّب مهمّة نبيلة لكن خضوعها لخدمة الأغراض السياسية خلال الفترة الاستعمارية أفقدها طابعها الإنساني، ويبدو أنّ الصّحة بمفاهيمها العصرية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالفترة الاستعمارية لأنّها كانت حاملة لمشروع صحي ضمن المنظومة الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار ،فرنسا، بلدان المغرب، الشعب المسلم، الطّب.

Summary:

This work on the reality of imperialistic medicine in North Africa, the objective of This study is to hi light the political of French colonization in the tow Arabic's Maghreb countries; the history of colonial .and the health situation during the period of the French occupation continues to pose a number questioned; due to the scarcity of information, and what this been written about this crucial period is found only in French sources and works..

Providing medical was one of the most noble activity, however the French administration during the colonization used the health care policy as a tool to serve the objectives of the occupation .However health with its modern concepts is closely linked to the colonial period because it was the bearer of a health project within the colonial system.

Key words: Colonization, French, Maghreb countries, Muslim people, Medicine.

مقدمة:

لقد شكل الطب والأطباء أحد الأدوات الأساسية التي اعتمد عليها الاستعمار الفرنسي في عملية التوغل الاستعماري، حيث جم ع الطبيب في المستعمرات بين العديد من المهام والأدوار تراوحت بين المهام الإنسانية وخدمة توجهات السياسة الاستعمارية.

كثيرا ما كان ينظر إلى انتشار الطّب الغربي على أنه يعد نصرا قاطعا وتبريرا حاسما للحكم الامبريالي، فقد شكّل الطّب والأطباء أحد الأدوات الأساسية التي اعتمد عليها الاستعمار الأوروبي في عملية التّوغل الاستعماري، حيث جمع الطّبيب في المستعمرات بين العديد من المهام والأدوار تراوحت بين المهام الإنسانية وخدمة توجّهات السياسة الاستعمارية.

وتأتي هذه الدّراسة في سبيل الكشف عن واقع علاقة الطّب بالكولونيالية في شمال إفريقيا وخاصة في الجزائر والمغرب الأقصى كمستعمرات فرنسية، والتعرّف على آليات توظيف الطّب والأطّباء في عملية التّغلغل الاستعماري. ثم ماهي السياسة الطّبية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية اتجاه المسلمين في الجزائر والمغرب الأقصى.

ولعلّ السّؤال الأساسي في هذا الموضوع مرتبط بنظرة مؤرّخي النّزعة الاستعمارية الذّين حاولوا إبراز الجوانبالتي استفادت منها الشّعوب المستعمرة ومنها الطّب الاستعماري،والحقيقة أنّ السّؤال الجوهري حول مدى نجاح فرنسا في توظيف هذا المجال لخدمة مقاصدها الاستعمارية في كل من الجزائر(1830-1962) والمغرب الأقصى(1912-1956) ليصبح الطّب آداة من أدوات السّيطرة الامبريالية سواء من خلال الأطّباء العسكريين أوالمدنيين بواسطة تكريس مبدأ العلاج من أجل الاحتلال " Guérir pour Conquérir".

وتندرج ضمن الإشكالية الرّئيسية جملة من الأسئلة الفرعية لعل أهمها:

- هل كان الطّب الامبريالي في هذه المستعمرات طبّا عقلانيا وإنسانيا؟.-ما هي جوانب مساهمة الطّب الامبريالي في البلدين في مجال توطيد الاستعمار؟.
- ما هو تأثير الطّب والأطباء في تهيئة الرّأي العام الدّاخلي وأيضا أهميته في تهيئة الرّأي العام في البلد الأم (فرنسا)؟.
- فيما تتجلىّ الخدمات الصحية التي قدّمها الطّب الكولونيالي؟.
- ما هي ردود فعل سكان المستعمرات(المغرب الأقصى،الجزائر) من الطّب الفرنسي خلال الفترة الاستعمارية؟.

وفي سبيل تحقيق نتائج موضوعية حول موضوع الدّراسة سيتم الاعتماد على المنهج التّاريخي التّحليلي من خلال تتبع مسار تطوّر الطّب الامبريالي الفرنسي في مراحله المختلفة،فضلا عن توظيف

المنهج المقارن والذّي سيسمح باستجلاء الأدوار الحقيقية للطّب الكولونيالي في كل من الجزائر والمغرب الأقصى وخاصة أنّ المغرب الأقصى شهد مساعي الماريشال ليوطي إلى تطوير ما اصطلح على تسميته بطب "التّهدئة".

وفي سبيل استجلاء المهام الحقيقية للطّب الفرنسي وعلاقته بالامبريالية الاستعمارية تم الرّجوع إلى العديد من تصريحات رجال الطّب والسياسة،فضلا عن تتبع المسار المهني لبعض الأطّباء الذّين وظّفوا الطّب كأسلوب للتّغلغل داخل القبائل الجزائرية أو المغربية من أمثال أغنولي "Agnely" والجرّاح جيسكار "Giseard" والدّكتور بوزان "Pouzin" وغيرهم.

استعمرت فرنسا في أوج نشاطها الاستعماري دول عديدة في مختلف القارات وكان هدفها التوسع الإمبراطوري على حساب شعوب العالم الأضعف، وقد جاء التّركيز من خلال هذه الدّراسة على قطرين هما الجزائر والمغرب الأقصى وكان احتلالهما خلال القرنين التّاسع عشر والعشرين أين شهد الطّب الغربي تغيرّا خطيرا وأصبحت هيئات العمل الطّبية والممارسات الطّبية ذات تأثير في تشكيل النّظم الاستعمارية وهويتها، كما وصل الطّب الغربي إلى أقصى درجة من الأهمية من حيث الإيديولوجية والممارسة الامبريالية الفترة (1880-1930).

1-الوضع الصّحي في الجزائروالمغرب الأقصى بداية الاحتلال الفرنسي:

1-1-الوضع الصحي في الجزائروالمغرب الأقصى بداية الاحتلال الأوروبي:

- 1-1-1- الجزائر:

لقد كان التدهور سمة الوضع الصحي في الجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي، وقد ذكر كمال كاتب بأنه عشية الاحتلال الفرنسي كان نظام الصحة في الجزائر بدائيا (..) وكانت المستشفيات منعدمة والهياكل الوحيدة المسجلة هي مستوصف الداي والملاجئ التابعة لبعض المساجد[1].

رغم أنّ بعض التقارير الفرنسية ثمنت جهود فرنسا في محاربة الأمراض والأوبئة في الجزائر وعلى سبيل المثال التقارير التي رصدها كتاب جانتي دي بوسي الموسوم ب" المؤسسات الفرنسية في إيالة الجزائر ووسائل ضمان الرفاهية والازدهار مرفق بعدد كبير من المستندات الداعمة" والذي قدم معلومات ذات أهمية حول الأوضاع الصحية بالجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال وقد تعرض في الجزء الأول في الفصل السادس إلى نظام الحجر الصحي الذي عنونه بنظام الكرنتينة[2]،والتي تعني مدة

[1]- يحي بوعزيز،السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954)،الجزائر،1991.

[2]-Genty de Bussy, Pierre ; De l'établissement des Français dans la régence d'Alger et des moyens d'en assurer la prospérité, suivi d'un grand de pièces justificatives, Paris ,Firmin Didot,1835, 2Tomes ,p149.

الحجر الصحي التي تبلغ أربعين يوما وقد لجأت السلطات الفرنسية إلى فرضه كإجراء صحي وقائي رغم أن سكان الجزائر كانوا يتمتعون بصحة جيدة باستثناء القاطنين قرب المستنقعات والأماكن الحارة[1].

والأكيد أن الجزائر عرفت خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية انتشارا فاحشا للأمراض والأوبئة وخاصة وباء الكوليرا "Cholera Morbus" وكان أول ظهور له في مدينة الجزائر سنة 1832 بتسجيل حوالي 232 حالة[2].وسنة 1867 ضرب الوباء مجددا الجزائر مخلفا عددا من الضحايا.

كذلك عانت الجزائر من وباء الطاعون"La peste" والذي خلف بقسنطينة سنة 1835 حوالي 1500 ضحية،وكان وباء التيفوس" Typhus" الذي ابتليت به الجزائر نتيجة الفقر والبؤس والحروب والظروف الطبيعية القاسية،فضلا عن أنواع أخرى من الأوبئة والأمراض الخطيرة.

ولقد اشتد أثر هذه الأوبئة خاصة في ظل المجاعات حيث وصف العنتري مجاعات 1866-1868 بقوله " وفيها أشرف الناس على الهلاك الأليم والبلاء العظيم"[3]. وكانت نتيجة هذه الأوضاع أن تدهورت الأوضاع الصحية وسجلت الجزائر عددا من الوفيات وخاصة بسبب انتشار حمى المستنقعات التي ظهرت 1831 وخلفت حوالي 1000 وفاة والحمى المتقطعة التي أهلكت حوالي 313 شخصا خلال سنوات 1839-1845 و7803 حالة وفاة بسبب السل الرئوي خلال الفترة 1840-1857.

لقد حاول الفرنسيون في الجزائر التشهير بالوضع الصحي معتمدين في تقاريرهم على انعدام المقومات الصحية وغياب المرافق الصحية بما في ذلك المستشفيات والمحاجر الصحية[4]،وعليه أنشأت ما يعرف بالمكتب الصحي بتاريخ 28 جويلية 1830 مهمته الإشراف على مراقبة الوضع الصحي في الجزائر،كما تم ربط الوضع الصحي في الجزائر بمركز مرسيليا وتجهيز محجر ماهون " Lazaret de Mahon" بالمرافق الصحية الضرورية.

وكان التلقيح من أهم التدابير المتخذة في المجال الصحي وخاصة التلقيح ضد وباء الجدري وكانت المبادرات الأولى في هذا المجال بفضل الطبيب شوفرو "Chevreau" سنة 1832 في مدينة الجزائر ثم

---

[1]-حنيفي هلايلي،الوضع الصحي العام في الجزائر (1830-1837) من خلال تقرير المقتصد المدني الفرنسي جانتي دو بوسي (Genty de Bussy): محاولة في رصد بدايات التاريخ الاستعماري للجزائر،الحوار المتوسطي، المجلد 13،العدد 1،مارس 2022، ص290.

[2]-فلة مساوي القشاعي،الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي،(1518-1871) ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2004،ص131.

[3]- صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح وتق:رابح بونار،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1974،ص17.

[4]-عز الدين زايدي،الجزائريون والأوضاع الصحية الجديدة خلال المرحلة الأولى من الاحتلال،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية،ع1،جوان 2021،ص160.

مبادرة الطبيب العسكري جيسكارد "Giscard " سنة 1834، والطبيب أنيلي الذي كان له الفضل في تنظيم مصلحة التلقيح المجاني .

أما بخصوص المنشآت الصحية فقد جاءت كضرورة للحرب وكانت في الغالب موجهة لصالح الجنود (المستشفيات العسكرية) وقد قامت على أنقاض المنشآت الدينية حيث حول مسجد علي باشتين إلى صيدلية مركزية للجيش الفرنسي[1]، من بينها مستشفى الداي(2130سريرا) ومستشفى البليدة(250سريرا) ومستشفى المدية(176 سريرا)....

ومع ذلك لم تلق هذه الإجراءات تجاوبا لدى الجزائريين حيث رفض الأهالي التلقيح وخاصة أن فرنسا استغلت التطبيب كوسيلة للتنصير[2]. وظل الارتباط وثيقا لدى الجزائريين بالطب الشعبي رغم محاولات فرنسا إنكار أهميته،وقد شمل التداوي بالأعشاب والحمامات المعدنية والعلاج بالقرآن والطب النبوي.

الآليات: لقد شكلت الخدمات الطبية المقدمة من طرف الأطباء إحدى أبرز الوسائل التي وظفتها القوى الأوروبية وخاصة فرنسا للسيطرة على مستعمراتها سواء في الجزائر أو المغرب وقد تجلى هذا التوظيف بينا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد عملت سلطتي الحماية الاسبانية والفرنسية (1912-1956) على توظيف الخدمات الطبية لكسب ثقة المغاربة وتحقيق ما يسمى ب "التغلغل السلمي" حيث لجأت إلى إنشاء عدد من المرافق الصحية وتوسيع نطاق عمليات التلقيح،وقد ذكر الباحث أحمد مكاوي في كتابه " الدور الاختراقي والاستعماري للطبابة الأوروبية في المغرب" أن الاختراق الطبي الأوروبي للمغرب بدأ يأخذ حجما كبيرا بالموازاة مع تفاقم ضغوط الدول الأوروبية عليه مع استجابة ملحوظة وملموسة من قبل المغاربة. وقد ساق العديد من الأمثلة حيث انتحل الألماني " كراك" صفة طبيب واستقر في المغرب اعتبارا من سنة 1886 حيث استوطن مدينة الدار البيضاء وفتح عيادة وصيدلية سنة 1894 وقد حضي بالدعم الرسمي رغم كونه طبيب مزيف. وكان ضبط الجيش ينتحلون صفة الطبيب للقيام بالعمل ألاستخباري، حيث انتحل الضابط الاسباني " جيلفز" الذي كان يتقن اللغة العربية صفة الطبيب بهدف الاستطلاع على الأوضاع في منطقة تطوان بعد الاضطرابات التي عرفها المغرب الشرقي إبان تمرد الجيلالي الزرهوني " بوحمارة" سنة 1905.

[1] -Mostefa Khiati, Histoire de la médicine en Algérie de L'antiquité a nos jours, Alger, édition ANEP.2000.P280 .

[2]- خديجة بقطاش،الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، مطبعة دحلب ،ص56.

و في الجزائر أبرز الكاتب إيفون توران "Yvonne Turin" في مقال بعنوان "الطب الدعائي والاستعمار" تجربة بوفاريك سنة 1835 وهي تجربة الطبيب بوزان "Pouzin" والذي كان يمارس مهنة الطب في باريس قبل الحملة على الجزائر والذي سيصبح بعد الحملة مديرا للإسعاف في بوفاريك[1].

-1-1-2- المغرب الأقصى:

لم تغط الخدمة الصحية باستثناء المدن الرّئيسية ذات التّمركز الكبير للمستوطنين إلا جزءا ضيقا،وفي المناطق الأكثر استقرار اهتم الأطّباء بالدّعاية وتقديم الرّعاية الصحية للطّبقة العاملة المغربية النّاشئة،وقد وصف " كولومباني" هذه العملية سنة 1932 بأنها مزدوجة: إنسانية ونفعية حيث يقول " الهدف الإنساني يعني التّأكيد على دورنا كرسل للحضارة،والهدف النّفعي هو المحافظة على رأس المال البشري المحلي".

لقد ارتبطت الرّعاية الصحية بمتطلّبات الرّأسمال الكولونيالي، ففي سنة 1923 تسبب الوباء في هلاك مئات الآلاف من المغاربة مما أدّى إلى ارتفاع الأجور لذلك أقنع الرّأسماليون السّلطة بضرورة تخصيص أموال إضافية للخدمات الصحية.

اقتصر بناء المستشفيات على المدن الكبرى وعليه لم تكن في متناول السكان في المناطق الرّيفية،وفي المدن الكبرى كانت المستشفيات على ثلاث درجات بحجّة مراعاة العادات المختلفة(مسلمون،أوربيون،يهود)،كما لم تكن الموارد المالية عادلة ففي فاس،مراكش ومكناس حيث يفوق عدد المسلمين عدد الأوربيين بأكثر من خمسة أضعاف كانت مخصّصات مستشفيات المسلمين مساوية لعشر مخصّصات الأوربيين.

يبدو أنّ السياسة الفرنسية في مرحلتها الأولى (1912-1925) استهدفت محاربة الأمراض والأوبئة لتأمين الجو المناسب لاستقرار الجالية الأوروبية، وركّزت في مرحلة ثانية (1926-1956) على التّنظيم المؤسساتي للقطاع الصحي.

1-1-3-الجزائر:

لقد بقي معظم الجزائريين بعيدين عن العلاج الفرنسي بسبب عدم الثّقة وخاصة بسبب ارتباط هذا العلاج بالإدارة الاستعمارية وبالكنيسة الكاثوليكية،وقد لجأت فرنسا إلى إنشاء بعض المستشفيات في المناطق العربية، على أن تسند إدارة هذه المراكز إلى الأطّباء الدّاخليين والآباء البيض.

[1]-عثمان زقب،الطبيب في الوسط الاستعماري بالجزائر خلال القرن 19 بين المهام الإنسانية والدعائية،مجلة مدارات تاريخية،المجلد الثالث،العدد الثالث،سبتمبر 2021،ص132،

تؤكّد وثائق الأرشيف الفرنسي أنّ الإدارة الاستعمارية قد خصّصت بموجب القانون الفرنسي مبالغ مالية بهدف تهيئة المستشفيات في مدينة الجزائر، وقد خصّصت 80 مليون فرنك قيمة الإعانات التي وجهتها إلى كل البلديات والعمالات الثّلاث وفق ما يبنه الجدول التّالي[1]:

العمالة	الإعانات المالية
بلديات عمالة الجزائر	500.000.000 فرنك
بلديات عمالة وهران	330.000.000 فرنك
بلديات عمالة قسنطينة	400.000.000 فرنك
المجموع	1.230.000.000 فرنك

لكن الواقع أنّ معظم هذه الإمكانيات كانت موجهة لخدمة فئة الكولون وأعضاء المصالح الرّسمية الفرنسية، فلقد ظلّت الخدمات والمنشآت الصحية حكرا على المستوطنين ليس فقط في مدينة الجزائر لكن في كل القطر الجزائري.

وقد وجد الاستعمار الفرنسي نفسه ملزما ببناء بعض المرافق الصحية بغية محاصرة انتشار الأوبئة والأمراض بناء على مراسيم وقوانين مكمّلة منها مرسوم 21 جانفي 1853 المكمّل لما جاء في مرسوم 13 أفريل 1845 والذّي استحدث حوالي (60) مركزا ومستوصفا ،لتظهر سنة 1904 ملحقات صحية مدنية خاصة بالمسلمين الجزائريين.

وعلى الرّغم من ارتفاع معدّل السكان بين المسلمين الجزائريين لكن نسبة ما يجدونه من الرّعاية الصحية كان ضئيلا، حيث كان يوجد بالجزائر برمّتها حوالي 1.851 طبيبا و660 مولّدة و661 صيدليا و462 طبيب أسنان و149 مستشفى منها 12 عسكري و28 مستوصف[2]. ولعلّ الاطّلاع على إحصائيات الوفيات يجعلنا نتعرّف أكثر على مدى استفادة الجزائريين من الرّعاية الصحية حيث قدّر عدد الوفيات سنة 1948 في أواسط المسلمين ب 38.217 حالة وفاة مقابل 4.209 أوروبيا[3]، وهذا يعني أنّ عدد الوفيات لدى الجزائريين كانت تسع أضعاف من وفيات الأوربيين.

[1] - بن الشيخ حكيم،المنظومة الصحية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية،المجلد 6،العدد 2014،2،ص 6.

[2] - كريمة بوساق،سياسة مكافحة الفقر بالدول النامية،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في العلوم الاقتصادية،فرع التحليل الاقتصادي،جامعة الجزائر،(2003-2004)،ص101.

[3]- Gouvernement générale de l'Algérie; Direction général des finances, service de statistiques général, Annuaire statistique de l'Algérie, nouvelle série ,Deuxième volume,1948;p34.

وقد عبّرت المصادر الفرنسية نفسها عن عجز فرنسا في مجال التّغطية الصحية، ففي تقرير لسنة 1946 يؤكد أنّ الحالة الصحية في البلدية المختلطة "سعيدةّ جد مزرية فمرض الحمّى المتقطعة زاد في التّفشي وهناك عدّة وفيات[1].

2-موقف المستعمرات(الجزائر،المغرب الأقصى)من الطّب الكولونيالي:

2-2-1-المغرب الأقصى:

شكّك غالبية المغاربة في الأطّباء الاستعماريين وتردّدوا في طلب علاجهم وعند ظهور الصّحيفة القومية في الثّلاثينات " المغرب" هاجمت الدّكتور" كريستياني" في فاس وتحوّل غضب السّكان خلال المظاهرات الأولى المعادية للاستعمار في سلا سنة 1944 إلى أقرب مستشفى فدمروه.وعند بداية العمل المسلّح تم تصفية مجموعة من الأطّباء خلال الفترة 1953-1955 ،كما تم حرق بعض المستشفيات المخصصة للأوربيين.

فحين تشير بعض الدّراسات إلى إقبال المغاربة على الطّب الأوربي،ويذكر أحمد مكّاوي أنّ المقاوم محمّد ابن عبد الكريم الخطّابي سمح في أوج حرب الرّيف بتنظيم بعثة طبية لمعالجة الأسرى الفرنسيين والأسبان وحتى المصابين والمرضى الرّيفيين،وذلك بعد الاتفاق الذّي تم في وجدة سنة 1926حيث تشكلت البعثة الطّبية الفرنسية للريف بتعليمات من المقيم العام "تيودور ستيغ" في ماي 1926.

من جهة ثانية كانت الحركة الوطنية واعية بخطورة الطّب الكولونيالي، وفي هذا السياق كتب الوزّاني " ... وبهذا تتحقق أغراض سياسة الجلب كما كانت تسعى إليها السّلطات الفرنسية في الوسط المغربي،وممّا استعملته في هذا الطّبيب وسياسة اجتذاب المرضى حتى من النّساء".

وقد طالبت الحركة الوطنية بتوسيع الاستفادة من الخدمات الطّبية لتشمل كامل المغاربة وعند صياغة كتلة العمل الوطني لما عرف بمطالب الشّعب المغربي أكّدت في باب الصّحة العامة على ضرورة القيام بتدابير عديدة ذكرها محمّد الحسن الوزّاني في "مذكرات حياة وجهاد".

2-2-2-الجزائر:

لقد ظل الطّب الشّعبي طوال القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين الملجأ الوحيد الذّي يقصده أغلب الجزائريين للمداواة والعلاج وخاصة في المناطق البعيدة عن مراكز الاستيطان،ومن الجزائريين من ألّف في الطّب والصّحة خلال الفترة الاستعمارية منهم عثمان بن حمدان خوجة في كتابه"إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراز من الوباء " سنة 1837 ومحمّد بن مصطفى في كتابه "الطّب

[1] - عائشة مرجع،المنظومة الصحية الاستعمارية وتعاملها مع الواقع الصحي بالقطاع الوهراني (1945-1954)،مجلة القرطاس،العدد الخامس،جوان 2017، ص339.

والحجر الصحي "سنة 1896 ومحمّد ابن العربي الصّغير في كتابه "الطّب العربي في ولاية الجزائر" سنة1884[1].

وكانت الأدوية المستعملة في الطّب الشّعبي وليدة البنية الجزائرية فقد كان مصدر الأدوية بالنّسبة لعمالة الجزائر حسب كوليت بورلي موركو "Colette Bourely Maucourt" هي جبال القبائل[2].

خلال الثّورة التّحريرية وسعيا من قادتها للنّهوض بالأوضاع الصّحية المتدهورة فقد اتخذت عدّة إجراءات وتدابير ومن نتائج ذلك ما أقرّه مؤتمر الصّومام المنعقدة أشغاله بتاريخ 20 أوت 1956 رغم محاولات السّلطات الفرنسية محاصرة الأطّباء والصّيادلة الجزائريين.

كما ظهر العديد من الأطّباء الذّين آمنوا بالقضية الجزائرية من أمثال الطّبيب الفرنسي فرنز فانون وهو طبيب نفساني والذّي اكتشف أنّ القمع الاستعماري كان أحد أهم أسباب إصابة بعض الجزائريين بالجنون، وكان وجوده في مستشفى البليدة دافعا لتطوير أساليب العلاج النّفسي للمرضى.

الخاتمة:

لقد دافع مؤرّخو النّزعة الاستعمارية عن الظّاهرة الكولونيالية معتبرين الطّب الاستعماري أحد مزاياها،فحين تصدّى مؤرّخون آخرون لهذه الفكرة قائلين بفكرة أنه رغم فوائد الامبريالية في هذا المجال فقد استخدم الطّب كسلاح من ترسانة الأسلحة التي تم توظيفها للهيمنة، حيث نجح الطّبيب الأوروبي بسهولة كبيرة في التّنقل إلى البيت المسلم،ولم تكن الأهداف الدّعائية للفكرة الكولونيالية غائبة رغم محاولات الاستعمار تقديمها في باب الخدمات الإنسانية.

لقد أصبح الطّب أقل تأثيرا في تهيئة الرّأي العام المغربي والجزائري عندما أصبح دعمه واضحا للاستعمار ، فحين ازدادت أهميته في تهيئة الرّأي العام في البلد الأمّ(فرنسا)،حيث أصبح الطّب وسيلة "إيديولوجية" لنشر الرّؤى الاستعمارية، وكان تدخل الأطّباء لعلاج سكان المستعمرات في الجزائر أو المغرب الأقصى بغرض حماية الرّأسمال الأوروبي وكذلك لحماية السّكان الأوربيين كما جرى استخدامه لأغراض التّبشير الدّيني.

وفي العموم كان نظام الطّب الاستعماري في الجزائر والمغرب الأقصى يخدم المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين والمدراء البيروقراطيين بينما كانت رعاية السكان المحليين محدودة وضعيفة.

---

[1]-أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10إلى 14ه(16إلى 20م)،الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981،ص253.

[2]-Collette Bourely Maucourt, Contribution à L'étude historique de L'exercice de la pharmacie en Algérie 1830-1870;1928;p27.

لقد شكّل الأوروبيون في المستعمرات الفرنسية (الجزائر،المغرب الأقصى) صلات وبائية بتوصيل أمراض كانت موجودة في أوروبا ، كذلك قدّم الطّب الغربي نفسه في هذه المستعمرات على عقلانيته وتعارضه مع الطّب المحلّي ووصفه بالخرافة والشّعوذة. وكثيرا ما كان الموقف من الطّب الغربي أثناء النضال الآسيوي والإفريقي في سبيل الاستقلال موقفا متناقضا فنجد أصحاب النّزعة القومية كانوا يتطلّعون إلى إحياء الطّب المحلّي،فحين نجد الأطّباء المحلّيين ممّن مارس الطّب الغربي قد حقّقوا نفوذهم ضمن الطّبقة القومية الوسطى.

وفي الأخير تجدر الإشارة أنه لم تقتصر مساهمة الجزائر والمغرب الأقصى بوصفها من أهم المستعمرات الفرنسية في تراكم المعرفة وتوطيدها في فرنسا من خلال نقل الإنتاج العلمي المحلي إلى فرنسا بل أيضا نقل المواد البيولوجية.

قائمة المصادروالمراجع:

أولا: باللغة العربية:

- أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10إلى 14هـ(16إلى 20م)،الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981.
- بن الشيخ حكيم،المنظومة الصحية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية،المجلد 6،العدد 2،2014.
- حنيفي هلايلي،الوضع الصحي العام في الجزائر (1830-1837) من خلال تقرير المقتصد المدني الفرنسي جانتي دو بوسي (Genty de Bussy): محاولة في رصد بدايات التاريخ الاستعماري للجزائر،الحوار المتوسطي، المجلد 13،العدد 1،مارس 2022.
- خديجة بقطاش،الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، مطبعة دحلب .
- -رويان بوجمعة،الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب،1912-1945،نشر مطابع الرباط،نت 2013.
- ريفي دانيال،الطب الاستعماري أداة استعمارية متسامحة لمراقبة السكان،ترجمة عزوز هيشور وعبد القادر مومن،مجلة أمل،ع1995،6.
- صالح العنتري،مجاعات قسنطينة،تح وتق:رابح بونار،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1974.
- صليحة علامة،الطب الفرنسي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية(أداة للهيمنة وحقل للتنصير)،مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية،العدد 18، ص141.
- عائشة مرجع،المنظومة الصحية الاستعمارية وتعاملها مع الواقع الصحي بالقطاع الوهراني (1945-1954)،مجلة القرطاس،العدد الخامس،جوان 2017 .
- عثمان زقب،الطبيب في الوسط الاستعماري بالجزائر خلال القرن 19 بين المهام الإنسانية والدعائية،مجلة مدارات تاريخية،المجلد الثالث،العدد الثالث،سبتمبر 2021.

- عز الدين زايدي،الجزائريون والأوضاع الصحية الجديدة خلال المرحلة الأولى من الاحتلال،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية،ع1،جوان 2021.
- فلة مساوي القشاعي،الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي،(1518-1871) ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2004.
- منصف يوسف،هكذا راهن الاستعمار على الأطباء والراهنات لاختراق المجتمع المغربي،جريدة المساء، ع 24،2383-2014/05/25.
- يحي بوعزيز،السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954)،الجزائر،1991.

ثانيا: باللغة الفرنسية:

- Bertherand Emile, Médicine et hygiène des Arabes, études sur l'exercice de la médicine et de la chirurgie chez les musulmans de l'Algérie.
- Collette Bourely Maucourt, Contribution à L'étude historique de L'exercice de la pharmacie en Algérie 1830-1870;1928.
- de Badicour Louis, La colonisation de l'Algérie ses éléments, imprimerie Bailly Divery et Ce,1856.
- Fredj Claire, les médecins de l'armée et les soins aux colons en Algérie (1848-1851),Berlin; annales de démographie historique,2007/1,n 113.
- Genty de Bussy, Pierre ; De l'établissement des Français dans la régence d'Alger et des moyens d'en assurer la prospérité, suivi d'un grand de pièces justificatives, Paris ,Fimin Didot,1835, 2Tomes .-Héléne Abadie Feyguine ;De l'assistance médicale des femmes indigènes en Algérie, Montpellier,1905.
- Mostefa Khiati, Histoire de la médicine en Algérie de L'antiquité a nos jours, Alger, édition ANEP.2000..
- Ocher Amina; Colonisation et champagne berbère au Maroc ,edition Afriquia chark ; Casablanca ,Maroc,2002.

تأثير الثقافة العربية على بدايات الحضارة الأوروبية الحديثة
تقويم الصحة لابن بطلان (ت 1064 م) –أنموذجا-

The impact of Arab culture on the beginnings of modern European civilization
"The correction of the health"
Of "Ibn Batlan" As a model

د. حكيم لونيسي
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة (السعودية)
hakim7751@hotmail.com

ملخص:

نشأت العلوم الطبيعية بسيطة, وتتطورت شيئا فشيئا, و الأمم والحضارات تتعاقب في حمل مشعل الرقي والنهوض بالعلوم؛ ومن تلك العلوم علم الطب, ولقد كانت للحضارة الإسلامية العناية الكبيرة بهذا المجال الحساس, حتى نبغوا فيه, وأبدعوا مجالات لم يتعرض لها من سبقهم من الأمم, وأفادت بها غيرها من الأمم التي لها الآن الصدارة والمرجعية فيها؛ أعني الحضارة الأوربية الحديثة.

حاول الباحث في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على هذا التأثير من خلال دراسة كتاب الصحة لابن بطلان (1064م). وكذلك بيان بعض إبداعاته, ومن ذلك ما يعرف الآن بالطب الوقائي, والتأليف على طريقة الجداول لتسهيل وتبسيط العلم.

الكلمات المفتاحية: الثقافة العربية، الحضارة الأوروبية، تقويم، الصحة، بطلان.

Summary:

Natural sciences developed little by little.The nations and civilizations are carrying successively the torch of sophistication and advancement of sciences,and from that sciences Medicine.

The Islamic civilization has taken great care of this field of sensitive sciences which the Medecine, so that they excelled in it, and created fields that those who preceeded them from the other nations, benefited from them,and now they have the forefront and reference on it; I mean Modern European civilization.

In this paper, the researcher tried to shed light on this effect by studying Ibn Batlan's book "The correction of health", as well as explain some of his innovations, including, The Preventive medecine, and authorship on the method of tables which simplifies sciences.

Keywords: Five . Arab culture, european civilization,correction,health,batlan.

مقدمة:

إنَّ الحمد لله, نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا, ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له،ومَن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد

فقد انتقلت كثير من مؤلفات الحضارات القديمة؛ من يونانية وغيرها إلى الحضارة الإسلامية، بفعل الترجمة في عصر العباسي، ومن تلك العلوم التي نقلت عنهم علم الطب، لكن أعمل فيها المشتغلون بها عقولهم وتجاربهم, وأخضعوها لكثير من مفاهيمهم وأصولهم, فقد كانت المستشفيات الكبيرة – البمارستانات- في حواضر العالم الإسلامي من بغداد إلى قرطبة، مرورا بدمشق والقاهرة...، مدارس عليا للطب، يجمع فيها الطلاب دراسة على أساتذتهم بين مختلف النظريات القديمة الموروثة عن الحضارات السابقة، بعد إخضاعها لسلطان التجربة, وحقائق المعاينة والكشف؛ ومن ذلك ما ذكره ابن أبي أصيبعة عن سني دراسته للطب بدمشق وزملاءه على أستاذهم، بخلاف ماكان منتشرا في الأديرة خلال القرون الوسطى من الانكباب على كتب الطب دون اقترانها بالوقائع التجريبية. وهذا مما لاشك فيه أنه أثر في سير وتطور علم الطب والتأليف فيه, وانتقاله بين الحضارات.

وابن بطلان أحد أولئك الذين شاركوا في تلك الحركة فقد كان في البيمارستان العضدي, وأنشأ بأنطاكيا بيمرستان, وألف كتبا عدة في الطب, لذلك رأيت أن أفرده بالدراسة, وبيان اسهاماته التعليمية والطبية.

وسميته :" **تأثير الثقافة العربية على بدايات الحضارة الأوروبية الحديثة، تقويم الصحة لابن بطلان (ت 1064 م) –أنموذجا-" .**

مشكلة البحث: ما مدى اسهامات ابن بطلان التعليمية والطبية؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- بيان اسهامات ابن بطلان التعليمية في مجاله.
- تسليط الضوء على فرع من فروع الطب الحديث؛ وهو الطب الوقائي، أو مايسمى بالطب الغذائي؛ وقد سبق ابن بطلان إلى العناية به.
- بيان نقل وترجمات كتاب تقويم الصحة لابن بطلان إلى اللغات الأوربية.

الدراسات السابقة: لم يجد الباحث –في حدود اطلاعه- من أفرد الموضوع المراد دراسته ببحث مستقل.

منهج البحث: المنهج المتبع في كتابة هذا البحث هو المنهج الوصفي.

خطة البحث: اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس.

المقدمة تشتمل على: الافتتاحية وأهمية الموضوع, ومشكلة البحث, وخطة البحث, والمنهج المتبع فيه.

التمهيد: وفيه مباحثان:

المبحث الأول: التعريف بابن بطلان وبعصره.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب ابن بطلان (**تقويم الصحة**).

الفصل الأول: الاسهامات المتعلقة بالتعليم.

الفصل الثاني: الاسهامات المتعلقة بالطب الوقائي.

الفصل الثالث: اهتمام الأوربيون بكتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان.

الخاتمة: وفيها ملخص البحث وأهم نتائجه والتوصيات.

الفهارس العلمية: وتشتمل على: ثبت المراجع.

1. التمهيد: وفيه مبحثان

1-1 المبحث الأول: التعريف بابن بطلان وعصره

1-1-1 التعريف بابن بطلان:

اسمه أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان، نصراني من أهل بغداد. .(أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة،1965م،325).

مولده: لم يجد الباحث من أرخ لمولد ابن بطلان.

أساتذته: كان قد اشتغل على أبي الفرج عبد الله بن الطيب وتتلمذ له، وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكمية وغيرها.(أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة،1965م،325).

ولازم أيضا أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاولة أعمالها. (أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة،1965م،325).

أقرانه: كان ابن بطلان معاصرا لعلي بن رضوان الطبيب المصري. وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة.

ولم يكن أحد منهم يؤلف كتابا ولا يبتدع رأيا إلا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه. (أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة،1965م،325. وابن العبري غريغوريوس بن أهرون الملطي ، 1992م,190/1).

ومما جرى بينها الخلاف فيه؛ أفضلية الأخذ عن الشيوخ أو على الكتب. (الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك, 2000م, 74/21)

رحلاته: سافر ابن بطلان من **بغداد** إلى ديار مصر قصدا منه إلى مشاهدة علي بن رضوان، والاجتماع به وكان سفره من بغداد في سنة(تسع وثلاثين وأربعمائة)، ولما وصل في طريقه إلى حلب أقام بها مدة وأحسن إليه معز الدولة ثمال بن صالح بها وأكرمه أكراما كثيرا. وكان دخوله **الفسطاط** في مستهل جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وأقام بها ثلاث سنين وذلك في دولة المستنصر بالله من الخلفاء المصريين الفاطميين . وسافر ابن بطلان من ديار مصر إلى **القسطنطينية** وأقام بها سنة. ثم تردد بين حلب وانطاكيا.

وبسبب كثرة رحلاته ووصفه للبلدان التي زارها، وبلاغته في ذلك عده بعض المعاصرين- محمد كرد علي في كتابه أراء البيان- عالي الكعب في البلاغة.

ونقل عنه جمع من المؤلفين في البلدان, وصفه لهذه المناطق التي دخلها ، ومنهم ياقوت الحموي في مواضع من كتابه "معجم البلدان". وكذلك محمود شاكر في كتابه "أباطيل وأسمار".

وفاته: اختلف المؤرخون في سنة وفاة ابن بطلان:

فقيل: سنة 458هـ (سبط بن العجمي، 1417هـ، 447/1، الزركلي,2002م،191/7) .

وقيل: 444 هـ (القفطي علي بن يوسف،2005 م،222 ، ابن العبري غريغوريوس بن أهرون الملطي ، 1992م, 190/1).

وقيل: سنة 450 هـ (ابن الغزي محمد بن عبد الرحمن، 1990م، 341/1).

توفي ابن بطلان ولم يتخذ امرأة ولا خلف ولدا.

كتبه: ولابن بطلان من الكتب والمقالات:

كناش الأديرة والرهبان.

كتاب شراء العبيد وتقليب المماليك والجواري.

مقالة في شرب الدواء المسهل.

مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقي الأدوية المسهلة وتركيبها.

مقالة إلى علي بن رضوان عند وروده الفسطاط في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة جوابا عما كتبه إليه.

مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديما بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنانيش والأقراباذينات، وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة سبع وسبعين وثلثمائة وإلى سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

كتاب المدخل إلى الطب.

كتاب دعوة الأطباء ألفها للأمير نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان بالقسطنطينية في آخر أيلول من سنة خمس وستين وثلثمائة وألف.

كتاب دعوة الأطباء.

كتاب دعوة القسوس.

مقالة في مداواة صبي عرضت له حصاة.

كتاب **تقويم الصحة** (وهو موضع الدراسة). (أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة،1965م،328).

كلام العلماء فيه:

نقل سبط بن العجمي عن الصاحب في تاريخه في التعريف بابن بطلان قائلا: "طبيب حاذق. نصراني له مصنفات حسنة في الطب وعددها، وله شعر. وهو الذي بنى البيمارستان بأنطاكية. وقيل هو وضع البيمارستان بحلب، وجدد نور الدين عمارته". (سبط بن العجمي، 1417هـ، 445/1).

وقال القفطي: "وفضل فِي علم الأوائل". (القفطي علي بن يوسف، 2005م، 222).

2-1-1 التعريف بعصر ابن بطلان:

عاش ابن بطلان في القرن الخامس الهجري الذي عرف تمزق في الوحدة السياسية للدولة الإسلامية, وتجاذب بل سيطرة للتيار الشيعي على مقاليد الحكم؛ فالخلافة العباسية التي كان تحت سيطرة البويهيين الشيعة في النصف الأول من القرن الخامس في بغداد، وسيطرة الفاطميين على مصر- زمن المستنصر بالله الفاطمي.(ابن الأثير علي بن أبي الكرم،1965م،

أما على المستوى الحضاري والثقافي؛ فقد عرفت الترجمة ودراسة كتب الأقدمين من الحضارات السالفة علوم اليونان الكلامية والمنطقية والفلسفية والطبيعية... عند كثير من المنتسبين للعلم انتشارا واسعا، فيعد القرن الخامس استمرارا للدراسات التي عرفها القرن الرابع؛ الذي كان أزهى عصر لدراسة العلوم اليونانية في الحضارة الإسلامية، فاستمرت وازدهرت في القرن الخامس وامتدت من بغداد إلى غيرها من المدن عموما؛ ومنها مصر على الخصوص.

ومن العلوم التي اهتم بها في هذا العصر علم الطب، وكانت دراسته أساسا تعتمد على دراسة كتب اليونانين الأقدمين؛ أبقراط، وجالينوس..مع ما امتاز به الأطباء في الحضارة الإسلامية، من تلقيها عن الأساتذة عمليا في البيرمنستانات واخضاعها للتجربة والتمحيص.

وتأثر ابن بطلان بذلك كله ظاهر في كتبه, وخير دليل على ذلك الخلاف القائم بينه وبين الطبيب ابن رضوان المصري, وقد سبق الإشارة إليه.

وآخر صفحة من كتاب (تقويم الصحة) جعلها ابن بطلان للأطباء الذين استفاد منهم، وهي على شكل جدول, مع رموزهم في الكتاب؛ وهم: بقراط ب، جالينوس ج، روفس رو، ديوسقوريدس د، فولس فو،

أوريباسيوس ار، بياذوق بيا، يوحنا نو، عيسى بن ماسويه ع هـ، شرك الهندي ش، الرازي الر، مسيح م، حنين ح، إسحق اس، ماسرجويه ما.

ومما تأثر أيضا به ابن بطلان علم التنجيم – وكان منتشرا بين المشتغلين بالعلوم الكلامية والفلسفية والطبيعية في عصر ابن بطلان، ومن ذلك اسناد التأثير إلى الكواكب واقترانها.

فقال : "ومن مشاهير الأوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الأثاري في الجوزاء من سنة ست وأربعين وأربعمائة فإن في تلك السنة دفن في كنيسة لوقا بعد أن امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية أربعة عشر ألف نسمة في الخريف. فلما توسط الصيف في سنة سبع وأربعين لم يوف النيل فمات في الفسطاط والشام أكثر أهلها وجميع الغرباء إلا من شاء الله، وانتقل الوباء إلى العراق فأتى على أكثر أهله واستولى عليه الخراب بطروق العساكر المتعادية واتصل ذلك بها إلى سنة أربع وخمسين وأربعمائة... وقال أيضا بعد ذلك ولأن هذا الكوكب الأثاري طلع في برج الجوزاء- وهو طالع مصر- أوقع الوباء في الفسطاط بنقصان النيل في وقت ظهوره في سنة خمس وأربعين وأربعمائة"

وقال: " ولما نزل زحل برج السرطان تكامل خراب العراق والموصل والجزيرة واختلت ديار بكر وربيعة ومضر وفارس وكرمان وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام واضطربت أحوال ملوك الأرض وكثرت الحروب والغلاء والوباء".

ومن ذلك استدلال ابن بطلان بأقوال بطليموس في الحوادث العامة وعلاقتها بالنجوم؛ فقال: "وصح حكم بطليموس في قوله إن زحل والمريخ متى اقترنا في السرطان زلزل العالم".

وقال: "وصح إنذار بطليموس القائل الويل لأهل مصر إذا طلع أحد ذوات الذوائب وأنجهم في الجوزاء".

2-1 المبحث الثاني: التعريف بالكتاب (تقويم الصحة):

1-2-1 التعريف المادي بكتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان:

كتاب (تقويم الصحة) مخطوط يقع في (44) لوحة، (وعدد الأسطر في اللوحة بين 7 و 12) , خطه: النسخ، يعود تاريخه إلى (610هـ).

النسخة الأصلية محفوظة في المكتبة البريطانية: مخطوطات شرقية، وتوجد نسخة منه في مكتبة قطر الوطنية، وفي مكتبة قطر الرقمية (رقم الاستدعاء: Or 1347)

https://www.qdl.qa/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9/archive/81055/vdc_100023896871.0x00000f

وهنا بعض النماذج من المخطوط (ل 15) و(ل 19)

2-2-1 التعريف الموضوعي بكتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان:

كتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان, من الكتب الطبية بصفة إجمالية؛ فيأتي في تخصص علم الطب عموما, وهو فرع من العلوم التي لاقت رواجا كبيرا قديما وحديثا, لما لها من أهمية وشرف، فشرف العلم بشرف المتعلق به؛ وهو هنا الإنسان.

كتاب (تقويم الصحة) يتناول العوامل التي تؤثر في الصحة لا في الأدوية المعروفة, فحدد ابن بطلان هذه العوامل وجعلها ستة؛ فقال: " تقويم الصحة بالأسباب الستة- التي لابد لكل إنسان يؤثر دوام صحته تعديلها-؛ وأولها: اصلاح الهواء الواصل إلى قلبه، والثاني: تقدير مأكله ومشربه، والثالث: تعديل حركاته وسكونه، والرابع: منع نفسه من الإغراق في نومه ويقظته، والخامس: تقدير استفراغ واحتقان فضلاته، والسادس: أخذ نفسه بالقصد في فرجه وغضبه وفزعه وغمه"(ل12).

وهي الهواء اللطيف، الأكل والشرب المعتدلين، التوازن بين العمل والراحة، التوازن بين الاستيقاظ والخمول، وانتظام خروج الفضلات وانشغال العاطفة.

ثم أشار ابن بطلان على وجه الصحة في هذه الستة وهو الإعتدال فيها فقال: "فهذا وجه اعتدالها وبه تكون هذه الستة حافظة للصحة، فإذا خرجت عنه أحدثت المرض".

كتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان يعتني بتفصيل العوامل الستة المؤثرة في الصحة، فيذكر أنواعها وأجناسها ولوازمها؛ فيقول: "وتحت كل جنس من هذه الستة عدة أنواع ولوازم".

كتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان يراعي أصناف الناس بحسب أعمارهم وأمزجتهم، فيذكر ما يناسب قوام صحة كل منهم بحسب ذلك كله؛ فيقول :"ونحن نذكر طبايعها واختيارات ما يوافق كل إنسان منها بحسب مزاجه وسنه"(ل12).

كتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان موضوع على طريقة الجداول، على خلاف الطريقة السائدة في زمانه؛ الاعتماد على سرد النصوص المطولة، وحشد البراهين والأدلة، قال ابن بطلان: "وما شاننا تعديده في جدول لأن الناس على ضجر من تطويل العلماء وكثرة الكتب المدونة، فإن حاجتهم من العلوم إلى منافعها لا إلى براهينها وحدودها ما اعتمدنا في كتابنا اختصار الألفاظ المطولة، وجمع شتات المعاني المتفرقة متبعين في ذلك القدماء والمحدثين"(ل12).

كتاب (تقويم الصحة)، سار فيه ابن بطلان على منهج التقريب، والابتعاد عن التطويل والحشد للأدلة والبراهين إلا للحاجة : قال ابن بطلان "وما لنا فيه إلا التقريب والترتيب وتسهيل مطلب، أو إيراد حجة في نصرة مذهب، غير ضامنين رضا الناس على اختلاف أفهامهم وأهوائهم بل مستعينين بالله فيما نورده عليهم"(ل12).

فهو بذلك يعتبر مرجع في مجاله سابق عصره في تخصصه.

2. **الفصل الأول: الاسهامات المتعلقة بالتعليم:**

إن الكتاب والكتابة من النعم التي امتن الله بها على عباده، قال تعالى: ((ن والقلم ومايسطرون)) (القلم ١)، لكن بشرط أن يكون مُبينا، سهلا يسيرا على الدارسين له, يوصل المعلومة إلى القارئ بسهولة فيفهمها ويعقلها , لا يكون مهلهلا أو معقدا.

وهذا ما كانت عليه الكتابات القديمة اليونانية لما فيها من تعقيد وتطويل، ولذلك لما نقلت العلوم الطبية عن اليونانيين إلى الحضارة الإسلامية شابها الكثير من الصعوبة في فهمها ودراستها، لما اقترنت به من صعوبة اللغة, والتعقيد في العبارة, والغرابة في اللفظ, والقصور في ايصال المعلومة. وفي ذلك تقول الدكتورة هونكه: "لذلك لا عجب إذا اعترفت أوربا بالعرب أساتذة لها ومعلمين، وأخذت عنهم علومها الطبية وكتبهم التي امتازت على ذلك الخليط المشوش الذي تركه اليونان".(د.سيجريد هونكه، 1432 هـ، 208) .

«فالعرب هم الذي أدخلوا النور والنظام على المؤلفات الغامضة، والتي جاءتنا مهلهلة مضطربة عن العالم القديم» هكذا يذكر مؤرخ طب -نويبورجر- ويعترف بذلك في اعترافه باسهام العرب في تقريب العلوم والكتب : «فقد جعلوا من المقتبسات الجافة والمعلومات المجموعة والمجردة من العقل والفهم، هذه المعلومات التي وضعها البيزنطيون كتبًا علمية حقًا، فقد نظموها وقسموها حسب تخصصها، لقد أدرك

العرب أن الغرض من هذه الكتب يجب أن يكون التعليم فصاغوها الصياغة التي حققت هذا الهدف، وذلك في لغتهم العربية القومية الحية وليس في لغة ميتة فكانت كتبهم مثالا علميًا عظيمًا» (نوبورجر).

والعلوم الطبية في طبيعتها تحتاج إلى تبسيط وحسن ترتيب, وسهولة في ايصال المعلومة للدارس, فاهتدى رواد هذا المجال إلى طرق جديدة تفي بهذا الغرض, كالسؤال و الجواب, وكذلك صناعة الجداول؛ وهي الطريقة التي استعملها ابن بطلان في تأليفه كتابه"تقويم الصحة".

وفي ذلك تقول الدكتورة هونكه: " فأيها أحسن للحظ والتعليم؟ ! أليست هي هذه الكتب العربية التي وضعت في صيغة سؤال وجواب كتلك التي ألفها حنين بن إسحق وثابت بن قرة ومئات آخرون؟ ! إن إيساغوجي حنين لتعليم آراء جالينوس، وسائر مؤلفات ابن رضوان وغيرها كانت من الكتب التي لا يمكن أن يستغني عنها طالب طب، كما أنه ليس هناك أنفع لطبيب من الأطباء من جداول ابن جزلة التي رتب فيها الأمراض ترتيب الأفلاك في الجداول الفلكية، وهذه الجداول تمكنه من إلقاء نظرة عامة على الأسباب والتشخيص وطريقة العلاج للفقراء والأغنياء، وقد ذكر فيها قرابة ثلاثمائة واثنين وخمسين مرضًا. **أو هل هناك أنفع من جداول ابن بطلان** حول فوائد ومضار الطقس والغذاء والحركة أو السكون والنوم أو اليقظة ووسائل التغلب على هذه الأضرار؟ ! (د.سيجريد هونكه، 1432 هـ، 208).

قال ابن بطلان: "وما شاننا تعديده في جدول لأن الناس على ضجر من تطويل العلماء وكثرة الكتب المدونة، فإن حاجتهم من العلوم إلى منافعها لا إلى براهينها وحدودها ما اعتمدنا في كتابنا اختصار الألفاظ المطولة، وجمع شتات المعاني المتفرقة متبعين في ذلك القدماء والمحدثين"(ل12).

فكتاب تقويم الصحة لابن بطلان وضع على طريقة الجداول، وذلك مما يصيب الهدف في الصميم ويوصل المعلومة للقارئ بدون أي تعقيد أو تطويل، فطبيعة الجداول الاهتمام بالمعلومة لا بالصياغة التركيبية، والمحسنات البديعية، والأساليب البيانية، مما يضيع القارئ ويشتت عليه ذهنه.

3. الفصل الثاني: الاسهامات المتعلقة بالطب الوقائي (الغذائي).

اعتنت الكتب المصنفة قديما ببحث الأمراض, ووصفها وسبل العلاج منها, أي بعد وقوعها, ووقوع الضرر بها , وكيفية رفعه والاستشفاء منه, لكن كتاب (تقويم الصحة لابن طلان) سلك مسلكا آخر, تعرض فيه للعوامل التي تؤثر في الصحة وتقومها, فذكرها, وذكر مضارها , وهذه العوامل من الطقس والغذاء و الحركة أو السكون والنوم أو اليقظة... فقال: " تقويم الصحة بالأسباب الستة التي لابد لكل إنسان يؤثر دوام صحته تعديلها؛ وأولها: اصلاح الهواء الواصل إلى قلبه، والثاني: تقدير مأكله ومشربه، والثالث: تعديل حركاته وسكونه، والرابع: منع نفسه من الإغراق في نومه ويقظته، والخامس: تقدير استفراغ واحتقان فضلاته، والسادس: أخذ نفسه بالقصد في فرجه وغضبه وفزعه وغمه"(ل12).

وهذه عوامل تساهم في دفع المرض أي قبل وقوعه, وكذلك رفعه بعد وقوعه. فمثلا في الغذاء يتكلم عن الحبوب، فيضع لها جدولا ليبن ما فيها من أنواع، ويبن جيده ومنفعته، ومضرته وكيف يدفع ضرره...وهكذا في الفواكه والأخباز.....ثم ينتقل في اللوحة التالية إلى الاختيارات حسب الأطباء الكبار مشيرا إليهم بالحروف. كما هو في المثال التالي: لوحة 29, في الحبوب وطبائعها، ثم (ل30) في الاختيارات

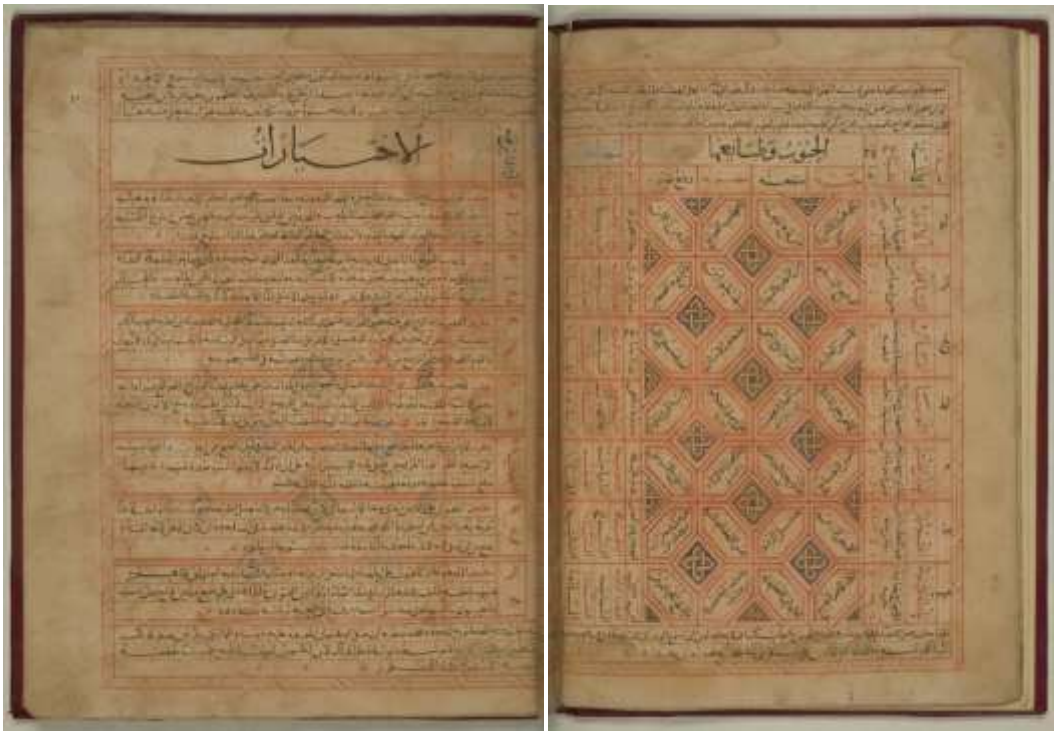

وهكذا في جميع العاوامل الستة.

وهذه العوامل السالفة الذكر؛ من الطقس والغذاء و الحركة أو السكون و النوم أو اليقظة... هي خلاف الأدوية المعروفة، فلا تؤثر في المرض بطريقة مباشرة , وهذا ما يعرف في الطب الحديث بالطب الوقائي وهو أحد التخصصات فيه.

4. **الفصل الثالث: اهتمام الأوربيون بكتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان:**

أولى الغربيون كتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان عناية خاصة ، ومظاهر ذلك عديدة ، نذكر منها مايلي:

الاحتفاظ بمخطوط كتاب (تقويم الصحة) ، ونسخ كتاب (تقويم الصحة) لابن بطلان في المكتبات الأوربية:

توجد العشرات من مخطوطات لكاتب (تقويم الصحة) في المكتبات الأوربية، ومن ذلك:

1. مخطوط لاتيني 6977، المكتبة الوطنية فرنسا (BNF) بين 1250و 1300م، 66 لوحة، 41 جدول.
2. مخطوط (ms) 1501 المكتبة الانجيلية، روما.

نقل كتاب (تقويم الصحة) إلى اللغات الأوربية: كتاب **(تقويم الصحة)** لابن بطلان كان السبب في نشأة علم من العلوم المهمة عند الغرب؛ وهو علم التقويمات الطبية ، وصدرت منه سلسلتان باللاتينية:

1. **السلسلة الأولى** : تعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي؛ وهي عبارة عن ترجمات لاتينية للنص العربي –في مجملها- لكتاب (**تقويم الصحة**) ، وكانت بدايتها لملك سقيليا.

وهذا نموذج لها: (تقويم BNF lat 6977، 1250-1300)

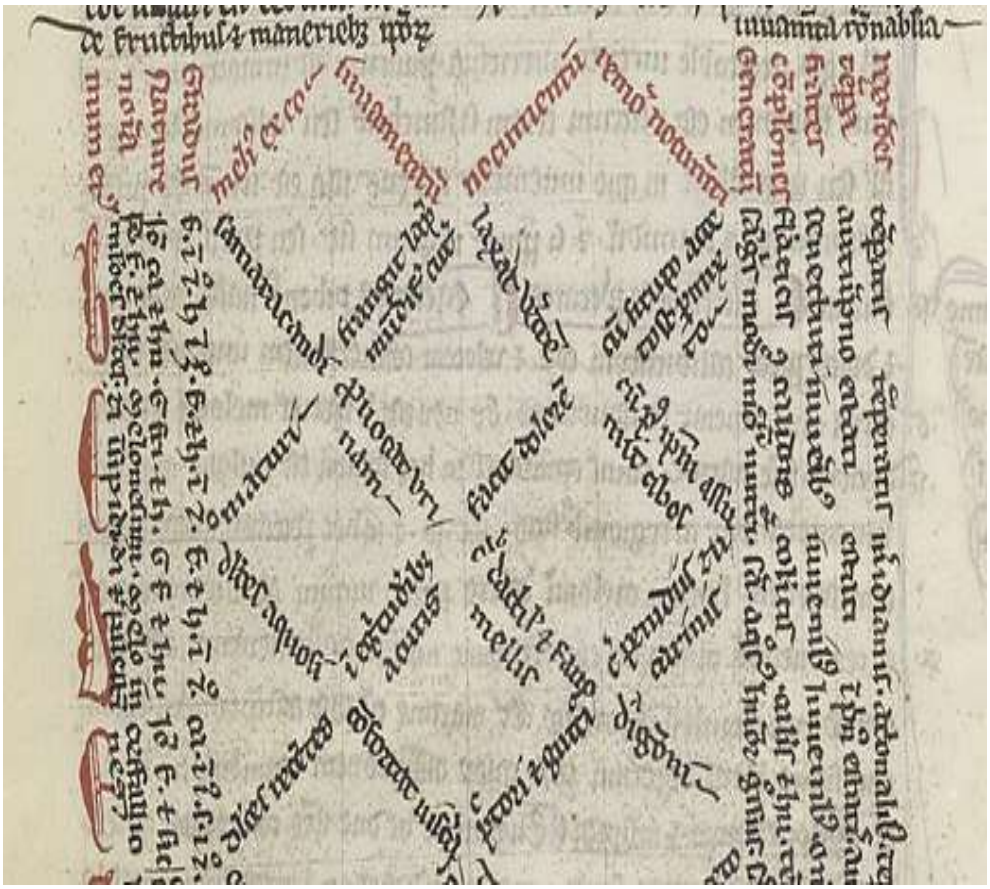

2. **السلسلة الثانية** : تبدأ من نهاية القرن الرابع عشر ؛ وهي عبارة عن اصادارت مختصرة للنص العربي ، مع زيادات للتوضيح واستعمال للرسومات ، وصدرت مع تغييرات بحسب الإصادرات، والمحفوظ منها في مؤسسات عامة، ويشار إليها غالبا بحسب موقعها:

- ✓ مخطوط المكسب الجديد اللاتيني BNF، باريس، صدر 1380- 1390. (205 رسومات)، ينظر *Mandragore*
- ✓ تقويم **ليج**، المكتبة الجامعية، ms1041، 1380-1400، يقع في 86ورقة ، 170رسما.
- ✓ تقويم فيينا، 2644، Österreischiche Nationalbibliothek فيينا، 1390-1400 ، ويقع في (109ورقة، 218رسما).
- ✓ التقويم الصحي روما، Biblioteca Casanatense رمز 4182، 1390-1400، (108ورقة، 208 رسما),
- ✓ المخطوط اللاتيني 9333، BNF باريس، 1445-1451(104 ورقة مرسومة) منقولة من مخطوط فيينا، مع ترجمة ألمانية لكل صفحة *Gallica* .
- ✓ تقويم رويين، المكتبة المركزية ، ms.3054، 1450(53 ورقة)، وتوجد تكملته في مكتبة خاصة (ليشتنشتين).
- ✓ مخطوط 2396 المكتبة الوطنية فيانا، وسط القرن الخامس عشر (38ورقة).
- ✓ مخطوط 5264 المكتبة الوطنية فيانا، حوالي 1480 (132ورقة).
- ✓ مخطوط ms C67، المكتبة الجامعية غرناطة، صدرت في ألمانيا، الجزي الثاني من القرن الخامس عشر.

https://fr.wikipedia.org/wiki/Tacuinum_sanitatis

الخاتمة:

الحضارات تتلاقح, فيأخذ بعضها من بعض وتستفيد بعضها من بعض, ومحاولة طمس اسهامات الحضارة الإسلامية في العلوم عموما, وفي الطب خصوصا محاولة مغرضة وراءها أغراض حقيرة. حاول الباحث من خلال استعراض كتاب تقويم الصحة لابن بطلان, بيان بطلانها؛ وذلك من خلال:

1. بيان اسهاماته التعليمية: التركيز في طريقة الاعتماد على الجداول، والابتعاد عن الطريقة السردية للنصوص، والحشد للبراهين والأدلة، لكن التركيز على الفائدة.
2. وبيان اسهاماته الطبية: التركيز على العوامل الوقائية الستة، مع مراعاة أمزجة وأسنان كل إنسان.

3. بيان اهتمام الأوربيين بكتاب (**تقويم الصحة**)، منذ صدوره مخطوطا، وعملا على منواله، وصدورا عنه.

المصادروالمراجع:

ابن أبي أصيبعة؛ أحمد بن القاسم (ت 668ه)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت 1965م.

ابن الأثير عز الدين، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (630ه)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الصادر، بيروت لبنان، 1965م.

الزركلي؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي (ت 1396ه)، الأعلام، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر، مايو 2002 م.

سبط ابن العجمي؛ أحمد بن إبراهيم بن محمد موفق الدين، أبو ذر (ت 884ه)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب الطبعة الأولى، 1417 هـ، عدد الأجزاء: 2.

د. سيجريد هونكه، شمس الله تشرق على الغرب = فضل العرب على أوروبا ترجمه وحققه وعلق عليه: أ. د. فؤاد حسنين علي، دار العلم العربي، الطبعة الثانية، : 1432 هـ

الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764ه)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث ، بيروت 1420ه،2000م، عدد الأجزاء: 29.

ابن العبري؛ غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرون (أو هارون) بن توما الملطي، أبو الفرج (ت685ه)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1992 م.

ابن الغزي؛ شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت1167ه) ، ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م، عدد الأجزاء: 4.

القفطي؛ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (ت646 هـ)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1426 هـ - 2005 م.

ابن منقذ؛ أسامة بن مرشد الكناني الكلبي الشيزري (ت 584ه) ، الاعتبار، تحرير فيليب حتي، د.ف. مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

المخطوطات:

ابن بطلان. تقويم الصحة. مكتبة قطر الرقمية[7-ر]. رقم الإستدعاء Or 1347.

أخلاقيات ممارسة مهنة التطبيب عند عبد المالك بن زهر

The ethics of practicing the medical profession according to Abdul Malik bin Zahr

د. دكارمحمد أمين ،جامعة سعيدة، الجزائر
Dekkar45@gmail.com

الملخص :

قدمت الحضارة العربية الإسلامية نماذج مختلفة ومتنوعة وفي شتى الميادين و العلوم المختلفة من علوم المادة إلى علوم الإحياء إلى الطب و الهندسة و العمران إلى الفلسفة و التاريخ و الجغرافيا وعلوم الإنسان بصفة عامة و المتفحص للتاريخ لا يسعه إلا أن يمجد و يشيد بهذه النماذج التي شكلت لحظات هامة في تاريخ البناء الحضاري و على سبيل الذكر الطبيب الأندلسي عبد المالك بن زهر الذي يعتبر من أهم أطباء عصره و الذي جمع بين الطب بأقسامه المختلفة و بخاصة مجال الجراحة و المجال الأخلاقي في هذه الممارسة و نجده حريصا على هذا الجمع لان في نظره الممارسة الطيبة لن تكون ناجحة إلا بربطها بالجانب الاتيقي لما يقدمه هذا الأخير من قيمة مضافة للممارسة الطبية..

الكلمات المفتاحية : الطب ، الأخلاقيات ، الايتيقا ، الممارسة ، المنهج

Summary:

The Arab-Islamic Civilization presented various and diverse models in various fields and different sciences, from material sciences to biology to medicine, engineering, urbanism to philosophy, history, geography and Human Sciences in general, and The Examiner of history can not help but glorify and praise these models that formed important moments in the history of civilizational construction, for example, the Andalusian Doctor Abdul Malik ibn Zuhr, who is considered one of the most important doctors of his time, who combined medicine with its various sections, especially the field of surgery and the ethical field in this practice, and we find him keen on this combination because in the view of good practice, it will not be successful unless it is linked to the ethical side of what the latter provides of added value to medical practice..

Keywords: medicine, ethics, ethics, practice, method.

جاء الإسلام شاملا لضروب النشاط الإنساني كافة و منها البحث الكوني ، و خلق الإنسان لتعمير هذا الكون وجعله مستخلفا ، و خلافة الأرض لا تكون إلا بالعلم النافع و المعرفة المادية و المعنوية لهذا أمر الله بالعلم ، ولعل أول سورة نزلت تأمر بالعلم لم تكن إلا دليلا على عظمة هذا الدين ((اقرا باسم ربك الذي خلق)) كما ان العلوم على اختلاف مشاربها لم تكن واحدة في الدرجة نظرا لأولويتها في حفظ مكانة الإنسان و انعكس ذلك كله على مكانة العلماء و تخصصاتهم فمنهم الفقيه و منهم المؤرخ و منهم الموسوعي ((وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم و الذين أتوا العلم درجات و الله بما تعملون خبير))

لقد ابتكر المسلمون علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم و سموها بأسمائها العربية كعلم الكيمياء و علم الجبر و غيروا بعض التخصصات في علم الطب و التشريح و كان لذلك الأثر البالغ و العميق في الحضارات التي عاصرت الحضارة الإسلامية

صار من الواجب إعادة كتابة التاريخ العربي و الإسلامي من جديد، بل و من زاوية أخرى كانت مهمشة في السابق، إنها زاوية تعديل صورة هذا الماضي الذي يعبر عنه (التراث) إذ كثيرا ما يرتبط مثل هذا الاصطلاح ب (المفهومية) و من ثمة يصير مسألة مذهبية غير بريئة في توظيف المادة التاريخية ك (وثيقة) لتفسير الحركة التاريخية في فترة زمنية ما حسب منظور موجه سلفا من أجل الوصول إلى غاية لا تتعارض و طبيعة العقل الوضعي العلماني الأوروبي..

وصف ابن رشد الطبيب ابن زهر في كتابه الكليات بأنه أعظم الأطباء بعد جالينوس وذهب ابن أبي اصيبعة في طبقات الأطباء انه كان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة و المركبة ، حسن المعالجة قد ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد واشتغل الأطباء بمصنفاته ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب[1].

لقد كانت بين صاحب الكليات (ابن رشد) وصاحب التيسير (عبد المالك ابن زهر) مودة تجلت في مستويات عديدة أبرزها المستوى العلمي فبفضل أبي الوليد انتشر كتاب التيسير كما الكتابين يشكلان من الناحية العلمية كتابا واحدا متكاملا في صناعة الطب[2]

كما يعتبر ابن زهر أعظم معلم في الطب الإكلينيكي بعد الرازي ورائد علم الأورام وأول من خصص كل وقته في الطب ، يقول عنه فيليل فيرناندیف: "كان أول طبيب محض تسجله العصور ، لأنه انشغل فقط

[1] جعفر يايوش ،الطبيب ابو مروان و دوره في تطور الحركة الطبية في بلاد الأندلس ، مجلة انسانيات ، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا للعلوم الاجتماعية، العدد14-15-وهران2001ص 4

[2]- الوليد بن رشد ، الكليات في الطب مع معجمبالمصطلحات الطبية العربية ، اشراف ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1999، ص88

بالطب متخليا بذلك عن صفة الموسعي التي كان يتحلى بها حكماء عصره ولأنه رأى واجب عليه أن يؤسس الفرق بين الطبيب و الجراح و الصيدلي أو عالم النباتات"[13] وهذه النقطة بالذات يمكن أن نصنفها على أنها تدخل ضمن أخلاقيات المهنة التي تفرض على صاحبها احترام التخصص من اجل إضافة قيمة للممارسة الطبية من خلال الدراسة المتخصصة التي تحتاج إلى تركيز وانتباه شديدين قصد تحصيل اكبر قدر ممكن من النتائج ، من هنا كان سباقا في العمل على المنهج التجريبي حيث يذكر له تاريخ الطب تجارب خطيرة وملاحظات دقيقة و إضافات جمة منها وصفه الأورام وإبراز الفروق بين الالتهابات الحادة أو المزمنة لغشاء القلب و بين أمراض تجاويف القلب ، وهي أمراض لم توصف من قبل ، كما انه أول طبيب عربي قدم تصورات عن جراحة الجهاز التنفسي وله أبحاث كثيرة عن الأطعمة و الأدوية و الكسور...[2]4 ((يعتبر كتاب التيسير في المداواة والتدبير أهم مؤلفات ابن زهر على الإطلاق صنفه في أوائل عهد الدولة الموحدية على زمن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي و مما يدل على أهمية هذا الكتاب انه ما لم يكد صاحبه ينتهي منه حتى كثر نساخه و ترجم إلى العبرية ومنها إلى اللاتينية ، فكان له اثر عميق في تطور الطب في القرون الوسطى))

من جهة أخرى يحتسب لابن زهر انه كان له أسلوب متفرد في العلاج حيث كان يسعى إلى توفير وسائل الترفيه للمرضى ويسمعهم الموسيقى وكان يستعين بالشعراء و الحكواتيون لتسليتهم و تخفيف آلامهم ونصح بحسن معاملة المرضى و الرفق بهم و سماع كلامهم و هذه النقطة تعد بعدا اتيقيا خالصا في الممارسة الطبية سبق ابن زهر زمانه فيها حيث تذهب اليوم معظم الدراسات الطبية المعاصرة على ربط الحالة النفسية و الاجتماعية بالحالة المرضية لفهم هذه الأخيرة ولا يمكن تحصيل الشفاء أو نجاح المعالجة بإهمال الخطوات التي كان يقوم بها ابن زهر ، حيث نجده تصدى باقتدار لدراسة الأمراض النفسية و اعتبرها حاصلة من عوامل عديدة منها الصدمات المتتالية التي يتعرض لها الإنسان وصحة الجسم وأكد مرة أخرى عن طريق إبداء النصيحة بضرورة حسن معاملة المريض و إعطائه العقاقير المهدئة ، وفي هذا نجده انه قد ذهب إلى مقولة الخطيب الروماني شيشرون أن أمراض النفس و العقل اشد فتكا من أمراض الجسم والبدن حيث انه كان يعتقد أن العقل و الجسد مترابطان و أن صحة الجسم تؤثر على صحة العقل و العكس .

ومن الأمور ذات البعد الاتيقي في الممارسة الطبية عند ابن زهر والتي ميزت عمله وأضفت عليه الصبغة الأخلاقية الإنسانية هو قيامه بالتجارب الطبية على الحيوانات قبل اختبارها على البشر.

1-نفسه ص88

[2]- عبد العزيز النقر، قراءة في كتاب " التيسير في المداوة و التدبير ، بحث منشور الانترنيت، الرابط arwabila .ma/blog تاريخ الدخول ، 10-12-2023، الساعة 16:30

كما انه نادى بالطب الوقائي حيث قدم أكثر من عشرين نصيحة تتعلق بحفظ الصحة وقال بأنها تهدف إلى إدامة أسباب الصحة ودفع الأسقام، و هذا يمكن إدراجه ضمن أخلاقيات ممارسة مهنة التطبيب.

يقول ابن زهر أن التجربة إما أن تصدق قولي حيا كنت أو ميتا و إما أن تكذبه فيبدو انه أخد على نفسه عهدا أن لا يصدق إلا ما نتج عن تجربته يؤيدها المنطق و البرهان وهو ما كان له اثر كبير في التطورات العلمية و العلمية التي ادخلها فرنسيس بيكون في الدراسة و البحث العلمي في أوائل القرن السابع عشر ليؤسس بذلك الثورة العلمية القائمة على خطوات المنهج العلمي انطلاقا من التجربة و الملاحظة [1].

من الجوانب الأخلاقية التي كانت لاصقة بعبد المالك ابن زهر هو شعوره بالمسؤولية و تصرفه وفق هذا الشعور تجاه المريض حيث كان يطلب من تلاميذه تأدية قسم ابيقراط و يلزمهم بدورهم أن يجبروا تلامذتهم على أدائه .

البيبليوغرافيا:

- جعفر يايوش ،***الطبيب ابو مروان و دوره في تطور الحركة الطبية في بلاد الأندلس*** ، مجلة انسانيات ، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا للعلوم الاجتماعية، العدد14-15-، وهران، 2001.
- الوليد بن رشد ، ***الكليات في الطب مع معجمب المصطلحات الطبية العربية*** ، اشراف ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1999.
- عبد العزيز النقر، ***قراءة في كتاب " التيسير في المداوة و التدبير"*** ، بحث منشور الانترنيت، الرابط arwabila ma/blog. ، تاريخ الدخول ، 10-12-2023، الساعة 16:30
- بن ابي صيبعة ، ***عيون الأنبياء في طبقات الأطباء*** ، ضبط محمد باسل ، عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1998.

1-بن ابي صيبعة ، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ضبط محمد باسل ، عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1998، ص22

الطب لدى الصفدي (ت 764هـ)
في كتابه الوافي بالوفيات :دراسة كمية

The Médicine Through (Al-Wafi-Bilwafayat)
By AL-Safadi (764 A.H.)

أ.د. ناصرعبد الرزاق عبد الرحمن، جامعة الموصل (العراق)
أ. أمال رابية، جامعة الجزائر01 (الجزائر)
Naser.abdulrazaq.a@uomosul.edu.iq

ملخص:

يكرس هذا البحث للحديث عن الحيز الذي احتله الطب ضمن تراجم المؤرخ والاديب المملوكي صلاح الدين الصفدي(764هـ) في كتابه الشهير الوافي بالوفيات، فقد كان هذا الكتاب من اغنى واشمل كتب التراجم التي كتبت بالعربية، وترجم الصفدي لـ161 طبيباً. لكنه استند في كثير من تراجمه على كتاب عيون الانباء لابن ابي اصيبعة، فكُرس جانب من البحث لرصد العلاقة بين الصفدي ومصدره الاهم، في طريق تحليل نقولاته عنه، وتبيان الاضافات التي قدمها الصفدي الى موضوع الاطباء، وذلك في التراجم التي اضافها ولم يسبقه اليها ابن ابي اصيبعة. ولاسيما الاطباء الذين عاصرهم وكان على صلة مباشرة ببعضهم. الامر الاخر الذي يسعى له البحث هو توظيف المنهج الكمي في معرفة طبيعة الذين ترجم لهم الصفدي من الاطباء وتوزيعهم الجغرافي والديني والاقليمي عن طريق استخدام برنامج مايكروسوفت اكسس Microsoft Access

الكلمات المفتاحية: الصفدي، الطب، ابن ابي اصيبعة، مصر، المماليك

The Abstract

The aim of this research is to investigate the size and value of entries of medicine in the famous biographical dictionary(Al – Wafi bilWafayat) by the notable Mamluki historian and intellect Salah al-Safadi. The merit of (Al-Wafi) is that Al-Safadi doesn't concentrated himself to a certain era of territory of even profession or sect. One of the remarkable aspect of Al-Safadi that he devoted a sizable space to survey the biographies of the Physicians all through Islamic history. Al-Safadi draw much of his materials from Ibn Abi Usaibia, but he also added rich materials from his personal experience and direct contact with his contemporaries.

The second part of this research is adopting the quantitative method in examining the territorial, chronological and religious distributions of the of the Physicians unsung (Microsoft Access).

Key Words Al-Safadi, Medicine, Ibn Abi Usiybia, Egypt, Mamluk .

مقدمة:

الانطباع الاول الذي يخطر على ذهن القارئ أن كتاب الوافي بالوفيات للمؤرخ والأديب والإداري الصفدي هو عرض لتراجم علماء العلوم الشرعية واللغوية، وبعض رجالات السلطة والادارة في عصره، وان الكتاب هو مصدر مهم لتوثيق الحياة العلمية في عصره والعصور التي سبقته في جانبها الشرعي والادبي تحديداً، الا ان المفارقة أن نجده يخصص حيزاً من كتابه لتتبع العلوم البحتة او ما يعرف لدى العرب بالعلوم العقلية. ويأتي الطب في مقدمة تلك العلوم، فقد توقف الصفدي مليا امام تراجم الاطباء في كتابه، فقد ارخ لأكثر من 162 طبيباً. وافاض في الحديث عنهم بما يظهر عنايته الخاصة بهذا. وفي هذ البحث سيصار الى تحليل هذا الجانب في كتاب الصفدي باستخدام المنهج الكمي، عبر برنامج اوفيس اكسس(Office Access)، لمحاولة الوصول الى نتائج لا تتيحها الدراسة التقليدية من قبيل مصادر الصفدي في التوثيق لتراجمه للأطباء، والتوزيع الجغرافي والزمني والديني لهؤلاء الاطباء.

1- حياة الصفدي وكتابه الوافي بالوفيات

1.1-حياة الصفدي

خليل بن آيبك بن عبد الله الالبكي صلاح الدين الشافعي(شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ،١٩٨٠،ص:٢٠٣) المكنى أبو الصفاء المعروف بالصفدي نسبة الى مسقط رأسه مدينة صفد بفلسطين ولد سنة (٦٩٦ هـ /١٢٩٦)،وقد تلقى تعليمه على يد العديد من الشيوخ في بلدن مختلفة مصر ودمشق وحلب ..ومن شيوخه الذين ذكرهم الصفدي نجد القاضي بدر الدين ابن جماعة وابن السبكي.[1] اخذ عنهم الحديث والنحو والادب ..ومن تلامذته الذي نبغوا الذهبي وابن الفرات .[2]

ومن المناصب التي تولاها الصفدي نظرا لمؤهلاته العلمية كان من اول ما ولى كتابة الدرج بصفد وفي القاهرة ،وكتابة السر بحلب،[3]والتوقيع بدمشق ووكالة بيت المالة؛،وايضا شغل الصفدي منصب وكيل الخزانة وقد شكلت المدن الرئيسية مركز لنشاطات الصفدي فقد كان يتنقل بينهم وأعطى وقتا طويلا في اسهاماته العلمية حيث كان له اتصال بعلماء دمشق والقاهرة. وكان للصفدي اهتمام ايضا بالشعر فقد وصفه ابن ثغري بردى انه كان بارعا كاتبا ناظما شاعرا [4]

---

[1] ابن قاضي شهبة ،مج:3،ص:228.ابن حجر العسقلاني ،ج:٢،ص:٨٧

[2] ابن تغري بردى ،ج:١١،ص:١٦

[3] تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ،1992،ص:6

[4] جمال الدين يوسف بن تغري بردى ،1992،ص:15

ولعل من أشهر مصنفاته التي ألفها نجد في الكتب التاريخية الوافي بالوفيات_،وأعيان العصر وأعوان النصر ومن الكتب الأدبية "تذكرة الصفدي و "كشف الحال في وصف الخال ". وكانت تاريخ وفاة الصفدي ليلة الأحد العاشر من شهر شوال سنة" 1462/764م ."وهو في عمر ثمان وستون سنة بعد مرض ه بوباء الطاعون.[1]

2.1 - كتابه الوافي بالوفيات :

كتاب الوافي بالوفيات احد اشهر كتب التراجم في الحضارة الاسلامية. وقد نبه الصفدي نفسه اليه في كتابه "أعيان العصر وأعوان النصر "، وذكر انه في 29 مجلدا[2] . وقد بين الصفدي في مقدمته اسباب تأليفه للكتاب ومن جملة ما ذكر من الأسباب " **ووجدت النفس** تستروح الى مطالعة اخبار من تقدم ،ومراجعة آثار من خرب ربع عمره وتهدم ،ومنازعة أحوال من غير في الزمان وما ترك للشعراء من متردم ...فأحببت ان أجمع من تراجم الإعيان من هذه الأمة الوسط ،وكملة هذه الملة التى مد الله تعالى لها الفضل الأوفى وبسط ."[3]

وقد اتبع الصفدي في منهجه منهج ألف بائي فرتبه حسب الترتيب (أ،ب،ت،ث...)،ويذكر كل ما يتعلق بالترجمة من حيث سنة الولادة والوفاء وامكانها ان وجدت واعمالهم ومؤلفاتهم .... وتتجلى أهمية معلوماته بكونه كان محاضرات للكثير من الشخصيات المترجم لها .

2- مصادر الصفدي عن الاطباء

يمكن تقسيم المادة التي قدمها الصفدي عن الاطباء في كتابه استنادا الى مصادرها الى مجموعتين

2.1: المصادر المكتوبة

يذكر الصفدي في مقدمة كتابه أنه رجع الى ثلاثة كتب اختصت بالتاريخ للأطباء وهي تَارِيخ الْأَطِبَّاء لِابْنِ أبي أصيبعة وطَبَقَات الْحُكَمَاء لأبي الْقَاسِم بن صاعد الْقُرْطُبِيّ وأَخْبَار الْأَطِبَّاء لِابْنِ الداية.[4] ويكاد يكون كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة المصدر الاهم الذي استقى عنه الصفدي معلوماته عن الاطباء الذين سبقوا عصره، كما سنرى بينما اشار الى كتاب ابن صاعد في بضع مواضع لكن المقارنة توضح أنه نقلها عبر وسيط هو ابن ابي اصيبعة. اما المؤرخ الثالث الخاص بإبن الداية، وابن الداية هو احمد يوسف بن ابراهيم الحاسب الذي عرف بابن داية الخليفة العباسي المهدي،[5] والذي خصه الصفدي بترجمة مفردة. ويختلف

---

[1] ابن عماد الحنبلي،،ج:6،ص:٢٠١.

[2] ابن عماد الحنبلي ،1985،ج١،ص:٣٨.

[3] الصفدي،ج:1،ص:٢٧،٢٦

[4] الصفدي، ج1، ص 61

[5] فروخ، تاريخ الادب العربي،2، 441.

الصفدي عن ابن ابي اصيبعة في تحديد شخصية ابن الداية، فبينما يجعله ابن ابي اصيبعة يوسف بن ابراهيم.[1] يرى الصفدي انه ابنه احمد بن يوسف ويحدد تاريخ وفاته وفق النص الآتي:

أَحْمد بن يُوسُف بن إِبْرَاهِيم الْمَعْرُوف بِابْن الداية كَانَ أَبوهُ ابْن داية الْمهْدي وَهُوَ الرَّاوِي أَخْبَار أبي النواس وَكَانَ أَبوهُ يُوسُف من جلة الكتّاب بِمصْر وَكَانَ لَهُ مُرُوءَة وعصبية تَامَّة وَجَرت لَهُ مَعَ أَحْمد بن طولون واقعةٌ خلص مِنْهَا... وَكَانَ أَحْمد بن يُوسُف من فضلاء مصر ومؤرخيهم وَمِمَّنْ لَهُ عُلُوم كَثِيرَة فِي الْأَدَب والطب والنّجامة والحساب وَغير ذَلِك وَكَانَ أَبوهُ يُوسُف كَاتب إِبْرَاهِيم ابْن الْمهْدي ورضيعه وَمَات أَحْمد بن يُوسُف سنة نَيف وَثَلَاثِينَ وثلاثمائة،... وَله من الكتاب: سيرة أَحْمد ابْن طولون، وكتاب سيرة ابْنه خمارويه، وأخبار غلْمَان بني طولون، وكتاب الْمُكَافَأَة وَحسن العقبى أَخْبَار الْأَطِبَّاء، ومُخْتَصر الْمنطق أَلفه للوزير عَليّ بن عِيسَى، وتَرْجَمَة كتاب الثَّمَرَة." [2]

اما كتاب صاعد فيذكره الصفدي في تراجمه في خمسة مواضع فقط ثلاثة منها فيما يخص الاطباء وتحديدا الاطباء الاندلسيين، وهم كل من ابن تمليح، وابن الكتاني، وابن عبون. وبالمقابل فقد كان ابن صاعد قبله مصدرا لابن ابي اصيبعة، ليس في مجال الطب فحسب وانما في مجال الفلسفة والعلوم، ولاسيما وانه اكثر النقل منه في مجال الفلسفة اليونانية. وهو يقتبس عنه عبارة غاية في الاهمية حينما يقول:

قَالَ القَاضِي أَبُو الْقَاسِم صاعد بن أَحْمد بن صاعد فِي كتاب طَبَقَات الْأُمَم أَن الفلاسفة اليونانيين من أرفع النَّاس طبقَة وَأجل أهل الْعلم منزلَة لما ظهر مِنْهُم من الاعتناء الصَّحِيح بفنون الْحِكْمَة من الْعُلُوم الرياضية والمنطقية والمعارف الطبيعية والإلهية والسياسات المنزلية والمدنية" [3]

ومما لا شك فيه أن مكانة صاعد وكتابه طبقات الامم قد حظيا باهتمام كبير من قبل المؤرخين المعاصرين، فيقول في شأنه المؤرخ م. س. خان بأنه اول كتاب تاريخ عام للعلوم.[4]

ويبقى ابن ابي اصيبعة مصدر الصفدي الاهم؛ وان دراسة نقولاته عن كتابه (عيون الأنباء في طبقات الاطباء) بحاجة الى وقفة مطولة لدراستها، فهو مدين له بنحو ثلثي تراجمه عن الاطباء، فمن بين 161 ترجمة للاطباء اشتمل عليها (الوافي) نقل عنه 111 ترجمة. ويعرفه الصفدي بأنه هو: "أَحْمد بن الْقَاسِم بن خَلِيفَة الخزرجي موفق الدّين أَبُو الْعَبَّاس الْمَعْرُوف بِابْن أبي أصيبعة الطَّبِيب الْفَاضِل صنف تَارِيخا للأطباء وجوّده، توفّي بصرخد سنة ثَمَان وَسِتِّينَ وست مائَة وَكَانَ أديباً طَبِيبا شَاعِرًا."[5]. ولا يكتفي بالاشارة الى ابن ابي اصيبعة

---

[1] ابن ابي اصيبعة،1، 375

[2] الصفدي،8، 148.

[3] ابن ابي اصيبعة،1، 129.

[4] Khan, 1991, p.517.

[5] الصفدي،7، 193

نفسه وانما يتتبع ترجماته لوالده الطبيب الكحال سديد الدين القاسم بن خليفة وعمه رشيد الدين، وكلاهما من الاطباء المرموقين في عصرهم،[1] فيقول في شأن الاول هو:

"القاسم بن خَلِيفَة بن يُونُس بن أبي الْقَاسِم بن خَلِيفَة الْحَكِيم سديد الدّين الأنصاريّ الخزرجي السّعدي الْعَبَّادِيّ الكحَّال الْمَعْرُوف بِابْن أبي أصيبعة هُوَ وَالِد صَاحب تَارِيخ الْأَطِبَّاء موفق الدّين ولد بِالْقَاهِرَةِ واشتغل بهَا هُوَ وَأَخُوهُ الطَّبِيب رشيد الدّين وبرع السَّديد فِي الْكحل ورزق فِيهِ حظوةً وَكَانَ فِي البيمارستان النّوري وقلعة دمشق وَتُوفِّي سنة تسع وَأَرْبَعين وستّ مائَة." [2]

واللافت أن ابن ابي اصيبعة لا يفرد ترجمة لوالده كما فعل مع عمه رشيد الدين الذي افاض في الترجمة له الى حد أن الصفدي قال معلقا على تلك الترجمة: " وَطول ابْن أبي أصيبعة تَرْجَمته فِي تَارِيخ الْأَطِبَّاء."[3] ويتضح مغزى ذلك الاسهاب في الحديث عن عم ابن ابي اصيبعة أنه توفي شابا وهو لما يتجاوز السبعة والثلاثين عاماً.[4]

وتقسم نقولات الصفدي عن ابن اصيبعة الى قسمين: نقولات صرح فيها بالنقل من ابن ابي اصيبعة واخرى لم يفعل: فقد اقر بنقله من ابن ابي اصيبعة في 37 ترجمة من مجموع 111 ترجمة رجع فيها الى كتابه، بمعنى أن الصفدي نقل عن ابن ابي اصيبعة في 74 ترجمة ولم يشر اليه فيها. ويتضح ذلك عن طريق المقارنة النصية. التي نقدم بعض نتائجها ادناه.

وتوضح لنا المقارنة بين النصين انه فيما يتعلق بـ 74 ترجمة التي لم يصرح بها الصفدي بدينه لابن ابي اصيبعة: فقد غلب على نقولات الصفدي مظهرين اساسيين، هي:

أ-الالتزام بالترجمة حرفيا دون اضافة او حذف: وهذا يتمثل في التراجم الموجزة التي قدمها ابن ابي اصيبعة ونقلها عنه الصفدي دون أن يشير اليه، من قبيل ترجمة كل من الطبيب الاندلسي ابن تمليح، وتوضح ذلك المقارنة بين النصين، فيقول ابن ابي اصيبعة:

"كَانَ رجلا ذَا وقار وسكينة وَمَعْرِفَة بالطب والنحو واللغة وَالشعر وَالرِّوَايَة وخدم النَّاصِر بصناعة الطِّبّ وَكَانَ الْمُقِيم برئاسته أَحْمد بن إلْيَاس الْقَائِد وولاه النَّاصِر خطْبَة الرَّد وَقَضَاء شذونة وَله فِي الطِّبّ تأليف حسن الْإِشْكَال. وَأدْرك صَدرا من دولة الحكم الْمُسْتَنْصر بِاللَّه وَكَانَ حظيا عِنْده وخدمه بصناعة الطِّبّ قَالَ القَاضِي صاعد وولاه النّظر فِي بُنيان الزِّيَادَة من قبلي الْجَامِع بقرطبة فَتَوَلَّى ذَلِك وكملت تَحت أشرافه وأمانته

[1] بروكلمان، 4، 46
[2] الصفدي،13، 239..
[3] (الصفدي،21، 57)
[4] (محمد،2006، 122)

وَرَأَيْت اسْمه مَكْتُوبًا بِالذَّهَب وَقطع الفسيفساء على حَائِط الْمِحْرَاب بهَا وَإِن ذَلِك الْبُنيان كمل على يَدَيْهِ عَن أَمر الْخَلِيفَة الحكم فِي سنة ثَمَان وَخمسين وثلثمائة ولمحمد بن تمليح من الْكتب كتاب فِي الطِّبّ."[1]

اما نص الصفدي فهو:

"الطَّبِيب المغربي مُحَمَّد بنت تمليح كَانَ رجلا ذَا وقار وسكينة وَمَعْرِفَة بالطب والنحو واللغة وَالشعر وَالرِّوَايَة وخدم النَّاصِر بصناعة الطِّبّ وَكَانَ الْمُقِيم برياسته أَحْمد بن الياس وولاه النَّاصِر خطْبَة الرَّد وَقَضَاء شرونة وَله فِي الطِّبّ تأليف حسن الأشكال وادرك صَدرا من دولة الحكم الْمُسْتَنْصر بِاللَّه وَكَانَ حظيا عِنْده وخدمه بصناعة الطِّبّ وولاه النّظر فِي بُنيان الزِّيَادَة من قبلي الْجَامِع بقرطبة فكملت بحث أشرافه وأمانته قَالَ القَاضِي صاعد وَرَأَيْت اسْمه مَكْتُوبًا بِالذَّهَب وَقطع الفسيفساء على حايط الْمِحْرَاب بهَا وَأَن ذَلِك كمل على يَدَيْهِ عَن أَمر الْخَلِيفَة الحكم سنة ثَمَان وَخمسين وَثلث ماية."[2].

ومما سبق يتضح ان الصفدي لم يكتف بالنقل عن ابن ابي اصيبعة دون الاشارة اليه وانما ايضا نقل عنه توظيفه لنص القاضي صاعد، فيذهب قارئ نص الصفدي أنه من رجع بالاصل للقاضي صاعد لطالما أنه ذكر ذلك كما سبقت الاشارة.

ب-**اختصار نص ابن ابي اصيبعة**: وهو يمثل المظهر الاساس في نقل الصفدي عن ابن ابي اصيبعة. فهو في الغالب يختصر الترجمة، ويحذف الكثير من تفاصيلها التي قد تكون احيانا على جانب من الاهمية من قبيل ذكر تاريخ الميلاد او الوفاة او الشيوخ الذين درس عليهم او المؤسسات التي مارس الطب فيها او القصائد الشعرية التي يرفقها ابن ابي اصيبعة بالترجمة. ومن الامثلة على ذلك ترجمة الطبيب الشهير ابن سينا، فقد افرد له ابن ابي اصيبعة مساحة واسعة من كتابه باكثر من 7000 كلمة.[3] اختصرها الصفدي الى 2400 كلمة.. ومما اختصره في سيرة ابن سينا الاشعار الكثيرة التي الحق بها الاول ترجمته والتي بلغ عدد كلماتها نحو 3000 كلمة اي اقل قليلا من نصف الترجمة، فقام الصفدي بحذف القسم الاكبر منها. وقد انتقد ابن ابي اصيبعة لإعجابه بإحدى هذه القصائد قائلا: "وَقد طنطن ابْن أبي أصيبعة وأعجب بِصِحَّة مَا حكم فِيهَا وَالَّذِي أرَاهُ أَن الَّذِي نظم القصيدة العينية فِي النَّفس مَا ينظم مثل هَذِه القصيدة الساقطة الرَّكِيكَة السمجة التَّرْكِيب وَأَنَّهَا نظم بعض الْعَوام.[4]

وعند مقارنة ترجمة الصفدي بابن ابي اصيبعة مثلا فيما يخص احدى الشخصيات الطبية التي عاصرها الثاني في بلاد الشام مثل اطباء العهدين الايوبي والمملوكي، مثل رضي الدين الرحبي وابنه شرف الدين،

---

[1] ابن ابي اصيبعة،1، 491.

[2] الصفدي،2، 203.

[3] ابن ابي اصيبعة،1، 437-459.

[4] الصفدي،

وابن البرهان وابن المنفاخ ومهذب الدين الدخوار. ونكتفي بالاستشهاد بمثال الطبيب المعروف بالدخوار وهو مهذب الدين، فيخصه الصفدي بترجمة من 580 كلمة، بينما كرس له ابن اصيبعة اكثر من 3500 كلمة، اي ان ترجمة الاول تاتي بنسبة السدس تقريبا من الترجمة لدى الثاني:

ويستهل ابن ابي اصيبعة وصف شيخه بالاتي:

هُوَ شَيخنَا الإِمَام الصَّدْر الْكَبِير الْعَالم الْفَاضِل مهذب الدّين أَبُو مُحَمَّد عبد الرَّحِيم بن عَليّ بن حَامِد وَيعرف بالدخوار وَكَانَ رَحمَه الله أوحد عصره وفريد دهره وعلامة زَمَانه وَإِلَيْهِ انْتَهَت رياسة صناعَة الطِّبّ ومعرفتها على مَا يَنْبَغِي وَتَحْقِيق كلياتها وجزئياتها وَلم يكن فِي اجْتِهَاده من يجاريه وَلَا فِي علمه من يماثله أتعب نَفسه فِي الِاشْتِغَال وكد خاطره فِي تَحْصِيل الْعلم حَتَّى فاق أهل زَمَانه فِي صناعَة الطِّبّ وحظي عِنْد الْمُلُوك ونال من جهتهم من المَال والجاه مَا لم ينله غَيره من الْأَطِبَّاء إِلَى أَن توفّي."[1]

ومدخل ترجمة الصفدي هو :

"عبد الرَّحِيم بن عَليّ بن حَامِد الشَّيْخ مهذب الدّين الطَّبِيب الدخوار شيخ الْأَطِبَّاء وَرَئِيسهمْ بِدِمَشْق وقف دَاره بالصاغة العتيقة مدرسة طب ومولده سنة خمس وَسِتِّينَ وَخمْس مائَة وَتُوفِّي فِي صفر سنة سبع وَعشْرين وست مائَة وَدفن بتربته فِي قاسيون فَوق الميطور"[2] فلا نجد لدى الصفدي اي من التواصيف التي اسبغها ابن ابي اصيبعة على استاذه. لكن عند استعراض المعلومات التي قدمها الصفدي اعلاه نجدها هي ذاتها مدرجة في ترجمة ابن ابي اصيبعة. ولا يقدم اي اضافة الى ما كتبه مصدره.

3- اضافات الصفدي الى ما قدمه ابن ابي اصيبعة

3.1-شهادته الشخصية

تتميز اضافات الصفدي في نوعين: التراجم التي انفرد بذكرها ولم ينقلها عن ابن ابي اصيبعة، وثانيا الاضافات التي الحق بها نقولاته عن ابن ابي اصيبعة. وبالنسبة للنوع الاول سبقت الاشارة الى انه اضاف 50 ترجمة لأطباء لم يذكرهم الصفدي. ويقسم هؤلاء الى قسمين: اطباء جاءوا بعد زمن ابن ابي اصيبعة اي بعد وفاته عام 667هـ/ 1270م، ومن المعروف انه توقف عن الترجمة للاشخاص قبل وفاته بعام اي 666هـ/ 1270-1169م. وقد ترجم الصفدي لـ14 طبيبا عاشوا بعد زمن ابن ابي اصيبعة ، كما يوضحهم الجدول الاتي:

---

[1] ابن ابي اصيبعة،1، 728

[2] الصفدي،18، 233.

الاطباء		
الاسم	الكنية واللقب	سنة الوفاة
محمد بن محمد بن عبد الله ابْن صغير ناصر الدين	ناصر الدين بن صغير	749
محمّد بن ابراهيم بن ساعد	شمس الدين بن الاكفاني	749
مُحَمَّد بن ابرهيم الْعدْل	صلاح الدين بن البرهان	743
أحْمد بن يوسف بن هلال	شهاب الدين الصفدي	737
سُلَيْمَان بن دَاوُد بن سُلَيْمَان أَمِين الدّين سُلَيْمَان	امين الطبيب	732
عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الرَّزَّاق	عماد الدين البغدادي	724
عبد الرَّحْمَن بن عمر بن عَليّ	الشنشتري	723
فضل الله ابْن أبي الْخيْر بن عالي	رشيد الدين الهمذاني	716
يوسف بن هلال بن ابي البركات	جمال الدين الحلبي الصفدي	696
شبيب بن حمدَان بن حمدَان بن شبيب بن مَحْمُود	تقي الدين ابو عبد الرحمن	695
محمد بن عبد الرحيم بن مسلم	كمال الدين بن مسلم	687
عَليّ بن أبي عبد الله بن النظَّام	ابن النظام	676
محمد بن أبي الرجاء بن أبي الزهر بن أبي الْقسم أبو عبد الله التنوخي الدّمشْقي	ابن السلعوس	672
أحْمد بن محمّد بن حمْزة بن منْصور	الهمذاني	669

ومن بين هؤلاء الاطباء كان الصفدي على صلة شخصية بابن الاكفاني وشهاب الدين الصفدي. ويبدو أن الاول كان اكثر الشخصيات التي اثرت في شخص الصفدي في ميدان العلوم العقلية. وحاول في ترجمته له أن يحاكي ابن ابي اصيبعة عندما ترجم لشيخه الدخوار فيقول:

"ابْن الاكفاني السنجاري المولد وَالْأَصْل الْمصْرِيّ الدَّار فَاضل جمع اشتات الْعُلُوم وبرع فِي عُلُوم الْحِكْمَة خُصُوصا الرياضي، فَإِنَّهُ أَمَام فِي الْهَيْئَة والهندسة والحساب لَهُ فِي ذَلِك تصانيف وأوضاع مفيدة. قَرَأت عَلَيْهِ قِطْعَة جَيِّدَة من كتاب اقليدس فَكَانَ يحل لي فِيهِ مَا اقرأه عَلَيْهِ بِلَا كلفة كَأَنَّمَا هُوَ ممثل بَين عَيْنَيْهِ فَإِذا

ابتدأت فِي الشكل شرع هُوَ فيسرد بَاقِي الْكَلَام سردا وَأخذ الْميل وَوضع الشكل وحروفه فِي الرمل على التخت وَعبر عَنهُ بِعِبَارَة جزلة فصيحة بَيِّنَة وَاضِحَة كَأَنَّهُ مَا يعرف شَيْئا غير ذَلِك الشكل. وقرأت عَلَيْهِ مُقَدّمَة فِي وضع الْآفَاق فشرحها لي أحسن شرح، وقرأت عَلَيْهِ أول الأشارات فَكَانَ يحل شرح نصير الدّين الطوسي بِأَجل عبارَة وَأجلى أشارة وَمَا سَأَلته عَن شَيْء فِي وَقت من الْأَوْقَات عَمَّا يتَعَلَّق بالحكمة من الْمنطق والطبيعي والرياضي والألهي إِلَّا وَأجَاب بِأَحْسَن جَوَاب كَأَنَّمَا كَانَ البارحة يطالع تِلْكَ الْمَسْأَلَة طول اللَّيْل وَأما الطِّبّ فَإِنَّهُ كَانَ أَمَام عصره وغالب طبه بخواص ومفرادت يَأْتِي بهَا إِلَى الْمَرِيض وَمَا يعرفهَا أحد لِأَنَّهُ يُغير كيفيها وَصورتهَا حَتَّى لَا تعلم وَله أصابات غَرِيبَة فِي علاجه وَأما الْأَدَب فَإِنَّهُ فريد فِيهِ يفهم نكته وَيَذُوق غوامضه ويستحضر من الْأَخْبَار والوقايع والوفيات للنَّاس قاطبة جملَة كَبِيرَة ويحفظ من الشّعْر شَيْئا كثيرا إِلَى الْغَايَة من شعر الْعَرَب والمولدين والمحدثين والمتأخرين وَله فِي الْأَدَب تصاني وَيعرف الْعرُوض والبديع جيدا وَمَا رَأَيْت مثل ذهنه يتوقد ذكاء بِسُرْعَة مَا لَهَا روية وَمَا رَأَيْت فِيمَن رَأَيْت أصح ذهنا مِنْهُ.[1]

وقد يكون هذا النص على شئ من الطول، الا ان ايراده يوضح لنا جملة مسائل، المسألة الأولى التي اشرنا اليها سابقاً وهي اثر ميوله العلمية في عنايته بالترجمة للاطباء، اما المسألة الثانية والتي تتضح هنا، فهي رغبته بمحاكاة ابن ابي اصيبعة في ابراز قيمة الاطباء الذين عاصرهم هو كما فعل سلفه. ويختتم ترجمته بعبارة تحمل بعداً عاطفياً لم يكتبها في أي ممن أرخ لهم فيقول:

ذَلِك وَتُوفِّي رَحمَه الله تَعَالَى فِي طاعون مصر سنة تسع وَأَرْبَعين وَسبع ماية وتألمت لفقده رَحمَه الله تَعَالَى.[2]

ولا يقل تمجيده وثنائه عليه في كتابه الثاني(اعيان العصر واعوان النصر)، لابل هو يمضي في الاحتفاء به بصورة اكبر بكثير عندما يقرن بأكبر علماء واطباء المسلمين وغيرهم في قوله:

"ولو رآه الرئيس لكانت إليه إشاراته، وبه صح شفاؤه، وتمت نجاته، ولم يكن قانونه يطرب، ولا حكمته المشرقية مما يأتي بالفوائد فيغرب. ولو عاصره النصير الطوسي لما بنى الرصد، وكف من طول باعه في التصنيف واقتصد، ولم يعد الناس متوسطاته في المبادي، وعلم أنه ما ظفر بهيبة من الهيئة إلى يوم التنادي. ولو عاينه بطليموس لما وضع اسرلابا، ولم يدر مجس المجسطي، ولم يجد له فيه طلابا. ولو ناظره الخونجي لما أجلسه على خوانه، وعلم أن منطقه في " كشف الأسرار " هذر عند بيانه. هذا إلى توسع في علم الأدب على كثرة فنونها، واتساع بحرها لملاعب نونها، وفهم نكته ودقائقه، ومعرفة مجازاته وحقائقه. واستحضار كثير من وقائع العرب وأيامها وتواريخ الأعيان وأحكامها. اجتمعت به فكنت أرى العجائب، وأسير في فضاء

[1] الصفدي،2، 20.

[2] الصفدي، 2، 21.

غرائبه على متون الصبا والجنائب، أخذت عنه فوائد في الرياضي، وملأت بقطر علومه حياضي، ولم أر مثل عبارته، ولا لطف إشارته، فكنت أحق بقول أبي الطيب:

من مبلغ الأعراب أني بعدها ... شاهدت رسطاليس والإسكندرا

ولقيت كل العالمين كأنما ... رد الإله نفوسهم والأعصرا." [1]

اما بالنسبة لابن البرهان فيقول في شأنه:

"كَانَ صَلَاح الدّين رَحمَه الله يتَرَدَّد كثيرا إِلَى القَاضِي شهَاب الدّين ويجتمع بِهِ وَهُوَ من أعرف النَّاس بِحَالهِ وَقد اجْتمعت بِهِ غير مرّة وَسمعت كَلَامه وَكَانَ يستحضر كليات القانون وَكَانَ يلثغ بالراء لثغة مصرية وعَلى ذهنه شَيْء من الحماسة والمقامات وَشعر أبي الطّيب وَكَانَ فِي ذهنه جمود وَكَانَ يجْتَمع هُوَ وَالشَّيْخ كن الدّين ابْن القويع رَحمَه الله تَعَالَى فِي دكان الشُّهُود الَّذِي فِي بَاب الصالحية وَيذكر صَلَاح الدّين شَيْئا من كَلَام الرئيس إِمَّا من الأشارات أَو غَيرهَا."[2] ويصف الطبيب ابن صغير بقوله:

"وَهُوَ من بَيت كلهم أطباء وَهُوَ شرِيف النَّفس لَا يطب إِلَّا أَصْحَابه أَو بَيت السُّلْطَان اجْتمعت بِهِ غير مرّة فَوَجَدته لطيف الْعشْرَة دمث الْأَخْلَاق"[3]

3.2- نقله عن شهود عيان: ينبه الصفدي الى أنه نقل بعض معلوماته عن الاطباء الذين عاصرهم عن شيوخه، ومن بين هؤلاء شهاب الدين بن فضل الله العمري عن الطبيب ابن البرهان. وينقل عن شيخه اثير الدين ابو حيان الغرناطي(بن محمد ابن محمد المقري– 1968،ص:150 جانبا من ترجمته لجمال الدين يوسف بن هلال الصفدي قوله.

أَخْبرنِي الْعَلامَة أثير الدّين من لَفظه قَالَ كَانَ فِيهِ تعبد واعتكاف فِي شهر رَمَضَان بِجَامِع الْحَاكِم وَكَانَ مؤثرا للْفُقَرَاء يطعمهم ويبرهم بِالشرابِ وَالطَّعَام الَّذِي يواتيهم فِي مرضهم." [4]

أما اشهر الشخصيات الذين ترجم لهم ولم يتصل بهم فهو رشيد الدين الهمذاني الوزير المغولي الشهير، وصاحب كتاب جامع التواريخ.[5](واللافت أنه أول من ترجم للهمذاني،[6] وان شيخه الذهبي قد اغفل الترجمة له سواء في تاريخ الاسلام او في سير اعلام النبلاء.

ثالثا: الاطباء في كتاب الوافي

---

[1] الصفدي، اعيان،4، 226.

[2] الصفدي، 2، 19

[3] الصفدي، 2، 201-202

[4] الصفدي،29، 164.

[5] للتفاصيل: خير الدين الزركلي،ج:5، ص:152.

[6] الصفدي، 24، 58-59.

تميز كتاب الوافي للصفدي بأنه لم يقتصر على اقليم معين من اقاليم الاسلام، فقد توزعت ترجماته بين الشرق والغرب. وينطبق ذلك ايضا على تراجمه للأطباء، فقد توزعت هذه التراجم الـ161 طبيباً ، وفقا للآتي:

العراقيون	**47**
الشاميون	43
الاندلسيون	21
الايرانيون	21
المصريون	18
المغاربة	3
الجزريون	3
الجزيرة العربية	1

وبالنسبة للعراقيين فان 35 منهم نقل تراجمهم عن ابن ابي اصيبعة و12 طبيباً انفرد ابن الصفدي بالترجمة لهم. وان 45 منهم عاشوا في ظل الدولة العباسية، واثنان فقط توفوا في القرن الثامن الهجري هما عبد الرحمن بن عمر الشنشتري الذي توفي في عام 723هـ، وعبد الله بن عماد الدين البغدادي المتوفى في العام الذي يليه. وكلا الرجلين اشتهرا في ظل الحكم المغولي في بغداد، الاول الذي حظي عندهم في ميدان الطب واجزلوا له المبالغ المالية.[1] والثاني الذي وصفه الصفدي بأنه "الأديب الحيسوب الْمُتَكَلّم الفيلسوف أحد الْأَعْيَان بِبَغْدَاد".[2]

ويحتل الاطباء النصارى من العراقيين بالنسبة الاكبر بين الاطباء النصارى فقد بلغ عددهم 14 طبيبا، من بين 26 طبيباً نصرانيا ترجم لهم الصفدي، وقد توزع بقية الاطباء العشرة وفق الآتي:

الشاميون	5
الايرانيون	2
المصريون	1
الاندلسيون	1
الجزريون	1

[1] الصفدي،18، 122.

[2] الصفدي،17، 318.

والنسبة المرتفعة للاطباء النصارى العراقيين يعود الى الحظوة التي تمتعوا بها لدى الخلفاء العباسيين مثل يوحنا بن بختيشوع وجبرائيل بن بختيشوع وحنين بن اسحاق وابنه حنين وغيرهم اما بالنسبة لليهود فقد كان توزيعهم على الاقاليم الاسلامية وفقا للاتي:

الشاميون	6
المصريون	5
المغاربة	1

وينفرد الاطباء العراقيون بأنهم وحدهم من ضموا اطباء من الصابئة. وقد تمثلوا بثابت بن سنان، ووالده سنان بن ثابت، وثابت بن ابراهيم. وهؤلاء حملوا لقب الحراني، نسبة الى مدينة حران التي انتسب اليها هؤلاء. واغلب نقولات الصفدي في الحديث عن هؤلاء الاطباء ماخوذة عن ابن ابي اصيبعة الا انه يختصر جانب كبيرة مما تضمنته تراجمه عن المكانة التي تمتع بها هؤلاء الاطباء في ظل الخلافة العباسية وما اغدقه عليهم الخلفاء العباسيون من الثروات والمستوى الرفيع من الترف الذي عاشوا فيه.

وفي الخلاصة يمكن ان نتتبع التوزيع الديني لمجمل الاطباء الذين ترجم لهم الصفدي وفق الآتي:

المسلمون	121
النصارى	26
اليهود	11
الصابئة	3

ويوضح ذلك أن نسبة مساهمة اليهود والنصارى اكثر قليلا من ربع الاطباء، وأن الاطباء المسلمين كانوا دائما هم من يدير شؤون الطب ويوجهه منذ مرحلة مبكرة من التاريخ الاسلامي. ومن جانب آخر فان الصفدي وقبله ابن ابي اصيبعة يشيران الى الرعاية الخاصة التي كان يحظى بها الاطباء من المسلمين ومن غيرهم، وان بعض الاطباء النصارى مثلا قد عاشوا في ترف وابهة توازي ابهة الخلفاء العباسيين في اوج مجدهم مثل الرشيد والمتوكل وغيرهم.

الخاتمة

يتضح مما سبق أن كتاب الوافي بالوفيات للكاتب والمؤرخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي يقدم لنا معلومات غنية عن الاطباء والطب في ظل الاسلام، وانه استقى بعض هذه المعلومات عن كتاب الطبيب الشهير ابن ابي اصيبعة الموسوم (عيون الانباء في طبقات الاطباء)، لكنه اختصر تراجمه او اضاف اليها، فضلا تعديله لبعض ما لم يتفق به مع مصدره

ومن جانب آخر فهو يضيف الى تراجم ابن ابي اصيبعة 50 ترجمة اضافية لم يوردها سلفه، وبعض هذه التراجم لأطباء عاصرهم الصفدي والتقي به او عرفهم عن طريق شيوخه المباشرين

امكن عن طريق الدراسة الاحصائية معرفة التوزيع لجغرافي الاطباء الذين ترجم لهم الصفدي بين مناطق العالم الاسلامي المختلفة فجاء العراق وبلاد الشام في مقدمة الاقاليم التي احتضنت الاطباء، وتفسير ذلك هو الرعاية الكبيرة التي تمتع بها هؤلاء الاطباء في العصر العباسي في العصر او في العصر الايوبي في بلاد الشام

اتضح ان النسبة الاكبر من الاطباء الذين ترجم لهم الصفدي هم من المسلمين وبلغوا 116 طبيبا، يضاف اليهم 5 اطباء ممن اهتدوا الى الاسلام من اليهود والنصارى فيصبح مجموع الاطباء المسلمين 121 طبيبا، بينما كان غير المسلمين 40 طبيبا توزعوا بين 26 طبيبا مسيحيا، 11 يهودياً وثلاثة من الصابئة الحرانيين

قائمة المصادر

ابن ابي اصيبعة، احمد بن القاسم بن خليفة، عيون الانباء بطبقات الاطباء، تحقيق نزار رضا،(بيروت، مكتبة الحياة، د.ت)

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، (القاهرة، دائرة المعارف، 1975)

ابن تغري بردى ،جمال الدين يوسف،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج:11،دار الكتب العلمية ،ط:1بيروت 1992.

الحنبلي ،ابي الفلاح عبد الحي ان العماد ،شذرات الذهب في اخبار من ذهب،ج:6،تحقيق:عبد القادر الارنؤوط ،دار ابن كثير،دمشق ،1985.

الذهبي، شمس الدين، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام، تحقيق، بشار عواد معروف،(بيروت، دار الغرب الاسلامي، 2003)

الذهبي ،شمس الدين ابو عبد الله محمد بن بن أحمد ،العبر في خبر من غبر،ج:4 ، تحقيق: أبو هاجر محمد بن سعيد بن سيوني بن زغلول ،دار الكتب العلمي. ،ط:1بيروت،1980.

الزركلي ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)،الإعلام،ط:15،دار العلم للملايين ،2002.

السبكي: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي ،طبقات الشافعية الكبرى ،ج:10،تحقيق :محمود محمد الجناحي عبد الفتاح الحلو ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط:2، 1992.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت، دار احياء التراث، 2000)

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، اعيان العصر واعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، نبيل أبو عشمة، محمد موعد، ومحمود سالم محمد(بيروت، دار الفكر المعاصر، 1998).

ابن قاضي شهبة ،تقي الدين ابو بكر بن أحمد، تاريخ ابن قاضي شهبة ،مج:3،تحقيق:عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات الإسلامية؛ دمشق،1994.

محمد، رحيم حلو، " منهج ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء،" مجلة ابحاث ميسان، 2006، م2، ع2.

المقري، أحمد بن محمد شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني – نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب – تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت – 1968

M. S. Khan, "Qadi Said Al-Andalusis Tabaqat Al Umam", Islamic Studies, Vol. 30, No. 4 (Winter 1991), pp. 517-540

الجهود والنظريات الطبية القديمة ودورها في تطور الأبحاث الطبّية المعاصرة
- مقاربة تطبيقية في العصر الذهبي -

Ancient medical efforts and theories and their role in the development of contemporary medical research
_ An applied approach in the Golden Age _

ط.د عبد القادر سماعيل، جامعة وهران 01 (الجزائر)
semaiel.abdelkader@gmail.com

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة علمية خاصة بالأثر الذي أحدثته الدراسات الطبية في العصر الذهبي في ميدان العلوم الطبية؛ من خلال جهودِ واسهامات علماء الإسلام في معين العلوم الدقيقة عامة، ووضع الأسس والنظريات الطبية خاصة، والتي مهّدت السبيل لكثير من المعارف والأبحاث الطبية المعاصرة، ما يعكس معالم المُكنة في هذا المسلك العلمي عند علمائنا الأفذاذ، بما جادت به أقلامهم وتفضّلت به بناتُ أفكارهم تنظيرا وتطبيقا، ذاكرين أهم أعلام الطب في هذا العصر وما قدموه من دراسات وسبقوا فيه من كشوف واختراعات طبية راقية، ما تزال معتمدة فعّالة في عصرنا الحديث.

الكلمات المفتاحية: الطب، العصر الذهبي، الكشوف الطبية، الطب الحديث.

Summary:

This research aims to provide a scientific reading of the impact of medical studies in the golden age in the field of medical sciences; Through the efforts and contributions of the scholars of Islam in the specific precise sciences in general and the development of medical foundations and theories in particular, which have paved the way for many contemporary medical knowledge and research Evidence of our scientists' empowerment in this scientific course, through theoretical and applied studies and then we talk about the most important medical flags of this era and their studies and their predecessors of high-quality medical exposures and inventions, which are still effectively adopted in modern times.

Keywords: Medicine, Golden Age, Medical Disclosures, Contemporary Medicine.

مقدمة:

من المعلوم أن مسار النهضات العلمية وتطور البحوث والميادين عامة له تعلق وشبه في المرحلية والتدرج والرقي الذي يمر به من حيث النشأة والتاريخ، وإن اختلفت هذه العلوم وتعددت بين الحضارات، وكذلك الطب عند العرب والمسلمين عرف مرحلية وصل فيها إلى أعلى المراتب بدأت مع حركة الترجمة، بيد أن تطور مراحله سريع واضح المعالم، فجاءت قوانينه وتطبيقاته على نسق بنائي تابع فيه العلماء اللاحقون من سبقهم، ليخرج بهذا كم معرفي طبي هائل يتمتع بقدر كبير من الدقة والتطور على ما يثبته الطب الحديث، وليس المقصود بالحديث عن العصر الذهبي للمسلمين وإظهار مدى الفعالية والتطور في الميدان الطبي إلحاق صبغة قداسية بهذا الميدان كما فعل بعض المادحين المغالين فيه، أو محاولة مقارنته بالطب في العصر الحديث، بل المقصود إظهار هذا الرقي العلمي بطرق موضوعية وفق الموروث العلمي العربي الذي خلّفه الأفذاذ من الأطباء، كالرازي وابن سينا وغيرهم، وإظهار الملاءمة الحادثة والسعة التي احتوت بها العرب والمسلمون هذا العلم، وما خلفوه من جهود حازت الشرف وشهد لها العالم بالفرادة والتطور، ومنه جاءت دراستنا الموسومة بـ: **" الجهود والنظريات الطبية القديمة ودورها في تطور الأبحاث الطبّية المعاصرة - مقاربة تطبيقية في العصر الذهبي –"**، لنكشف بها عن الإشكاليات الآتية:

-كيف كان البحث والاشتغال بالطب في العصر الذهبي؟.

-ماهي المجالات الطبية التي أبدع فيها علماؤنا تنظيرا وتطبيقا؟.

-ما هو أثر الجهود العربية الطبية في الحضارة الغربية؟، وما هي انعكاساتها على الطب الحديث؟.

رُمنا من خلال هذه الدراسة جملة من **الأهداف** أهمها:

1/ تقديم قراءة علمية مختصرة نبرز فيها قيمة الجهود الطبية العربية وأثرها على الحضارة الغربية.

2/ استجلاء المجالات والخصائص التي امتاز بها الطب في الحضارة العربية.

3/ بيان التوافق والأصحية في جهود علمائنا في كثير من المسائل مع ما انتهجه وأثبته الطب الحديث.

1- المبحث الأول: جهود علماء العرب والمسلمين في العلوم الطبية

1-1-المطلب الأول: قراءة في تاريخ الطب والأطباء في العصر الذهبي:

منطلق هذا الرقي كان في العصر العباسي بمعية أوائل الخلفاء العباسيين الذين عاينوا الطب اليوناني ووجدوه علما بالغ النفع عظيم الفائدة لا غنى عنه، فاستقدموا المختصين فيه وأرسلوا البعثات العلمية وزادوا الاهتمام بكل سبله، فكانت أول لبِنة توضع في هذا العلم عن طريق الترجمة لكتب طبية نقلت عن السريانية، ويعزى هذا إلى حنا بن ماسويه، ثم شرع العرب بعدها في الترجمة عن اليونانية مباشرة وجمعِ كل الكتب اليونانية والسريانية في الطب قصد تأصيل العلم في بغداد في خلافة هارون الرشيد.

ومع خلافة المأمون وتأسيس بيت الحكمة عرفت حركة الترجمة تطورا رهيبا شمل مختلف العلوم، وزاد الاهتمام بالطب أيما زيادة فنجد أن الأطباء حينها كانوا على ثلاثة أصعدة بحسب البلد والوظيفة في مركز الخلافة، فشمل الصعيد الأول أهل جنديسابور، وفي مقدمتهم جبرائيل بن يختيشوع وقد عُرفوا بملازمة الخلفاء والأمراء لتمكنهم وطول يدهم في الطب.

أما الصعيد الثاني فهم من أهل الحيرة وعلى رأسهم حنين بن إسحاق الذي تتلمذ على حنى بن ماساويه، وتوسع في تعلم اللغات فتمكن من السريانية ورحل إلى اليونان فأتقن لغتهم، هذا مع تمكنه في العربية، فعهد إليه المأمون رئاسة بيت الحكمة، وقد كان له الفضل في ترجمة كثير من كتب الطب ترجمة دقيقة، وله تأليف في الطب منه عشر مقالات في طب العين، ولم يخرج جهد حنين عما وضعه اليونانيون وعرفوه في الطب لاقتصار عمله على الترجمة ونقل العلوم.

والصعيد الثالث من أهل حرّان وعلى رأسهم ثابت ابن قرة الذي كان واسع الاطلاع على مختلف العلوم فترجم في الهندسة والفلك زيادة على كونه طبيبا ممارسا، وابن ثابت ابن قرة سنان، الذي كان أقدر من أبيه وأكثر ممارسة في الطب فقد عهد إليه الخليفة المقتدر راية التحكيم في الطب لمن أراد الاشتغال بالطب قبل أن يباشر مرضاه.

والملاحظ في هذه الفترة انها مرحلة تأسيس لعلم الطب بدأت مع الترجمة ولم تخرج عن الموروث اليوناني في الطب تنظيرا وتطبيقا، وهي مرحلة مهمة في تاريخ الطب واللغة العربية لما عرفته من نقل لمصطلحات علمية دقيقة واستعمال دلالات خاصة في هذا الميدان، ذلك أن أكثر ما يعرقل تطور أي علم وتسارع نضجه خاصة في العلوم العامة المشتركة بين مختلف الأقوام واللغات؛ هو القالب الذي تفرغ فيه هذه العلوم، وقد عرفت العربية مرونة واتساعا سمحت بنقل مختلف العلوم.

وبعد هذه المرحلة جاءت مرحلة جديدة يمكن أن نصطلح عليها بمرحلة التأصيل، وذلك بعد أن نشأ جيل جديد فهِم وخالط وتمكّن من هذه العلوم العقلية ليسير فيها مسارا جديدا لا يقتصر على الترجمة بل التأليف المستقل من منطلق الممارسة والتجربة اليونانية السابقة، فكان أول من نهج هذا المسلك علي بن ربن الطبري، الذي وضع كتابا سماه **"فردوس الحكمة"**، وما جاء بعد هذا الوضع عرف بالعصر الذهبي الذي أبان فيه العرب واللغة العربية عن رقي علمي بالغ في علم الطب.[1]

العصر الذهبي: وقد عَرف هذا العصر ازدهارا وتطورا كبيرا في علم الطب برز فيه عدد من الأطباء الذين نقلوا الطب عن كونه ترجمات وتأليفات من معين التجربة اليونانية، إلى علم ذو صبغة عربية ظهرت

[1] محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، منظمة الثقافة، ليبيا، [د.ت]، ص38/18.

فيه عديد القوانين والتجارب الطبية التي اتصلت بالعربية وعلومها على وجه الخصوص، وحاز بها الأطباء العرب شرف السبق والبِدار ومن هؤلاء:[1]

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي في القرن العاشر الميلادي الذي يعد من أفذاذ هذه الطبقة وإليه ينسب الطب الإكلينيكي عند العرب، بدأ مسيرته بدراسة الطب اليوناني الذي جعله قاعدة نظرية يتوكأ عليها في الطب التطبيقي فهو القائل: " إنما أدرك من هذه الصناعة إلى هذه الغاية في ألوف من السنين ألوف من الرجال، فإذا اقتدى المقتدي أثرهم صار كمن أدركهم كلهم في زمان قصير، وصار كمن قد عمر تلك السنين."[2]

وللرازي في تأليفه نوعين من المؤلفات النظرية والتطبيقية العملية؛ التي كانت في الطب الاكلينيكي نتيجة خدماته ومشاهداته وتعليقاته جمعها في كتابه " **الحاوي** " أو " **الجامع الكبير**" وهو عبارة عن سجل ضخم جمع فيه هو وتلاميذه المشاهدات دون ترتيب أو تبويب خاص، وينسب له أرجوزة في الطب وأرجوزة في تدبير النفس خاصةٌ بالصحة.

له فضل السبق وانجازات عدة في علم الطب فقد عُرف بدقة الملاحظة السريرية الخاصة بدراسة حالة المريض، وسُجّل له ما يقرب الثلاثة والثلاثين ملاحظة سريرية، أسس المعالجة في الأعضاء التناسلية، والولادة، وجراحة العيون، وقدم شرحا وافيا لكيفية استخراج الماء الأبيض من العينين، وكتب في طب الأطفال، استخدم الرازي خيوط الجراحة واكتشف البول السكري، وعلاج مرض الطاعون.

وبعد الرازي نجد **علي بن العباس** من نفس العصر وهو تلميذ الرازي، جمع بين التنظير والتطبيق وقام بخطوة كبيرة في علم الطب بتأليفه لكتاب جامع في الطب أوضح من كتب **أبقراط** المختصرة التي تخلّلها الغموض، وأوجز من كتب **جالينوس**، فكان عصارة للفوائد وكتابه " **كامل الصناعة الطبية** " أول ما ترجم إلى اللاتينية من الكتب العربية فسمي **بالكتاب الملكي**، فيه عشرون مقالة عن الطب الإسلامي ولا يزال إلى يومنا مخطوطا.

من إنجازاته العملية في الطب: يعد من أوائل القائلين بوجود شبكة شعرية بين العروق النابضة (الشرايين) وغير النابضة (الأوردة)، وصف استئصال الأورام التي تلحق الأمراض، ومرض الصرع، وتكلم عن صعوبة شفاء الرئة المصابة بالسلّ وما يلزم لعلاجها، وبقيت طريقته معتمدة حتى مطلع القرن العشرين قبل اكتشاف المضادات الحيوية.

وجاء بعدها **ابن سينا في بداية القرن الحادي عشر ميلادي** والذي عُدّ من أذكياء العالم جمع بين علم الفلسفة والطب يقول ابن سينا: " ثمَّ رغبت فِي علم الطِّبّ وصرت اقْرَأ الْكتب المصنفة فِيهِ، وَعلم الطِّبّ

[1]Azeem Majeed, How Islam changed Medicine, BMJ 2005 Dec 24, publishing Group LTD.
[2] ينظر: محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص27.

لَيْسَ من الْعُلُوم الصعبة فَلَا جرم أَنِّي برزت فِيهِ فِي أقل مُدَّة حَتَّى بَدَأَ فضلاء الطِّبّ يقرأون عَليّ علم الطِّبّ، وتعهدت المرضى فانفتح عَليّ من أَبْوَاب المعالجات المقتبسة من التجربة مَا لَا يُوصف وَأَنا مَعَ ذَلِك اخْتلف إِلَى الْفِقْه وأناظر فِيهِ، وَأَنا فِي هَذَا الْوَقْت من أَبنَاء سِتّ عشرَة سنة"[1]

وضع كتابه " **القانون في الطب** " الذي يعد من الكتب العالمية مثله مثل فلسفة أرسطو، وهندسة إقليدس، وكتاب سيبويه في النحو وغيرها من الكتب التي تمثل غاية العلم القائم على نوع خاص من التفكير.

نظم ابن سينا منظومة خاصة بعلم الطب تشمل 1326 بيت والمعروفة **بأرجوزة ابن سينا** في الطب أو **ألفية الطب**، جمع فيها أصول الطب، شملت جزءً علميا تنظيريا في حدود الطب وأقسامه، والأمزجة وغيرها مما ذكره والجزء الثاني عملي تطبيقي جعله على قسمين: قسم لحفظ الصحة والأخر لبرء العلة، فيعرض لأنواع الأدوية والجراحة، وتأثير الأدوية وطرق العلاج وأنواع الجراحة.[2]

وقد ترجمت هذه الأرجوزة إلى عدة لغات نقلت إلى اللاتينية في القرن في القرن 6هـ (12م)، على يد **جيرار** من طليطلة بالأندلس، وترجمها إلى اللاتينية أيضا **أزمنجود الباغوس** ونقلت إلى العبرية على يد موسى بن طبون سنة 659هـ (1260م)، وسلومون بن أيوب بن يوسف الغرناطي سنة 660هـ، وترجمة ثالثة لحاييم إسرائيل.[3]

له إنجازات عملية عديدة في علم الطب منها:

- التشخيص عن طريق البول والغائط والنبض.
- أول من وصف الالتهاب السحائي مفرقا بينه وبين الالتهاب الرئوي.
- أول من وضح أن جنس الطفل ونسبته إلى الرجل، وأول من أثبت أن الحواس الخارجية للإنسان كالبصر والسمع وغيرها مركزها الدماغ.

ونجد في هذا العصر **أبو القاسم الزهراوي عاش في الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي** رائد الطب الجراحي، لقب بأبي الجراحة الحديثة له كتاب جليل في الطب سماه " **التصريف لمن عجز عن التأليف** " الذي يعد موسوعة طبية من ثلاثين مجلدا، وله كتاب " **أمراض النساء** " وأجهزته التي صنعها للجراحة كان لها أثر كبير في الشرق والغرب، وبعضها لا يزال مستخدما إلى يومنا هذا.

---

[1] أبو العباس ابن أبي أصيبعة [ت668هـ]، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، [د.ت]، ص438.

[2] ينظر: الحسن بن عبد الله ابن سينا، الأرجوزة في الطب، ترجمة ونشر: جان جايي، عبد القادر نور الدين، باريس، فرنسا، 1375هـ-1956م، ص4/2.

[3] للاستزادة ينظر: جلال شوقي، العلوم العقلية في المنظومات العربية دراسة وثائقية ونصوص، ط: 1، سلسلة التراث العلمي العربي، الكويت، 1990م، ص 631/585.

من إنجازاته في ميدان العلوم الطبية:

- أول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف وعالج الثؤلول.
- أجرى عمليات صعبة كشق القصبة الهوائية وعمليات الاستئصال.
- وصف طريقة خياطة الجروح الداخلية باستخدام الأمعاء، وأشار إلى الحمل خارج الرحم (الحمل المنتبذ).
- اكتشف ملقط الولادة وآلة لتوسيع الرحم ومنظارا خاصا للرحم، وأول من استعمل خطافات مزدوجة في العمليات الجراحية.
- أول من اكتشف الطبيعة الوراثية لمرض الناعور (الهيموفيليا).
- قدّم إضافات كبيرة في علم طب الأسنان وجراحة الفكين، وكتب في تشوهات الفم وسقف الحلق.

ومن كوكبة البارزين نجد **أبو الحسن علي بن أبي حزم ابن النفيس في القرن الثالث عشر ميلادي** أحد رواد علم وظائف الأعضاء، ومن أعظم فيزيولوجي العصور الوسطى، ومن أبرز شراح كتاب القانون لابن سينا، ألف في علم التشريح كتابا مستقلا سماه " **شرح تشريح القانون** " حيث صوّب فيه بعض ما أورده ابن سينا في علم التشريح، معترضا على جالينوس وابن سينا حول نظرية الدورة الدموية الصغرى التي دام الاعتقاد فيها مدة اثنا عشر قرنا؛ حتى جاء ابن النفيس ليغير مجرى الاعتقاد ويأتي بنظرية ظل الغرب يعتمدون عليها حتى اكتشف **ويليام هارفي** الدورة الدموية الكبرى، وألف بعدها كتابه " **الشامل في الصناعة الطبية** " الذي نشر منه ثمانون مجلدا قبل وفاته، وقد حلّ كتابه هذا محل كتاب ابن سينا في العصور الوسطى حتى لقبه المؤرخون بـ " **ابن سينا الثاني** "[1]

زيادة على الجهود الطبية نجد جهود العلماء في هذا العصر واشتغالهم بالعقاقير، منتقلين من ترجمة كتب **ديوسقوريدس** إلى الابداع وتطوير هذا الجانب المهم المتصل بعلم الطب ومعرفة العلل، فكتبوا كتبا بارعة في العقاقير منها ما كتبه **ابن البيطار وداود الأنطاكي**، كما وقد سلك العلماء مسلكا نقديا قدّموا فيه اعتراضا ونقدا لبعض المسلّمات في علم الطب وقتها وتمثيلا لذلك: اعتراض عبد اللطيف البغدادي على قول **جالينوس** أن الفكّ الأسفل عظمتان وصوب هذا القول كونه عظمة واحدة، واعتراض ابن النفيس كذلك في علم التشريح على **جالينوس** فيما يخص تشريح القلب.

2-1-المطلب الثاني: مجالات علم الطب عند المسلمين العرب:

لم تقتصر جهود المسلمين في ميدان العلوم الطبية على جانب ضيق من العلاج أو مجرد الترجمة لليونانيين والمشتهرين بالطب في الحضارات التي احتكوا بها، بل شمل تأثير العرب في هذا الميدان الاشتغال

[1] ينظر: راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط: 1، مؤسسة اقرا، القاهرة، مصر، 2009م، ص 177/170.

بدراسات دقيقة متخصصة على مستوى التنظير والتطبيق، كما أنهم لم يجمدوا على ما ترجم من الأبحاث بل انتقدوا وعارضوا واجتهدوا الشيء الكثير؛ حتى عرفوا عبر التاريخ بالسبق في كثير من الأمور المتعلقة بالطب، فشمل ذلك العلاج والتشخيص والآليات والأدوات وطرق العلاج وماهيته وتركيبه وغير ذلك.[1]

الطب عند العرب

علم التشريح:

اشتغل الأطباء العرب بعلم تركيب جسم الانسان كونه يعين على فهم أسباب المرض ووسائل العلاج التي تتوقف على معرفة التشريح، فسلكوا مسلك التطبيق في اغلب الأحوال، ومنه نجد دقة عجيبة في تشريح بعض أعضاء الجسم كتفصيلهم حول ثقوب الفقرات التي تخرج منها أعصاب النخاع، وفي العين ومجاري البول والقلب، كما أخطأوا في تشريح بعض الأعضاء كحديثهم عن مجاري الكبد والكلى.

علم الجراحة:

وهو من أهم مجالات الطب في العصر الذهبي قائم على الإحاطة بعلم التشريح، برع فيه كثير من الأطباء في مقدمتهم الرازي والزهراوي وابن النفيس، فكانوا أول من تمكن من استخراج حصى المثانة لدى النساء، ووقف النزيف بربط الشرايين، وجراحة الأسنان والفك، والعين، ونجح الزهراوي في أول عملية لفتح الحنجرة، وتوصلوا لطرق جديدة في التخدير عن طريق الاستنشاق وغير ذلك، كما ابتكروا أدوات جراحية ما زالت تستعمل في عصرنا.

طب العيون:

أفرد المسلمون هذا العلم بالتأليف والاشتغال فكان المختصون به يسمّون بالكحّالين، فطوروا فيه كثيرا من الأدوات وأجروا عمليات لم يُسبقوا إليها من قبل، وبنتائج مضمونة، كما قدموا تشريحا دقيقا للعين ووصفا لعللها، ومن الكتب المختصة بهذا العلم كتاب حنين بن إسحاق " **عشر مقالات في الطب** " وكتاب صلاح الدين بن يوسف الكحّال " **نور العيون وجامع الفنون** " وجهود الحسن بن الهيثم العجيبة في وصف العين وقضايا البصريات.

طب الأطفال:

لم يكن طب الأطفال كتخصص مستقل بل كان ضمن الطب العام، أولوا له اهتماما كبيرا فكتبوا فيه وفي علم الأجنة والأمراض الوراثية، والإرضاع وأحوال المرضع، ومدة الحمل وأطوار الجنين والعناية به حال الولادة، والأمراض التي تعرض له كالإسهال والربو والتسنين والديدان وشلل الأطفال، وعُد كتاب الطبيب العربي أحمد بن محمد الطبري (976م)، من أقدم المخطوطات الموجودة في طب الأطفال.

[1] ينظر: راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ص91/43.

الفارماكولوجيا: Pharmacology

وهو علم الأدوية أو علم الصيدلة الذي اتصل اتصالا قويا بالطب عند المسلمين العرب، حيث اهتموا بدراسة المركبات والعقاقير ذات التأثير العلاجي، واختبارها وتدوين المعلومات والتجارب العلاجية وأثر هذه الأدوية على الجسم، وتخصصوا في الأعشاب وتأثيراتها العلاجية.

الطب الإكلينيكي:

وهو مصطلح طبي مشتق من السرير في المستشفى، يستخدم في الإشارة إلى الفحص السريري أو الدراسة السريرية للمريض، أُسس أول مستشفى إسلامي في خلافة الوليد بن عبد الملك في ق9هـ، كان متخصصا في مرض الجذام، وانتشرت بعد ذلك المستشفيات في العالم الإسلامي عرفت بـ: **(البيمارستانات)** منها الثابت في المدن والمتنقل إلى القرى البعيدة والجبال، واعتُبر الرازي رائد الطب الإكلينيكي في العصور الوسطى.

الطب النفسي:

الطب عند المسلمين لم يقتصر على العلاج العضوي فحسب بل تعدّاه إلى العلاج النفسي، في الوقت الذي كان الجنون يعد في أوروبا مرضا شيطانيا يقيد المجانين بالسلاسل ويعالجون بالضرب، فقد اعتبر المسلمون أن الأحداث والعوامل النفسية لها تأثير كبير على البدن، فخصصوا طرقا علاجية وأجنحة في المستشفيات للأمراض العصبية والعقلية، نجد أن الرازي أرجع بعض أنواع سوء الهضم إلى أسباب نفسية، وتحدّث عن ضرورة ايهام وتحديث الطبيب للمريض بالصحة، وإن كان غير واثق من ذلك؛ لأن مزاج الجسم تابع للنفس.

أشرنا سابقا أن النظر في تاريخ العلوم يعكس ذلك التلاحم أو الاحتكاك بين العلوم فيما بينها، والاتصال بين أولها وآخرها، وهو ما يعرف بمرحلية العلوم وتطورها، فمثلها مثل الإنسان الذي يولد وينشأ حتى يشتد عوده ويقوى، ومع هذا التطور العلمي والرقي في ميدان العلوم الطبية في عصرنا لا يمكن تصور أن هذا الرقي كان نتاج ليلة وضحاها من البحث والاجتهاد، بل هو نتاج جهود متتالية منذ القديم أوصلته إلى ما هو عليه اليوم من التطور على مستوى الكشف والعلاج، والتشخيص والوقاية، وأيضا الوسائل والآليات والإمكانات وكل ما تعلق بهذا الميدان.

وللجهود العربية والإسلامية في ميدان الطب خاصة في العصر الذهبي والعصور الوسطى جانب فعال وأثر كبير على التطور والرقي الحادث في عصرنا هذا، ليس في التنظيرات والتطبيقات السليمة الصحيحة التي كانت موجودة فحسب، بل حتى فيما نقل من خبرات وتجارب خاطئة كانت سببا في إعادة النظر في مناحي طبية مختلفة، ذلك أن مبدأ التجربة السابقة وقوامها العلو والاستفادة فيما يأتي بعدها، بغض النظر عن فشلها أو نجاحها.

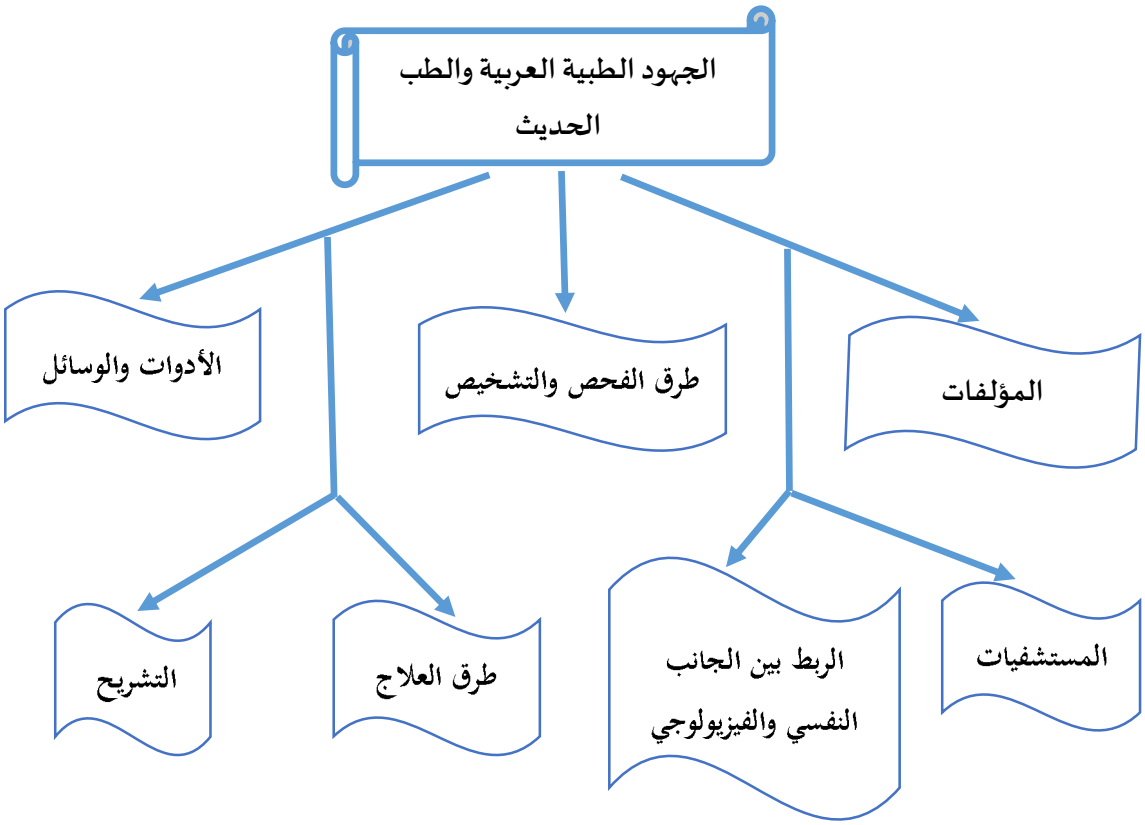

- **المؤلفات والمصطلحات:** للمؤلفات والمصطلحات العربية في الطب أثر كبير على الطب الحديث، كالقانون لابن سينا، والحاوي للرازي، والتصريف للزهراوي، فقد بقيت تدرّس بعض هذه المؤلفات في جامعات أوروبا حتى القرن 18م، ولا يزال بعض ما ورد فيها معمولا به إلى اليوم مزامنة مع التطور الحادث على المستوى التطبيقي، وفي المصطلحات يقال أن أصل كلمة **"Medicine"** المستعملة اليوم راجع الى اسم الرئيس ابن سينا أي مادة سينا، أو نسبة إلى الرسائل الغربية التي كانت ترسل إليه وتوقع بكلمة " مدد سينا" ومن المصطلحات الطبية العربية المستعملة اليوم في القواميس والميدان الطبي مثلا:[1]

الكيمياء: Alchemy / الكحول: Alcohol / قولون : Colon / بدن : Body

[1] للاستزادة ينظر: أحمد رفعت الكشميري، الجذور العربية في المصطلحات الطبية، 2006، Internet Archive.

القطن: Cotton / نخاع: Nuchal / قناة (القنات الهضمية): Canal (Alimentary Canal)

- **طرق الفحص والتشخيص:** الفحص الطبي وتشخيص الأمراض في عصرنا له ارتباط وثيق بما كان عليه في العصر الذهبي، وتلك الطرق لا تزال مستعملة في وقتنا كفحص البول، والبراز، وجس النبض، ولون الجلد وتحسسه عند اللمس، وحالة العينين، وسؤال المريض مما يشكوا، وعن عاداته ومأكله والأمراض التي أصيب بها قبل، وكل هذا نجده في كتب الطب عند العرب، هذا وقد استطاعوا تشخيص السّل، والتفريق بين المغص المعوي والكلوي، والالتهابات والأمراض المعدية وغير ذلك بدقة كبيرة، فابن سينا أول من كشف مرض الإنكلستوما في كتابه "**القانون**" العدوى التي تصيب كثيرا من سكان العالم وقد سمى هذه الطفيلية بالدودة المستديرة حيث أعيد اكتشافها بإيطاليا سنة 1838م وأخذ كل المؤلفين بهذا الرأي في العصر الحديث.[1]

- **الأدوات والوسائل:** عدد من الأدوات التي اكتشفها واستعملها المسلمون لا تزال تستعمل أو بالأحرى فكرتها وطريقة عملها لا تزال قائمة بشكل مطور في عصرنا، خاصة الوسائل المستعملة في الجراحة والتشريح التي اخترعها ابن النفيس والزهراوي، كالملاقط، وآلات القطع، وطرق الخياطة (ينظر الملاحق)، وابتكار الأطباء العرب لامتحان الطب، والسجلات الطبية، فلا يُجاز ولا يؤذن للمعالج أن يعالج المرضى حتى يمتحن ويختبر، ويجتاز كثيرا من الأمور وعلى أيدي المشهورين بالطب وقتها في الجوانب العملية والنظرية.

- **طرق العلاج:** كثير من طرق العلاج التي أسس لها المسلمون لا تزال قائمة في عصرنا ومن أمثلة ذلك المخدر في العمليات الجراحية واختلاف جرعاته بين المريض النفسي والعلاج الطبيعي، والمواد والنباتات التي استعملت وقتها تدخل ضمن الأدوية المخدرة والمسكنات في عصرنا، ومن ذلك طرق علاج خلع الكتف برد المقاومة الفجائي، وتأثير بعض المأكولات على البواسير، وعلاج الماء من العينين، وغير ذلك.

- **الربط بين الجانب النفسي والفيزيولوجي:** حيث رأى الأطباء العرب أن الجانب النفسي له أثر كبير على البدن يؤثر في أعضاء الجسم ومدة العلاج والشفاء، وقد تكلم عن هذا الرازي في كتابه، وهذا ما يثبته الطب الحديث ويقطع به، لذلك نجد في المستشفيات اليوم الطبيب النفسي يرافق المرضى قبل وبعد العمليات، وكذا يدخل ضمن التكوين والمقررات التي يدرسها طلبة الطب، كونها ذات أثر فعال في العمليات الفيزيولوجية لجسم الانسان.

- **المستشفيات:** نظام المستشفيات في الإسلام والعصر الذهبي عجيب فالمسلمون هم أول من أسس المستشفى المتنقل واستعملوا الأجنحة الخاصة داخل المستشفى فجعلوا جناحا خاصا للنساء وعمليات التوليد، وجناحا خاصا بالأوبئة والأمراض المعدية، وجناحا للأمراض النفسية، وكانت المياه تسري في كل

[1] ينظر: حافظ طوقان، علماء العرب وما أعطوه للحضارة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، [د.ت]، ص21.

أقسام المستشفى مع الحرص على عمليات التطهير، فنظامهم مشابه للنظام المعمول به اليوم في الوقت الذي كانت المستشفيات في أوروبا مركزا للفوضى والقذارة.

- **التشريح:** كان لعلم التشريح عند المسلمين دور فعال في تطور الطب الحديث من خلال النتائج التي توصل إليها علماؤنا حول أجزاء جسم الإنسان ووظائفها، فقد كانت دراسته عملية بامتياز قاموا خلالها بتشريح الموتى والحيوانات ووصلوا إلى نتائج دقيقة مقارنة مع الإمكانات المتوفرة وقتها، فقد وصف ابن سينا حركة العين وعضلاتها، وكتب ابن الهيثم في قضايا البصريات وطبيعة النظر ووضع تشريحا جيدا لعين الإنسان، ووصف ابن النفيس لأول مرة في التاريخ الدورة الدموية الرئوية.

ومنه فإن أثر الجهود الطبية القديمة ظاهر على ما وصل إليه الطب الحديث من تطور، فبصرف النظر عن الطرق والوسائل العلاجية التي مازالت مستعملة في وقتنا، فإن محاولاتهم الخاطئة واجتهادهم الناقص ذو أثر كبير على هذا الرقي في الطب، كان قاعدة انطلقت منها الدراسات وتجارب معروفة النتائج من أجل التعديل والتطوير، ومثلما نحن اليوم نعتمد طرقا نراها حديثة ذات نتائج ممتازة، فلا يستبعد أن يظهر فيها النقص ونكتشف خطأنا مستقبلا في ظل التطور المستمر والمتسارع.

2-2-المطلب الثاني: اعتر افات الغربيين بفضل الحضارة الإسلامية العربية في جانب العلوم:

قد يُلحق بنا بعض الناس ممن يجهلون إرثهم الراقي أو ممن رأوا شعلة الحضارة وسبق الإنجاز عند الحضارة الغربية، وصف التعصب للموروث الإسلامي، أو يتهموننا بالغُلو فيما نثبته من فضل وسبق للعرب والمسلمين في جانب العلوم التجريبية، وإن كان التاريخ والكشوف والدراسات الجادّة الموضوعية تثبت كل ما ذكرناه من رقي حضاري متعلق بالطب في الإسلام بل وتتوسع في إثباته بما لا يدع لمعاند ريبة، ذلك أن صفحات التاريخ مهما طويت أو غيّبت في فترة من الفترات أو عن جيل من الأجيال؛ إلا ويأتي اليوم الذي تصدع فيه بالأخبار والأسرار التي حوتها من خلال جهود الباحثين والمنقبين عن الحقائق وسط زخم الأخبار، وقد يكون هذا من الغربي الذي لا يمّت للعروبة والإسلام بصلة، كالباحثة **زغريد هونكه** التي أنصفت الحضارة العربية وبيّنت فضلها، ذاكرة تجاهل الأوروبيين لفضل العرب والمسلمين في بناء الحضارة الإنسانية، وهذا من أهم الأسباب التي دفعتها لوضع كتابها " **شمس الله تسطع على الغرب** " ، فقد اطلعت على كتب التاريخ التي تدَّرس في أروبا فكان ذكر العرب فيها كشعب وحضارة يرد على ثلاثة أوجه تعكس العلاقة بين العرب والغرب وهي:

1/ الخطر الذي كان يشكله العرب في إسبانيا على أوروبا.

2/ الحروب الصليبية التي هدفت إلى احتلال البلاد العربية.

3/ خطر العثمانيين الذين وصلوا إلى فيينا عاصمة أوروبا.

أما عن فضل الحضارة العربية وسبقها في جانب العلم والمعرفة فهو مما غُيّب وطمست معالمه، حتى ينسب كل فضل للغرب.[1]

وهذا **جورج سارطون** لما بدأ كتابة مؤلفه الضخم **"مقدمة تاريخ العلم"** عام 1927م، كان يظن أن تراث العالم موروث عن اليونان، فلما فتح باب البحث تجلت أمامه حقيقة الإرث العربي الإسلامي وفضله على العالم، فانكبّ على دراسة هذا التراث ليعلن بعدها أن العالم مدين للعرب بالمحافظة على الإرث اليوناني أولا، وما أضافوه ونقّحوه من علم ومبتكرات ثانيا، وما نقلوه في صورته التامة هذه إلى الغرب ثالثا، ثم تحدث عن العربية التي هي لغة العلم والفلسفة والحضارة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر.[2]

ونزيد هذه الإثباتات بذكر أقوال لعلماء غربيين وقفوا على هذا الرقي وعاينوه فقالوا:[3]

يقول **كمستون**: " إن لم يكن للعرب من فضل غير إنقاذ الطب والعلوم القديمة من الضياع لكفاهم فخرا."

وقال السير **وليام أوسلر** في كتاب تطور الطب: " العرب أشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية، وبلغت مهنة الطب عندهم أثناء القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد من المكانة والأهمية ما لا نكاد نجد له مثيلا في التاريخ."

يقول **ويلز**: " إن العرب بلغوا شأوا تفوقوا فيه على الإغريق، درسوا علم وظائف الأعضاء وعلم الصحة، وكانت طرق طبهم العلمية نظير طرقنا الحاضرة، ولا نزال نحن إلى يومنا هذا نستعمل كثيرا من عقاقيرهم."

ويقول **غوستاف لوبون:** " يعد الطب أهم العلوم التي عنى بها العرب، أتم العرب أعظم اكتشافاتهم في هذه العلوم وترجمت مؤلفات العرب الطبية في جميع أوروبا، ولم يتلف قسم كبير منها كما أصاب كتبهم الأخرى."

ونحن إذا وردنا كليات الطب في بعض أنحاء العالم كفرنسا وأمريكا وجدنا تماثيل وصورا لعلماء الطب العربي كالرازي وابن سينا، تخليدا لإنجازاتهم وفضلهم على ميدان الطب، ففي جامعة برنستون الأمريكية خُصصت ناحية في أجمل أبنيتها لعلم من أعلام الحضارة الإسلامية وهو الرازي كدليل على هذا الفضل والسبق.

خاتمة:

البحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي والغوص في صفحات مجده، ثم النظر في اللغة العربية التي كتب بها وكيف ساهمت في تطوره وتوسعه في فترة وجيزة لا يسع في هذا البحث، فكان المراد إظهار شيء من

[1] ينظر: أنور الجندي، صفحات مضيئة من تراث الإسلام، ط: 3، دار بوسلامة، تونس، 1983م، ص135/136.

[2] المرجع نفسه: ص197/198.

[3] ينظر هذه الأقوال عند: راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ص 99/105.

السبق العربي والفضل الإسلامي في ميدان الطب؛ انعكست ظلاله على العصر الحديث من خلال الكشوف الطبية والموروث الرصين الذي تركه علماؤنا في ميدان الطب، وكعرض لنتائج هذه الدراسة نقول:

- عرف الطب منذ الخلافة العباسية تطورا كبيرا بدأ مع حركة الترجمة، ظهر من خلالها إبداع علماء العرب في ميدان الطب من خلال الجهود العلمية التي حازوا فيها السبق.

- نبغ في ميدان الطب كثير من العلماء كالرازي، وابن سينا، والزهراوي، وابن النفيس، وتعددت المؤلفات العلمية التي ذاع سيتها في العالم، وترجمت لعدة لغات وكانت مراجع للطب في العصور الوسطى وحتى وقت متأخر من الزمن.

- الجهود العربية في ميدان الطب شملت الجوانب النظرية والعملية فاشتهرت الجراحة والتشخيص السريري وتعددت المستشفيات والوسائل والآلات المستخدمة في الطب.

- الأبحاث والدراسات العربية في العصر الذهبي الخاصة بالطب كان لها أثر بالغ على الطب في العصر الحديث، وكثير من طرق العلاج والوسائل تستعمل من وقتها إلى يومنا هذا.

- التطور الذي شهده الطب العربي يشهد له حتى علماء الغرب ويثمّنونه، فالمكتبات والمتاحف والجامعات الغربية تزخر بهذا الإرث بما لا يستطيع انكاره منكِر.

هذا ونتقدم بجملة من **التوصيات** للباحثين بمزيد من الاشتغال والبحث في الموروث الطبي العربي خاصة فيما يتعلق بالمسائل الدقيقة المبثوثة في الكتب، مع ما هو موجود في عصرنا وتقديم مقارنات علمية، ومقاربات في هذا المستوى، وكذا جانب اللغة العربية وأثرها على العلوم وقابليتها على احتواء ما كان من علوم ومعارف، وما هو موجود في ظل الانفتاح العلمي والمعلوماتي.

الملاحق:

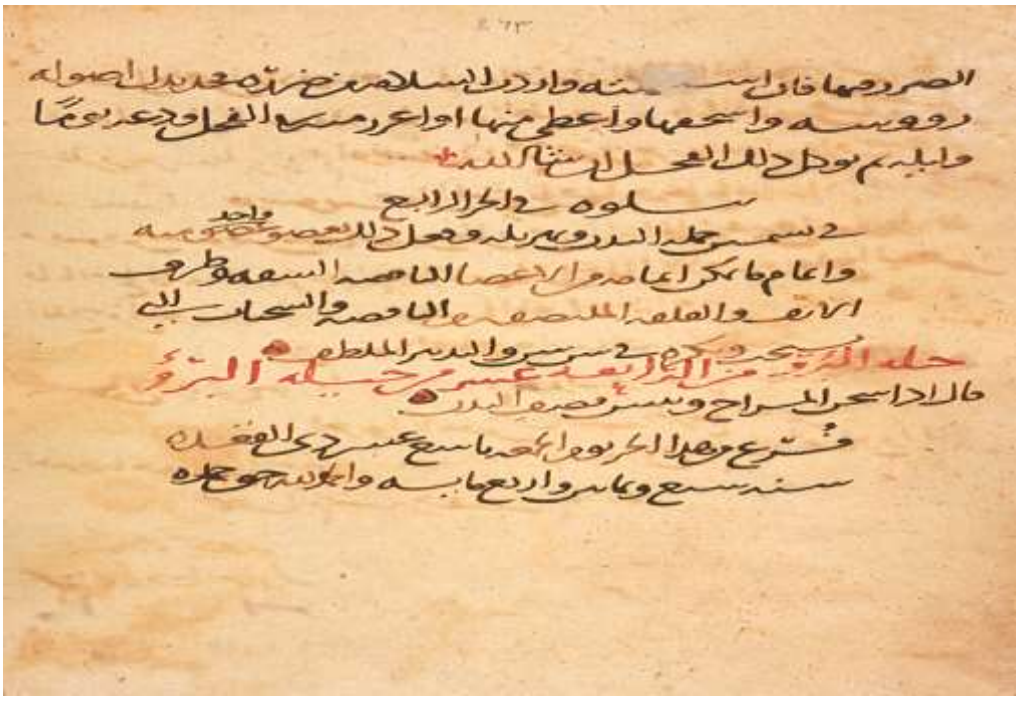

" أقدم مخطوطة موجودة من كتاب "الحاوي في الطب للرازي"، تعود إلى 1094م، محفوظة في المكتبة الوطنية للطب ميريلاند."

صفحة من مخطوط كتاب" كامل الصناعة الطبية " المعروف بالكتاب الملكي لعلي بن العباس."

" أقدم نسخة من كتاب ابن سينا " القانون في الطب " من عام 1030م."

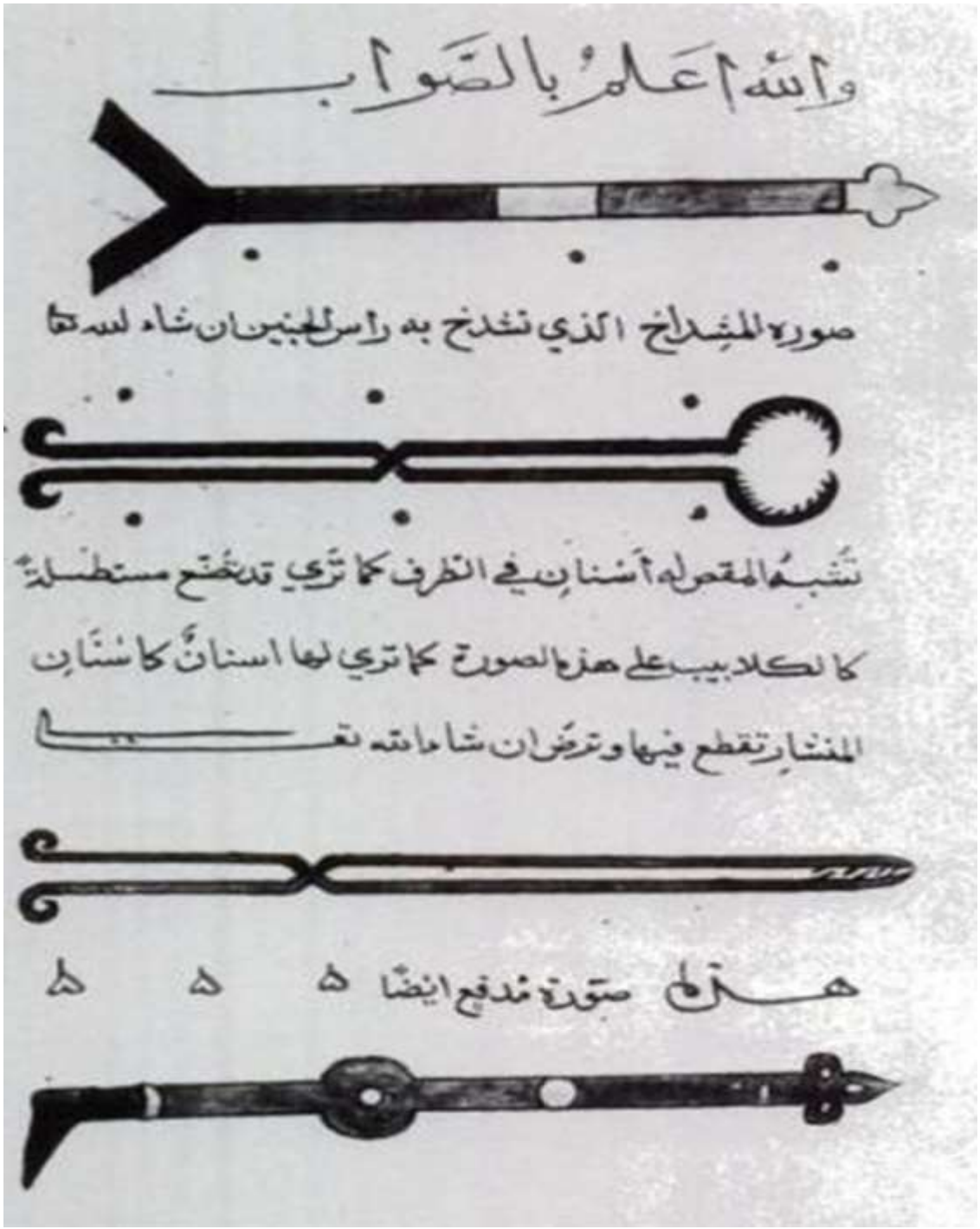

"صفحة من كتاب التصريف للزهراوي باللغة العربية، وهي رسوم توضيحية لأدوات جراحية صنعها الزهراوي."

قائمة المصادروالمراجع:

- أحمد رفعت الكشميري، الجذور العربية في المصطلحات الطبية، 2006، Internet Archive.
- الحسن بن عبد الله ابن سينا، الأرجوزة في الطب، ترجمة ونشر: جان جايي، عبد القادر نور الدين، باريس، فرنسا، 1375هـ-1956م.
- أنور الجندي، صفحات مضيئة من تراث الإسلام، ط: 3، دار بوسلامة، تونس، 1983م.
- جلال شوقي، العلوم العقلية في المنظومات العربية دراسة وثائقية ونصوص، ط: 1، سلسلة التراث العلمي العربي، الكويت، 1990م.
- حافظ طوقان، علماء العرب وما أعطوه للحضارة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، [د.ت].
- راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط: 1، مؤسسة اقرا، القاهرة، مصر، 2009م.
- محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، منظمة الثقافة، ليبيا، [د.ت].

أبو العباس ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، [د.ت].

-Azeem Majeed, How Islam changed Medicine, BMJ 2005 Dec 24, publishing Group LTD.

المؤلفات الطبية لعلماء أهل الذمة بمدينة القيروان
50هـ- 444هـ/ 670م- 1052م

Medical Literaure Of dhimmis scholars in Kairouan City
50 AH- 444 Ah/ 670 -1052

ط.د. سنوسي محمد، جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)
Sinomido142@gmail.com

ملخص:

بعد أن دخل الإسلام إلى ربوع المغرب العربي شرع الفاتحون ببناء المدن الإسلامية ، وأول مدينة إسلامية بنيت هي مدينة القيروان ، التي أسسها القائد عقبة بن نافع الفهري سنة 50 للهجرة ، وما هي إلا مدة وجيزة حتى ازدهرت المدينة فنشطت فيها العلوم النقلية و العقلية ، وتطورت فيها العلوم خاصة في المجال الطبي لضرورته الإنسانية، الذي برع فيه عدة أطباء من أهل الذمة أمثال إسحاق بن سليمان الإسرائيلي ويوحنا بن ماسويه ، فألفوا الكثير من الكتب برزت كمؤلفات طبية رائدة ساعدت في تطور علم الطب و ساهمت في إبراز التراث الطبي في العالم الإسلامي و المسيحي معا.

الكلمات المفتاحية: القيروان ، أهل الذمة ، المؤلفات الطبية ، الأطباء ،

summary:

After islam entered the Maghrab,the Conquerors began to build islamic cities ,and the first islamic city to be built was the city of Kairouan in the lower Maghreb.
It was founded by the leader Uqba Ibn Nafi al-Fihri in the year 50 AH . because of his human necessity,in which several doctors of dhimmis,most notably Ishaq Ibn Sulrium , and Youhana Ibn Masouih .
They wrote many books that helped in the devlopment of medical science and contributed to highlighting heritage in the islamic and christian worlds together.
Keywords: Kairouan, dhimmi,Medical literature, Doctors

مقدمة:

شهد المغرب الإسلامي تطور فكري وعلمي في شتى المجالات سواء منها النقلية أو العقلية ، وسجل التاريخ تفوق المسلمين في مختلف العلوم على غرار علم الطب خاصة بمدينة القيروان ، مما ساهم في تأسيس حضارة إسلامية حافلة بالمنجزات و الإسهامات العلمية في خدمة التراث الإنساني ، وظهر علم الطب في القيروان وتطور على يد أطباء عظماء و بمؤلفات جليلة ، بحيث حضي الطب بمكانة كبيرة في القيروان و خارجها ، وقد كان لأطباء أهل الذمة دور كبير في تطور الطب بالقيروان من خلال مؤلفاتهم العلمية ، وعليه كانت اشكاليتنا كالأتي :

الى أي مدى ساهمت المؤلفات الطبية لأهل الذمة بالقيروان في خدمة التراث الإنساني ؟

حيث تمخضت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات نذكرها كالأتي:

كيف نشأ الطب في القيروان ؟

وكيف ساهم أهل الذمة في الطب بالقيروان ؟و ما هي أهم مؤلفاتهم الطبية ؟

1-نشأة الطب بالقيروان :

1-1- هجرة العلماء للقيروان :

دخل القيروان عدد كبير من الصحابة و التابعين مما أعطاها بعد ديني، و لحق بهم العديد من العلماء من المشرق فاستوطنوا بها و اختاروا ديارهم و مساجدهم، و أصبحوا من أعيان المدينة حيث أنه كان مع عقبة بن نافع في معسكره ثمانية عشرة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بين الذين دخلوا القيروان قبل تأسيس المدينة ابن عباس الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه الكتاب و الحكمة [1]، وابن عمر الذي كان من أهل العلم و الورع، و كذلك بن الزبير و عبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان يحمل عنه العلم، وبن أبي سرح كاتب وحي النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو زمعة البلوي المدفون بالقيروان الذي كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل هؤلاء من حفظة القرآن و حملة الحديث و رواته، ودخلوهم إلى مدينة القيروان ساهم في نشر الإسلام و اللغة العربية بين البربر، وتجلى في الدين و

[1] أبو بكر عبد الله بن بن محمد المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزادهم ونسكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم ،ج2 ، تح : بشير بكوش ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 1981 ، ص 182.

الفقه و التفسير و الأدب و الشعر و نمط و سلوك و عادات كلها انتقلت من المشرق لتؤسس حياة علمية و ثقافية داخل القيروان.[1]

كما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز بعثة العلماء العشرة إلى مختلف بلاد المغرب، كانت مهمتها تعليم البربر لدين الإسلام، لان الإسلام لم يتعمق في نفوس الأهالي، نذكر من بينهم إسماعيل بن عبيد الأنصاري الملقب بتاجر الله، وهو الذي جمع بين العلم و الفلاح و الثروة، وسمي بتاجر الله لأنه كان يجعل ثلث كسبه لله، أقام بالقيروان الى أن خرج في غزوة الى صقلية فغرق في البحر سنة 107هـ[2]، وأبو عبد الله بن يزيد المعافري وهو الذي ترأس البعثة وسكن القيروان و مات بها [3]،وأبو الجهم عبد الرحمان بن رافع التنوخي توفي بالقيروان سنة 113 هـ، وأبوسعيد جعيل بن عاهان بن عمير الرعيني الغساني توفي سنة 115هـ، و حسان بن أبي جبلة القرشي توفي سنة 125 م وموهب بن جبير المعافري و أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي، وبكر بن سوادة بن تمامة الجذامي توفي سنة 128هـ، وإسماعيل بن عبد الله الأعور، وطلق بن حيان الفارسي، [4] واتخذ كل منهم مقرا لسكانه و مسجدا لأداء عباداته و مجالسه، وكتاب لتحفيظ القرآن وتلقين مبادئ اللغة العربية.

2- إسهامات أهل الذمة في الطب بالقيروان

2-1- يوحنا بن ماسويه توفي في سنة 243هـ / 857م: هو أبي زكريا يوحنا بن ماسويه سرياني الأصل وكان مسيحي، وهو من جند نيسابور، ارتحل إلى بغداد في القرن الثالث الهجري، فعمل طبيبا في بلاط العباسيين فكان طبيب هارون الرشيد والأمين والمأمون وإلى غاية المتوكل[5] ،و ولاه هارون الرشيد عملية الترجمة لما جمعه من كتب بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم، فكما ائتمنه على الترجمة فعينه أمينا وعيّن له مساعدين كتابا يعاونونه.[6]

---

[1] فطيمة مطهري ، المظاهر الحضارية في القيروان وتيهرت ابان القرنين الثاني و الثالث الهجريين ، رسالة دكتوراه ، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي ، جامعة ابي بكر بلقليد تلمسان ، 2015-2016 ، ص 482 .

[2] محمد علي دبوز ،تاريخ المغرب الكبير ، ج3 ، دار اجياء المتب العربية ، سوريا ، 1963 ، ص 186.

[3] عبد العزيز الثعالبي ،تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الاغلبية ، تح : أحمد بن ميلاد، محمد ادريس ، تق و مرا حمادي الساحلي ن، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1990م ، ص 187.

[4] محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، المرجع السابق، ص 187.

[5] أبو العرب محمد أحمد بن تميم القيرواني، مصدر سابق، ص 277.

[6] صاعد الأندلسي أبي القاسم ضياء الدين أحمد طبقات الأمم، نشرة طويسي شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912، ص 36.

في الكتابة ويعتبر ابن ماسويه أوّل طبيب دخل بلاد المغرب، فقد قدم إلى القيروان مع الأمير يزيد بن حاتم المهلبي، ولكنه لم يمكث كثيرا وعاد إلى بغداد وتوفي في سامراء سنة 243هـ / 857 معلى أيام الخليفة العباسي المتوكل، وتتلمذ على يديه الطبيب حنين ابن إسحاق.

وإذا كان ابن ماسويه قد شغل الشرق والغرب بطبه يومئذ فليس كثيرا عليه أن يرثيه الشاعر بقوله:[1]

إن الطبيب بِطِبّهِ وَدَوائِهِ — لا يستطيعُ دِفاع مـوه أتى
ما للطبيب يَموتُ بالداء الذي — قد كانَ يُبرِئُ جُرحَهُ فيما مضى
ذَهَبَ المُداوي والمداوى والذي — جَلَبَ الدّواءَ وَباعَهُ وَمَن اشترى

وقد ترك الطبيب يوحنا بن ماسويه العديد من المؤلفات الطبية قاربت الخمس والثلاثين 35 مؤلفا، ويعتبر حنين بن إسحاق من تلاميذه النجباء.[2]

ويذكر الدكتور محمود حاج قاسم أن أغلب مؤلفات بن ماسويه كانت في الطب وهي تربوا على الخمسين ويبدو أنه كان له السبق في تأليف بعض الكتب التي لم يؤلفها الأطباء العرب قبله، فقد كان رائدا في أكثر من ضرب من ضروب الطب.[3]

2-1-2 مؤلفات الطبيب يوحنا بن ماسويه

1 - كتاب العين: ويعرف بدغل العين أو كتاب معرفة العين ،وطبقاتها وهو مكتوب بلغة عربية رديئة، وفيه كثير من الإصلاحات الفنية اليونانية السريانية والفارسية[4]... وتوجد مخطوطة منه في مكتبة تيمور بالقاهرة، برقم 100، طب، ونسخة أخرى بدار الكتب المصرية برقم 5636ل. طب، ومخطوطة بمكتبة الجراح بحلب.

2 - كتاب الكامل في الأدوية المقيئة: وفيه معلومات عن تداوي للقصبة الهوائية.

3 - كتاب مقالة في الجنين: حققه الدكتور محمود الحاج قاسم بجنب مقالتين أخريين لمؤلفين آخرين وجمعهما في كتاب سماه "ثلاث رسائل في الطب العربي الإسلامي".[5]

---

[1] عبد الرزاق أحمد وادي السامرائي من اعلام الطب في سامراء، ابن ماسويه (243هـ 857م) واضع أسس الطب العربي ورائد علم التشريح كلية التربية سامراء قسم التاريخ، جامعة تكريت، المجلد 2، العدد 3، 2006، ص 18.

[2] ابن جلجل أبو داوود سليمان بن حسان طبقات الأطباء والحكماء تحقيق فؤاد ،سيد مطبعة المعهد العلمي العربي، القاهرة، .1955، ص66.

[3] محمود حاج قاسم محمد ، ثلاث رسائل في الطب العربي الاسلامي ، الرازي، ابن ماسويه ابن عازرون بغداد، 2001، ص 542.

[4] عبد الرزاق أحمد وادي السامرائي، ثلاث رسائل في الطب العربي الاسلامي (الرازي، ابن ماسوية ، ابن عازرون) ، بغداد 2001 ، ص543.

[5] محمود حاج قاسم محمد، مرجع سابق، ص 543.

ويتناول ابن ماسويه في هذه المقالة الأمور المتعلقة بالجنين تكونه تطوره، وتمام خلقته، وولادته

4- كتاب التشريح: وهو أوّل كتاب في علم التشريح، ومخطوطته محفوظة في مكتبة حكيم، حلب بسوريا، ويعد هذا الكتاب أول محاولة في أولى خطوات الجراحة التي قام بها بن ماسويه على الجنس البشري بعد قيامه بتجاربه على القرود.[1]

5- كتاب الجذام: بضم الجيم و الجذم في لسان العرب معناه القطع، ومنه اشتق، فالعرب سموا المرض الذي يسبب قطع الأصابع أو النسل جذاما، كما سموه داء الأسد لأنه يفترس أطراف الجسم، ووصفوه بأنه معد ونصحوا الأصحاء بضرورة الفرار منه مثل فرارهم من الأسد.[2]

6- كتاب الجواهروصفاتها وفي أي بلد هي وصفة الغواصين والتجار: حققه وعلّق عليه الدكتور عماد عبد السلام رؤف، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي 2001م.

ويقدم ابن ماسويه في هذا الكتاب معلومات حضارية قيمة تتصل بتجارة الجواهر من لآلئ، وأحجار، وخاصة اللؤلؤ وطريقة استجلابه ومواطن ،استخراجه وأثمانه ،وأوزانه، وأوصاف كل نوع من أنواع الجواهر والأحجار الكريمة، كما يذكر أسماء جغرافية كالبحار والجبال والمدن والجزر.

7- كتاب السموم وعلاجها: وفيه صفات طبية متخصصة في علاج سموم لسعات الأفاعي والعقارب والعناكب والزنابير وقملة النسر ولدغاتها.

8- كتاب الحميات: ويتضمن معلومات في أمراض الأذن وأسباب الصداع وعلاجه.[3]

9- كتاب المشجر الكبير: وفيه معلومات عن أورام الكلى والفحص عنها وأدواتها، وأسباب عرق النسا وعلاجها.

10- كتاب جواهر الطيب أو الطب: المفردة بأسمائها وصفاتها ومعدنها، ويبحث في أنواع العطور وكيفية استخراجها من مواطن وجودها.

11- كتاب الأدوية المسهلة وإصلاحها: وفيه معلومات عن الأدوية التي تفيد القيء واليرقان وعلاج عرق النسا، وأوجاع المفاصل المتولدة من البلغم ،اللزج، وداء اللثة والأطعمة التي تجلو المعدة والمثانة والكلية والكبد والطحال... وغيرها.

12- كتاب في الفصد والحجامة: وقد مارس بن ماسويه عملية الفصد سواء لحساب الخلافة أم أفراد المجتمع، وكثيرا ما اقتصد المتوكل واحتفل بعدها.

---

[1] محمود حاج قاسم محمد، نفسه، ص 543.

[2] شوكت الشطي، مختصر تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب، مطبعة جامعة دمشق، 1959، ص232.

[3] الحميات من الحمى وهو ارتفاع درجة الحرارة.

13- كتاب المرة الصفراء أو السوداء: أما الصفراء فهي واحد من الأخلاط الأربعة، والأخلاط نوع من سوائل الجسم ومصدره الغذاء، أما المرة السوداء فهي تتكوّن في الكبد.[1]

14- كتاب الكمال والتمام: وفيه معلومات عن رطوبة الفم وأدويتها وأدوية العين وأدوية الرعاف وأمراض الكلى، وفي ديدان البطن وأدويتها.. . وغيرها.

15- كتاب في علاج السعال والحرفي رئة الصبيان: في ممارسته لطب الأطفال شخص بن ماسويه عدة حالات مرضية ووضع العلاج اللازم لها.

16- كتاب خواص الأغذية: ويتعلق بجميع الأغذية من البقول والفواكه والألبان واللحوم وأعضاء الحيوان والأقوية بمدريد تحت رقم: 80601.

17- كتاب نوادر الطب: أو ما يعرف بالفصول الحكيمة والنوادر الطبية: كتبه ابن ماساويه بناءا على طلب تلميذه حنين ابن إسحاق، ويحتوي على مائة واثنين وثلاثين فصلا في الحكمة.[2]

18- كتاب في السواك والمسنونات: والمسنونات هي الأدوية التي يستن بها الإنسان أسنانه، أو يسن بها ويحدّها.[3]

كما تذكر له تصانيف جميلة منها كتاب البرهان الذي يشتمل على ثلاثين كتابا[4]، وكتاب لما امتنع الأطباء من علاج الحوامل في بعض شهور حملهن[5]، وغيرها.

2-3- الطبيب اسحاق بن سليمان الإسرائيلي توفي في 320هـ[6]:

الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي هو طبيب مصري كحال في أوليته[7]،يرجع أصله إلى عائلة يهودية، تعاطى مهنة الكحالة في عهد أحمد بن طولون، وكان قدومه إلى إفريقية صحبة رسول زياد الله الثالث إلى بغداد،[8] وهاجر إلى القيروان حيث لازم الطبيب إسحاق بن عمران وتتلمذ عليه وعمل كطبيب لدى آخر

---

[1] كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال ، ص 342.

[2] عبد الرزاق السامرائي، من أعلام الطب في سمراء ابن ماسوية (243هـ/875م)واضع أسس الطب العربي ورائد علم التشريح ، كلية التربية ، سامراء ، جامعة تكريت ، المجلد 2 ، العدد 3، 2006، ص 20.

[3] كمال السامرائي، مرجع سابق، ص348.

[4] القفطي جمال الدين أبي الحسن علي ابن يوسف أخبار العلماء بأخبار الحكماء تع: ابراهيم شمس الدين، دار العلمية ،لبنان، 2005، د ط، ص283.

[5] ابن النديم محمد بن إسحاق، الفهرست، تح: أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان، لندن، 2009م، ص354.

[6] شوكت الشطي، مختصر في تاريخ الطب وطبقات الأطباء العرب، مرجع سابق، ص45.

[7] ابن جلجل، مصدر سابق، ص87.

[8] حسن حسني عبدالوهاب، كتاب العمر في المصنفات و المؤلفين التونسيين ، مرا : محمد العروسي المطوي ، بشير البكوش دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 2005م، مج:2،قس.2 ، ص237-238

حكام الأغالبة زياد الله الثالث،لكنه لم يظل لفترة طويلة طبيبا له، فعلى إثر انهزام الأغالبة أمام عبد الله المهدي سنة 309هـ أصبح الطبيب الخاص للحاكم الفاطمي الأول.[1]

لقد كان الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي يتمتع بالاحترام والتقدير،فقد كان معاصروه من يهود افريقية يجلونه إجلالا عظيما،حتى أنهم أسندوا إليه رئاستهم الدينية،وقد ألف لهم الكثير من الكتب في تفسير تعاليمهم.. كما أجله أيضا الأفارقة المسلمين،إذ لم يكن دوره أقل من دور الطبيب إسحاق بن عمران فقد حمل راية الفكر الطبي بعده.

وكان طبيب ماهرا ومتقدما،وكان أيضا بصيرا بالمنطق متصرف في ضروب المعارف[2]،وهو أستاذ مصنف مشهور بالحذق والبراعة في الطب.[3]

لقد ألف الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي عدة كتب في الطب والحكمة والمنطق، وعن طريقها طوّرت صناعة الطب في المغرب والأندلس، وكان أعظم تراث قدمه اليهود للفكر والثقافة الإسلامية،حيث أسهم في تحقيق المعرفة الطبية على أسس علمية،كما أن عددا من طلبة الطب قد علمه،إما عن طريق مذاكرة كتبه أو عن طريق تلقي العلم عنه في بيت الحكمة الأغالبي استفادوا من الذي يبدو أنه استمر في أداء دوره لفترة زمن العبيديين والزيريين[4]،وتخرج على يديه واحد من أعظم أطباء الحضارة وهو ابن الجزار.[5]

3-1- مؤلفات الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي:

لقد ترك الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي مجموعة من الكتب الطبية القيمة أهمها:

1 - كتاب عن حياة أبو بكر الرازي: تناول هذا الكتاب حياة أبي بكر الرازي وأرائه في الطب والفلسفة أرسله الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي إلى ملك صقلية[6].

---

[1] Mohamed BERGAOUI , Médecine de Tunisie de cartthage a nos jours, 2010, page 38 -39.

[2] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، مصدر سابق، ص88.

[3] الذهبي شمس الدين شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام تحقق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 1996، ج 23، ص265.

[4] رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي ، دار المنار الاسلامي ،بيروت 2003 ،ص 501-502.

[5] راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في حضارة الاسلامية، مؤسسة اقرأ ، القاهرة ،2009م ، ص 257.

[6] عبد الحميد حمد، دور اليهود العرب في الحضارة الاسلامية التاريخ والتوجه 2006، د ط، ص 259.

2 - كتاب البول: ذكره ابن جلجل، وقال عنه أنه أشبع كتاب ألفه مؤلف، بذا فيه جميع المتقدمين[1]،وقال عنه فؤاد سيزكين " كتاب البول أو كتاب القارورة، أو كتاب معرفة البول وأقسامه،أو رسالة في العلامات التي تسفر عنها النظر في البول.[2]

3 - كتاب الحدة: أي الغضب،قدمه للخليفة عبد الله المهدي الفاطمي،حيث كان الطبيب إسحاق بن سليمان جليسا للخليفة يسمع إلى محاضراته وأرائه في الطب الروحي وفي الفلسفة والعلم الإلهي،وقد جمع هذه المقالات والمحاضرات في كتاب سماه "بستان الحكمة".[3]

4 - كتاب الأغذية والأدوية: وهو مخطوط بمكتبة فاتح بإسطنبول رقم : 3604/3607 وهو في أربع مجلدات أو أجزاء[4].

- الجزء الأول ذكر فيه طبائع الأغذية من الفواكه والبقوليات والحيوانات وتدبير للأغذية وترتيبها.
- الجزء الثاني ذكر فيه أنواع المخبوزات، كما أضاف بعض الباقوليات والفواكه.
- الجزء الثالث عن البطيخ والتفاح والخس وغيرها.

الجزء الرابع ذكر الحيوانات ولحومها وألبانها وأنواع الشراب.

5 - كتاب مدخل إلى صناعة الطب : هو كتاب النبض،كتاب الحكمة كتاب في الاسطقسات وهذا الكتاب هو أدوية تضم السموم التي تنفع في بعض الأمراض.

6 - كتاب الحميات: وهو كتاب لا نظير له فيه خمس مقالات.

7 - كتاب في الحكمة.

8 - كتاب في الاسطقسات[5]: وهو كتاب في الأدوية التي تضم السموم التي تنفع في بعض الأمراض.[6]

---

[1] ابن جلجل، مصدر سابق، ص 87.

[2] فؤاد سيزكين تاريخ التراث العربي، تر : محمود فهمي حجازي مرا عرفة مصطفى سعيد عبد الرحيم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، 1991، ج 3، ص471.

[3] عبد الحميد حمد، مرجع سابق، ص 259.

[4] اسحاق سليمان المعروف بالإسرائيلي، كتاب الأغذية والأدوية، تح: محمد الصباح، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان 1992، ط 1 ص 8.

[5] الاسطفسات هي العناصر الأربعة (النار، الهواء، الماء، التراب)

[6] ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العبس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يوسف السعدي الخزرجي ، 668هـ/1270م، كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح : نزار رضا ، ط1 ، دار مكتبة الحياة ،بيروت ، 1996م ، ص 480 .

وترك الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي مجموعة من الكتب الطبية القيمة،وقد ترجمت إلى العبرية بأمر من الخليفة عبيد الله المهدي.[1]

وقد عمّر الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي طويلا إلى أن قارب المائة سنة وتوفي في سنة 320هـ ، ويذكر لوكليرك : ولد إسحاق بن سليمان الإسرائيلي في مصر في منتصف القرن العاشر ميلادي وتوفي في عام 341هـ.[2]

مات الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي ولم يتخذ امرأة ولا اقتنى مالا وله تأليف جياد وقيل له ألا يسرك أن يكون لك ولدا،فقال أما لما صار لي كتاب الحميات أكثر فلا،ويعني أن بقاء ذكره بكتاب الحميات أكثر من ذكره بالولد.[3]

ويقول الذهبي: كان الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي يقول لي أربع كتب تحي ذكري وهي: كتاب الحميات وكتاب الأدوية والأغذية وكتاب البول وكتاب الاسطقسات.[4]

2-4- الطبيب دونش بن تميم أبو سهل 278هـ / 360هـ:

هو الطبيب أبو سهل دوناش بن تميم المولود بالقيروان سنة 278هـ الموافق لسنة 890م،ويسمى عند اليهود أدنيم الإسرائيلي ولد في أواخر القرن الثالث للهجرة الموافق للأواخر القرن التاسع عشر ميلادي،عاش بالقيروان بعد انتقال أسرته من العراق إلى القيروان بقصد التجارة وتعلم الطب عن الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي[5]،وتعلم العربية والعبرية وأجادهما، وقد خدم أبو سهل دوناش بن تميم أمراء بني عبيد قبل ارتحالهم إلى مصر،فخدم المنصور بالله،ثم ابنه المعز لدين الله.

ولم يرحل معه إلى مصر مما جعل بعض المؤرخين أن وفاته كانت قبل سنة 360هـ الموافق لسنة 971م[6]،وقيل في غير موضع أنه مات على دين الإسلام.[7]

---

[1] سميرة عميري، نورة بلهول الحياة الثقافية للدولة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي 196هـ / 362هـ، مذكرة تخرج لنيل درجة الماستر، إشر: ياسين بودريعة قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2015، ص60.

[2] Leclerc. Histoire de la médecine arabe, Larousse édition, Paris, 1876, T 1, p: 410 - 411.

[3] ابن جلجل، مصدر سابق، ص 87

[4] صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، مصدر سابق، ص 88.

[5] إبراهيم بن مراد بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1991، ص 94.

[6] حسن حسني عبد الوهاب ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ،ط2 ،مكتبة المنار ، تونس 1972 ، قس 1،3، ص 297.

[7] عطا أبو ريا، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، إتراك للنشر والتوزيع، القاهرة 2005 ، ص 227 .

1-4- مؤلفات الطبيب دونش بن تميم أبو سهل

ألف الطبيب أبو سهل دوناش بن تميم مجموعة من الكتب نذكر منها:

1- كتاب التلخيص في الأدوية المفردة:[1] وفي نهاية هذا الكتاب أفرد دوناش بيان للأوزان والمكاييل المستعملة في صناعة الطب.

2 - كتاب في الحساب.

3 - كتاب في الفلك: أهداه للخليفة الفاطمي المنصور.[2]

4 - كتاب المستحلق.

5 - وسلسلة رسائل كرسالة التقريب والتسهيل، ورسالة التنبيه، ورسالة الأصول.

2-5- الطبيب موسى بن العزار توفي بعد 363هـ/973م:

هو الطبيب موسى بن العزار وقيل العازر المكني بأبي إبراهيم يهودي النحلة،دخل بلاد المغرب عن طريق أسره من طرف العبيديين في إحدى غزواتهم سنة 313هـ/ 925م[3]،حيث كان ضمن أسرى القائد جعفر بن عبيد في حملته على إيطاليا،وأطلق سراحه في القيروان ورحبت به الطائفة اليهودية.

اشتهر الطبيب موسى بن العزار بالتقدم والحذق في صناعة الطب[4]،كما كان يحظى بمكانة جيدة عند الأمير المعز لدين الله فقد كان الطبيب الخاص به،وانتقل معه إلى مصر[5]، حيث أنه كان لا يفارقه في إقامته وترحاله،ولعل ذلك يرجع ثقة الأمير المعز لدين الله به وبسداد رأيه وعلمه كطبيب وصيدلي في تركيب الدواء وتحضيره.

تتلمذ على يد الطبيب موسى عدة أطباء خاصة أبنائه سواء في المغرب أو في مصر وهم: عون الله بن موسى وهو أكبر أبنائه اعتنق الإسلام واشتغل بالطب في حياة أبيه في القيروان،وكان جليل القدر عند الأمراء خاصة الأمير المعز لدين الله وجعل بعده أخيه إسماعيل بن موسى وبعده يعقوب بن إسحاق،توفي الطبيب موسى بن العزار سنة 363هـ/ 973م بعد انتقال العبيديين إلى مصر[6].

1-5- مؤلفاته الطبيب موسى بن العزار

- كتاب المعزي في الطبيخ ألفه للمعز لدين الله الفاطمي.

---

[1] محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية ،دار المنار ، القاهرة ، 1988 ، ص 403.

[2] حسن حسني عبدالوهاب ورقات مرجع سابق، قسم 1، ص 297.

[3] حسن حسني عبد الوهاب ورقات مرجع سابق، قسم 1، ص 301.

[4] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، مرجع نفسه، قسم 1، ص301.

[5] محمد محمد زيتون، مرجع سابق، ص 397.

[6] ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص 545.

- مقالة في السعال.
- جواب عن مسألة سأله عنها أحد الباحثين عن حقائق العلوم للراغبين في جني ثمارها.
- كتاب الأقراباذين.[1]

2-6- زيادة بن خلفون مولى بني الأغلب ت 308هـ/920م

الطبيب زيادة بن خلفون من إحدى العائلات اليهودية بشمال افريقية كما وردت في وثائق الجنيزة إسهاماته في الطب حيث أقام في القيروان وعالج السلاطين والأمراء والأعيان،كما كان من عاداته زيارة مرضى الدمنة، في أيام معينة،حيث انتشرت بافريقية المنات لعلاج المصابين بالأمراض المعدية والتي يطول علاجها ويخشى منها سرب العدوى للسكان مثل الجذام وكان القاضي يعين الأطباء في هذه الدمنة،وكان من أطباء الدمنة أهل الذمة[2]،وكان زياد بن خلفون زميلا لإسحاق بن سليمان في خدمة زيادة الله الثالث والمهدي عبيدة الله ن وكان أثيرا عنده طيلة عشر سنوات[3] فيكون الأطباء اللذين عاصروا الدولتين الأغلبية والفاطمية،وتلقى علومه الطبية في بيت الحكمة بذلك من على يدي إسحاق بن عمران وكان عالما بالطب حسن الذهن فيه[4]، ثم انتقل بالسكن إلى مدينة رقادة لما أحدثها إبراهيم الثاني ليكون قريبا من حاشية الأمير[5]،وقد قتله بعض حساده بالقيروان وذلك سنة 308هـ/921م، ولم تذكر له أية مصادر.

2-7- قسطنطين الأفريقي 1015م/1087م:

قسطنطين الأفريقي ولد بافريقية سنة 1015م[6]، ويعني اسم قسطنطين اسم علم مسيحي،أما الإفريقي نسبة إلى مسقط رأسه ،افريقية، وهو طبيب إفريقي مشهور أنجبته البلاد في العصر الزيري وكان يعمل بالتجارة[7]،وكان في بداية أمره مسلما إلى أن سافر إلى إيطاليا ليدرس في مدرسة "سالرنو".[8]

---

[1] ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص 545.

[2] عطا ابو ريا ، المرجع السابق ، ص 227

[3] رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، لبنان، ص250

[4] ابن ،عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الاندلس و المغرب ،تح، مرا: ليفي بروفنسال ، ط3 :، ج1، 1983م، ص 183.

[5] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات مرجع سابق، قس1، ص241.

[6] أحمد بن ميلاد، مرجع سابق، ص83.

[7] يوسف بن أحمد حوالة، مرجع سابق، ص 363.

[8] تقع جنوب مدينة نابولي بايطاليا وكسبت شهرتها من العلماء العرب الذين عملوا بها مثلقسطنطين الأفريقي، ينظر تخسين أحمد جهاد المرجع السابق، ص 133 - 134.

وكان قد حمل معه عددا كبيرا من الكتب الطبية القيروانية التي أضاع عددا منها في البحر،وقام بترجمة العدد الباقي منها إلى اللغة اللاتينية ونسبها لنفسه،ثم قام باعتناق الدين المسيحي فيما بعد،وتوفي بدير " كسينو" سنة 1087م عن عمر يناهز 80 سنة.[1]

وساعد قسطنطين الإفريقي في ترجمته لهاته الكتب من العربية إلى اللاتينية رجلان أوله تلميذه الفتى العربي يحي بن علقم والثاني تلميذه آتو (Atto)[2].

7-1- مؤلفات الطبيب قسطنطين الأفريقي:

قد ترك قسطنطين الأفريقي مجموعة من الكتب القيمة التي تقدر ب 22 كتابا في مختلف الفروع الطبية، ومعظمها مؤلفات لأطباء القيروان نقلها وانتحلها لنفسه، نذكر منها:

1- كتاب البول وتحليله والأعضاء الداخلية في جسم الإنسان.

2 كتاب العيون.

3 كتاب الماليخوليا .

4- كتاب الجراحة.

5- كتاب المعدة.

6- كتاب الحمة للمرضى.

7- كتاب جسم المرأة وأعضائها.

8- كتاب النبض.

9- كتاب النبات الطبي.

10- كتاب الحيوان.

11- كتاب قانون الطب.[3]

بالإضافة إلى جملة الكتب والمؤلفات للمدرسة القيروانية الطبية مثل كتب الطبيب إسحاق بن من عمران والطبيب إسحاق ابن سليمان الإسرائيلي،وكتب ابن الجزار القيرواني التي نسبها لنفسه ونال بها شهرة كبيرة في العالم المسيحي.

[1] أحمد بن ميلاد، مرجع سابق، ص 83.

[2] زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب تر فاروق بيضون وكمال الدسوقي: مر : فاروق عيسى الخوري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط10 ، 2002م، ص 299.

[3] أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ط ع مكتبة الاستقامة، تونس، دس، ص 255.

وبذلك يعتبر الطب في القيروان من أبرز العلوم التي تفوقوا فيها،وبرز عدة أطباء وبرعوا في عدة تخصصات،وألفوا العديد من المؤلفات الطبية التي ساعدت في تطور الطب في العالم الإسلامي،والعالم المسيحي، وبذلك ساهموا إسهامات جليلة في خدمة التراث.

خاتمة :

نستنتج مما تم طرحه في هذه المداخلة عدة نقاط مهمة تم استخلاصها من خلال تتبع مسار تطور العلوم الطبية التي جاء بها أهل الذمة الى مدينة القيروان منذ تأسيها على يد القائد عقبة بن نافع الفهري، حيث أضحت بمثابة منارة للعلم و حاضرة للإشعاع الفكري و العلمي على المشرق و المغرب الإسلامي و حتى الغرب المسيحي، ونذكرها كمايلي :

ظهور الطب بالقيروان في عصر الولاة المهالبة بدخول الطبيب البغدادي بوحنا بن مساوية،وتطور الطب زمن الأغالبة،حيث كان له ثمانية عشرة مؤلفا طبيا نبع منها المسلمون فيما بعد.

جل المؤلفين في المجال الطبي الذين نزحوا الى القيروان ارتحلوا من العراق خلال العهد العباسي كيوحنا ماسويه الذي ارتحل إلى بغداد في القرن الثالث هجري وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي قدم إلى القيروان رفقة رسول زياد الله الثالث إلى بغداد ثم هاجر إلى القيروان وكانت لديه ثمانية مؤلفات تخص الطب،وكذا الطبيب دونش بن تميم أبوسهل الذي ولد بالقيروان بعد أن انتقلت أسرته من العراق إلى القيروان بغرض التجارة.

معظم الأطباء القيروان جمعوا بين علم الطب و علوم أخرى فكانوا علماء موسوعيين،ألفوا في عدة مجالات أمثال إسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي ألف في الطب وفي معتقدات الدين اليهودي .

قائمة المصادرو المراجع

1- باللغة العربية:

-ابن أبي أصيبعة، موفق الدين ابي العبس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يوسف السعدي الخزرجي ، 668هـ/1270م، كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح : نزار رضا ، ط1 ، دار مكتبة الحياة ،بيروت ، 1996م .

-ابن النديم محمد بن إسحاق، الفهرست، تح: أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان، لندن، 2009م.

-ابن جلجل أبو داوود سليمان بن حسان طبقات الأطباء والحكماء تحقيق فؤاد ،سيد مطبعة المعهد العلمي العربي، القاهرة، .1955

-ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار الاندلس و المغرب،تح، مرا: ليفي بروفنسال،ط3 :،ج1، 1983م.

-أبو العرب بن تميم محمد بن أحمد القيرواني، طبقات علماء افريقيا،تح : محمد بن شنب،دار الكتاب اللبناني،بيروت.
- أبو ريا عطا ،اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة 2005.
- ابن مراد ابراهيم ، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1991.
- اسحاق سليمان المعروف بالإسرائيلي، كتاب الأغذية والأدوية، تح: محمد الصباح، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان 1992، ط 1 .
- التليسي رمضان،الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي،دار المنار الاسلامي،بيروت 2003 .
- الثعالبي عبد العزيز ،تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية الدولة الاغلبية ، تح : أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، تق و مرا حمادي الساحلي ن، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1990م.
- الحمد عبد الحميد، دور اليهود العرب في الحضارة الاسلامية التاريخ والتوجه 2006.
- الذهبي شمس الدين شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام تحقق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 1996، ج 20.
- السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في حضارة الاسلامية، مؤسسة اقرأ ، القاهرة ،2009م .
- توفيق أحمد المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، دار النشر الفرجاني،1996 .
- حسني حسن عبدالوهاب،كتاب العمر في المصنفات و المؤلفين التونسيين،مرا: محمد العروسي المطوي ،بشير البكوش دار الغرب الإسلامي،بيروت، 2005م، مج:2،قس.2 .
- دبوز محمد علي ،تاريخ المغرب الكبير ، ج3 ، دار اجياء المتب العربية ، سوريا ، 1963 .
-صاعد الأندلسي أبي القاسم ضياء الدين أحمد طبقات الأمم، نشرة طويسي شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912.
-سيزكين فؤاد، تاريخ التراث العربي، تر : محمود فهمي حجازي مرا عرفة مصطفى سعيد عبد الرحيم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية،الرياض، 199،ج 3 .
شوكت الشطي، مختصر تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب، مطبعة جامعة دمشق، 1959.
القفطي جمال الدين أبي الحسن علي ابن يوسف،أخبار العلماء بأخبار الحكماء تع: ابراهيم شمس الدين، دار العلمية،لبنان، 2005.
-عبد الرزاق السامرائي،من أعلام الطب في سمراء ابن ماسوية (243هـ/875م)واضع أسس الطب العربي ورائد علم التشريح ،كلية التربية،سامراء ،جامعة تكريت،المجلد 2،العدد 3، 2006 .
عكاوي رحاب خضر، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، لبنان.

- عليلي محمد، الاشعاع الفكري في العهد الاغلبي و الرستمي خلال الفرن 3/2 هـ، رسالة ماجيستر في تاريخ المغرب الوسيط، تلمسان.
- عبد الرزاق أحمد وادي السامرائي، ثلاث رسائل في الطب العربي الاسلامي (الرازي، ابن ماسوية ،ابن عازرون)، بغداد 2001 .
- فطيمة مطهري ، المظاهر الحضارية في القيروان وتهرت ابان القرنين الثاني و الثالث الهجريين ، رسالة دكتوراه ، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي،جامعة ابي بكر بلقليد تلمسان، 2015-2016
- محمد طالبي ، تأسيس القيروان و تمصيرها ، مجلة الحياة الثقافية العدد2 ، نوفمبر 1977 .
- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية ،دار المنار ، القاهرة، 1988.
- محمود حاج قاسم محمد ، ثلاث رسائل في الطب العربي الاسلامي، الرازي، ابن ماسويه ابن عازرون بغداد، 2001.
-زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب تر فاروق بيضون وكمال الدسوقي: مر : فاروق عيسى الخوري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط10، 2002م.

2 – باللغة الاجنبية:

-Leclerc. Histoire de la médecine arabe, Larousse édition, Paris, 1876, T 1.
-Mohamed BERGAOUI , Médecine de Tunisie de cartthage a nos jours, 2010

مساهمات يهود الغرب الإسلامي في العلوم الطبية
Contributions of Islamic West Jews in Medical sciences

د. عبد الصمد حمزة، جامعة المدية (الجزائر)
Hamza.abdo1978@gmail.com

الملخص:

تعتبر مهنة الطب من المهن النبيلة التي لم يخل منها عصر من العصور في العالم الإسلامي كله، ولئن نبغ كثير من الأطباء العرب والمسلمين في هذا العلم وجاوزت شهرتهم حدود بلدانهم حتى أضحوا أساتذة العالم كله على غرار ابن سينا وابن رشد وغيرهم، فقد ظهر كذلك يهود طرقوا أبواب هذا العلم واشتهروا بمهنة الطب وبرعوا فيها وبحثوا عن مسببات الأمراض، ومظاهرها، وحاولوا إيجاد طرق العلاج ونجحوا فيها، وعالجوا المسلمين إلى جانب أبناء ملتهم، حتى أنهم ألفوا الكتب الطبية الشهيرة، وفي هذه الورقة البحثية سنحاول التعرف على أهم الأطباء اليهود المشتهرين في بلاد الغرب الإسلامي أي كلا من بلاد الأندلس والمغرب الإسلامي، وأعمالهم التي استطاعوا من خلالها تخليد أسمائهم في قائمة العلماء بالغرب الإسلامي، ولم يمنع هؤلاء دينهم من التعامل مع المسلمين وتطبيبهم.

الكلمات المفتاحية: الطب، التداوي، اليهود، المغرب الإسلامي، الأندلس.

Abstract :

The medical profession is considered one of the noble professions that have not been without an era of ages in the entire Islamic world, and if many Arab and Muslim doctors excelled in this science and their fame exceeded the borders of their countries until they became professors of the whole world in the manner of Ibn Sina, Ibn Rushd and others, Jews also appeared who knocked The doors of this science and they became famous for the medical profession and excelled in it , so that they wrote famous medical books, and in this research paper we will try to identify the most famous Jewish doctors in the countries of the Islamic west (Andalusia and Islamic Maghreb), and their works through which they were able to immortalize their names in the list of scholars in the Islamic west, and their religion did not prevent them from dealing with Muslims and treating them.

Key words : Medicine, medication, Jews, Islamic Maghreb, Andalusia.

1-مقدمة:

عرف الغرب الإسلامي بعد الفتح أعراقا وأجناسا مختلفة منها العرب والبربر والأفارقة في المغرب الإسلامي وأهل الذمة من اليهود والنصارى، والمعروف في التاريخ الإسلامي أن كثيرا من النصارى الذين يبقون على دينهم لم يساكنوا المسلمين في بلادهم بسبب ما يمليهم عليهم أساقفتهم ورهبانهم من عدم جواز مجاورة المسلمين خوف التأثر بهم، إلا أن اليهود قلما يهاجرون من بلدانهم التي نشأوا فيها مهما تغيرت ديانة السلطة الحاكمة لهم لأن الكثير منهم يلتزمون بالانعزال-خاصة من الناحية الدينية- في أحياء خاصة بهم أطلق عليها تسميات كثيرة منها الملاح أو الحارة أو الدرب...لكن هؤلاء لم يمنعهم انعزالهم هذا من تعلم العلوم وإتقان معارف متعددة، فنبغوا في النحو والأدب العبري أو العربي والطب والفلسفة والمنطق والفلك، وأثرى العديد منهم جوانب المعرفة المختلفة بما عرفوه وعلموه وألفوا فيه الكتب التي أضحت من المراجع المعتمدة في العالم أجمع، وسنحاول في هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على مساهمات اليهود في العلوم الطبية ببلاد الغرب الإسلامي، وما استطاعوا تقديمه للمرضى وأصحاب الأدواء وكذا مؤلفاتهم التي فاقوا فيها كثيرا من أقرانهم في العصر الوسيط.

وسنقسم هنا بحثنا إلى جزئين ما تعلق بالأطباء في الأندلس أولا ثم نعرج على الأطباء اليهود في المغرب الإسلامي.

2-الأطباء اليهود في الأندلس:

ارتقى الأطباء اليهود في الأندلس مرتبة رفيعة بين أطباء العالم لأنهم نهلوا مبادئ هذا العلم من الأطباء المسلمين الذين أظهروا تفوقا باهرا في هذا المجال وفاقوا أقرانهم في العالم، فظهر يهود اهتموا بالطب وألفوا فيه الكتب وعرفوا الأمراض وأسبابها، وكشفوا عن الأدوية وتأثيرها، وسنذكر هنا أهم الأطباء اليهود الأندلسيين.

2-1-يحي بن إسحاق:

من أوائل اليهود الذين أتقنوا الطب وامتهنوه، وقد عمل عند عبد الرحمن الناصر الذي استوزره وأعطى له قيادة مدينة بطليوس، وألّف في الطب كتابا يشتمل على خمسة أسفار ذهب فيه مذهب الروم، وكان قد أسلم، ومن أخباره أن رجلا جاءه به مرض في إحليله منعه البول حتى أشرف على الهلاك، فكشف عنه وعالجه على الفور، وبيّن له سبب هذا الورم بحدس الحكيم فأقر المريض بذلك، وشكر له هذا

الصنيع. وكذا صنع مع الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي ألّم به وجع في أذنه فعالجه بدم الحمار فبرئ من علته[1] ، وعند أبي جلجل يروي أنه دم الحمام وليس دم الحمار[2].

2-2-حسداي بن إسحاق:

كان من أحبار اليهود وعلمائهم، معتنيا بصناعة الطب، وخدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر، وهو الذي علم أهل الأندلس حساب التواريخ ومواقيت الأعياد وكانوا قبل ذلك يبعثون إلى يهود بغداد ليبعثوا لهم بحساب التواريخ وبدء السنين والأعياد.[3]

2-3-إسحاق بن قسطار:

خدم "الموفقَ مجاهد العامري"[4]، وابنه إقبال الدولة الذين كانت دولتهما بمدينة"دانية" بالأندلس، وكان إسحاق بصيرا بأصول الطب مشاركا في علم المنطق، مشرفا على آراء الفلاسفة، وكان وافر العقل، جميل الأخلاق، وله تقدم في علم العبرانية، بارعا في فقه اليهود، حبرا من أحبارهم، ولم يتخذ امرأة قط، وتوفي بطليطلة سنة 448هـ وله من العمر 75 سنة[5].

2-4-ابن بكلارش:

وهو من أكابر العلماء في صناعة الطب، وله خبرة واعتناء بالغ بالأدوية المفردة، وقد خدم متطببا عند بني هود بسرقسطة، وألف للمستعين بالله أبي جعفر بن أحمد المؤتمن بالله بن هود كتاب "المجدولة" في الأدوية المفردة[6].

2-5-أبو الفضل بن حسداي:

---

[1] أبو العباس أحمد ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص 488-489.

[2] أبو داود سليمان بن حسان ابن جلجل الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ص 101.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 498.

[4] فتى رومي الأصل، وقد رباه المنصور بن أبي عامر فنسب إليه، وهو مؤسس الدولة العامرية في دانية وميورقة وأطرافهما وقد استقل بها سنة 412هـ، وتلقب بالموفق بالله، توفي سنة 436هـ ، انظر خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، مايو 2002م، ص 278.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 498.

[6] نفسه، ص 501.

وهو من ساكني مدينة سرقسطة، ومن بيت شرف اليهود بالأندلس، عني بالعلوم فاشتهر بعلوم اللغة العربية وفي الهندسة والحساب، وعلم الفلك، والموسيقى، والمنطق، واشتهر كذلك بصناعة الطب، يروى أن ذي الوزارتين أبو عامر بن الفرنج أرسل إليه أبياتا من الشعر يطلب منه دواء يدعى "الدياخيلون"، فردّ عليه أبو الفضل بأبيات شعرية فيها[1].

يا آخذا باليمين في المجد شتى الفنون
سلم العلمي في الطب والقراباذين
لا ينبغي أن يداوى الخراج بالتليين
حتى يقوم ردع الأخلاط بالتسكين
وقد بعثت شرابا يعزى إلى الزرجون
يغني إذا ذقته عن شراب الأفسنتين

2-6-أبراهام بن الثرثار:

كان طبيبا في قصر محمد الخامس النصري[2] ، وأثارت شهرته حسد الطبيب الغرناطي محمد اللحمي الشقوري المتوفى بعد سنة 749هـ[3] ، فوضع كتابا بعنوان "قمع اليهود عن تعدي الحدود"، وعند خلع محمد الخامس وانتقاله إلى المغرب سنة 760هـ، لجأ ابن الثرثار إلى قشتالة، ومن هناك انتقل إلى المغرب، واتصل بسلطانه المخلوع، ثم عاد معه إلى غرناطة[4].

2-7-موسى بن ميمون:

وهو أشهرُ عالمٍ يهوديّ كتب في الطب، واشتهر به، وقد تأثر بأطباء المسلمين وتعلَّم الطب على أيديهم في الأندلس والمغرب[5] ، يقول عنه القفطي: "قرأ علم الأوائل بالأندلس، وأحكم الرياضيات وأخذ

---

[1] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق3، م1، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1399هـ/1979م، ص 487.

[2] ثامن أمراء بني الأحمر في غرناطة، تولى مرتين(755-760هـ ثم 762-794هـ) لُقب بالغني بالله، وهو الذي قرب إليه لسان الدين ابن الخطيب واستصفاه لنفسه وقدمه على سائر أهل الأندلس، انظر الزركلي، المصدر السابق، ج6، ص 153.

[3] طبيب أندلسي، أحرز شهرة واسعة، وتلقى تعليمه ببيمارستان القاهرة فقربه السلطان الغرناطي أبو الحجاج يوسف الأول، انظر الزركلي، المصدر السابق، ج 6، ص 285.

[4] لسان الدين محمد بن عبد الله ابن الخطيب التلمساني، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 1393هـ/1973م، ص 42-53.

[5] إسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط2، القاهرة، 1355هـ-1936م، ص 142.

أشياء من المنطقيات، وقرأ هناك الطب فأجاده"، ومارسه في مصر، ووضع فيه مؤلفاته الطبيعية التي بلغت عشراً، بين مقالةٍ ورسالةٍ دُوِّنت جميعها بالعربية، منها اختصار الكتب الستة عشر للطبيب الإغريقي "جالينوس"، والذي يسمى كتاب "المختصر"، الذي تحدَّث عنه القفطي بقوله: "وصنف مختصراً لواحد وعشرين كتاباً من كتب جالينوس، فجاء في غاية الاختصار"[1] ، ومقالة في البواسير وعلاجها، وأخرى في السموم والتحرز من الأدوية القَتَّالة[2].

وأشهر كتبه الطبية هو كتاب "فصول موسى" والذي ضمنه 1500 قانونا طبيا، استخلصها من مصادر كتب الأطباء الإغريق، كما يذكر فيها بعضا من أطباء المسلمين أمثال ابن زهر، والجدير بالذكر أن في هذا الكتاب تعاليق ونقد ابن ميمون لبعض القوانين الطبية، وقد ترجمت كثير من كتبه إلى العربية واللاتينية[3] .

وقد قال عنه جاك ريسلر:" يعد من أعظم الأدمغة بين أطباء وفلاسفة كل المرحلة الإسلامية في الأندلس."[4].

هؤلاء هم أشهر الأطباء والمفكرين في العلوم الطبية ببلاد الأندلس، فمن هم أشهر علماء الطب ببلاد المغرب الإسلامي في فترة العصر الوسيط؟

3-في بلاد المغرب الإسلامي:

نبغ بعض الذميين في مهنة الطب والتطبيب ببلاد المغرب الإسلامي مثلما كان عليه الحال في بلاد الأندلس، وازدهرت على أيديهم العلوم الطبية، ولا سيما بين أولئك المهجرين من بلاد الأندلس، وقد كان أغلبهم يمتهن الطب والفلسفة في آن واحد، بالإضافة إلى تبحرهم في العلوم الدينية، وقد اهتمَّ اليهود بتعلم الطب، وعَدُّوهُ وسيلةً للكسبِ والحصول على مناصب رفيعة لدى الحكام[5] ؛ وقد تعلم معظم الأطباء اليهود الأندلسيين في المعاهد الإسلامية، على أيدي الأطباء المسلمين الذين تفَوقوا في هذا المجال، وأكثروا فيه التأليف. يظهر ذلك من خلال قائمة تراجم الأطباء الأندلسيين التي أوردها ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء"،

[1] القفطي جمال الدين ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت، د.ت، ص 329.

[2] ولفنسون، المرجع السابق، ص 150.

[3] المرجع نفسه، ص 143.

[4] جاك ريسلر، الحضارة العربية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، بيروت-باريس، 1993م، ص 208.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 488-500.

امتهن اليهود الطب في بلاد المغرب، ولم يجد المسلمون حرجا في تعلم هذه المهنة منهم، لما تمتع به أصحاب هذه المهنة من تقدير وتكريم الحكام، علاوة على أنهم مثلوا الطبقة المثقفة في المدن، ومن أوائل المشتغلين بهذه المهنة نجد:

على عهد الدويلات المستقلة التي سيطرت على بلاد المغرب الإسلامي من منتصف القرن الثاني للهجرة إلى نهاية القرن الثالث للهجرة لم تذكر المصادر التاريخية حضورا بيّنا لليهود في عالم الطب، عدا طبيب واحد اشتغل بالبلاط الأغلبي في أواخر عهد سيطرة الأغالبة على المغرب الأدنى، ثم انتقل إلى خدمة الفاطميين لذا سنذكره مباشرة عند تطرقنا للعهد الفاطمي.

3-1-العهد الفاطمي:

3-1-1-الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي: (236-339هـ/850-950م)

وتتلمذ على يد الطبيب إسحاق بن عمران، وعمل في بلاط الأمير زيادة الله الأغلبي (291-296هـ/903-908م) أخريات عصر الأغالبة، وفي بلاط عبيد الله المهدي (هو أول أمراء الدولة الفاطمية ذات المذهب الإسماعيلي الشيعي، والذي استطاع أن يسقط الدويلات المستقلة التي حكمت بلاد المغرب الإسلامي أكثر من قرن من الزمن(الأغالبة، الرستميين، المدراريين، الأدارسة)، حكم بين(298-323هـ/ 910-934م)) الذي أقام الخلافة الفاطمية بالمغرب الأدنى على أنقاض دولة الأغالبة، وعاش هذا الطبيب مائة عام، وألف العديد من الكتب الطبية، وقد قال فيه ابن جلجل الطبيب المشهور:" كان طبيبا لسنا عالما بتقاسيم الكلام، له تواليف لم يسبقه أحد إلى مثل بعضها"، ومن أشهرها : كتاب البول ، وكتاب الأسطقسات، وكتاب الحميات، وكتاب الأغذية والأدوية المفردة، وكتاب الحدود والرسوم، ، كتاب في الترياق ، كتاب في المدخل إلى صناعة الطب وغيرها ، وفي كتاب الحميات يبين فيه كيفية الوقاية منها والأغذية المسموح بتناولها حال الإصابة بها، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرن السادس عشر، ودُرّس بجامعات أوربية تحت عنوان Cpera Omnia Isaci Judeai ، كما كان إسحاق بن سليمان عارفا بالمنطق والفلسفة[1] ، وقد قيل أنه لم يتزوج ولم يخلف ولدا، ولما سئل "أيسُرك أن لك ولدا؟" فقال:"أما إذا صار لي كتاب الحميات فلا"[2].

[1] بشير عبد الرحمان ، اليهود في المغرب العربي(22-462هـ)، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2001م، ص 151

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 480.

وقد ترجم جيرارد الكريموني (ت 583هـ) بعضا من كتب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي في الطب إلى اللغة اللاتينية منها كتاب "الأسطقسات" وكتاب الأغذية والأدوية المفردة" وكتاب "الحدود والرسوم"[1].

3-1-2-أبو سهل دونش/أونيم بن تميم الإسرائيلي المدعو: **الشفلجي** (ت:360هـ):

وهو من تلاميذ إسحاق بن سليمان وعمل لفترة في بلاط إسماعيل المنصور ثم ابنه المعز لدين الله الفاطمي قبل انتقاله لمصر، وأجاد اللغة العربية، وألف في المنطق والفلك، وله مجموعة من الكتب أشهرها : كتاب التلخيص في الأدوية المفردة، وقد احتوى على بيان في المكاييل الطبية التي كانت مستعملة آنذاك وسلسلة رسائل كرسالة المستلحق ، ورسالة التغريب والتسهيل ، ورسالة التنبيه، وله كتاب في النحو العبري[2].

3-1-3-أسرة اليعازار(أو العزار):

عرف العهد الفاطمي نبوغ أسرة **العزار** التي اشتغلت بالطب في عهدهم ، وهي أسرة يهودية عاشت بإفريقية آنذاك، وأول رجال هذه الأسرة الطبية هو: **موسى بن العزار** المكنى بأبي إبراهيم (ت: بعد 363هـ بمصر) ، خدم المنصور الفاطمي ، واشتهر أكثر عند خدمته للمعز حيث صاحبه إلى مصر، وركب له شراب التمر هندي، وبالغ في فوائده الكثيرة[3]، كما ركبّ شراب الأصول المنقح للسدد والمحلل للرياح الشراسيفيه والأمغاص العارضة للنساء في فترة الحيض وقد ألف عدة كتب طبية منها: كتاب المعزى ، كتاب السعال ، كتاب الأقرباذين أي الصيدلة[4].

ومن أفراد هذه العائلة الطبية التي خدمت المعز الفاطمي **عون الله بن موسى بن العزار** وهو أكبر أبناء الطبيب موسى –الذي اعتنق الإسلام (ت: بعد 363هـ بمصر- بعد والده بفترة قصيرة-)، ومنهم شقيقه **إسحاق بن موسى** (ت: بعد 363هـ بمصر-بعد أخيه عون الله بيوم واحد-)، **وإسماعيل بن موسى** ، و**يعقوب ابن إسحاق بن موسى**، إلا أن الطبيبين الأخيرين كانت شهرتهما في القاهرة.

3-1- 4-أبراهام بن عطا:

---

[1] سويسي محمد، انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب، بحث نشرته المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، دت، ص 6-7.

[2] André Chouraqui, La saga des Juifs en Afrique du nord, Librairie Hachette, Paris, 1972, p81.

[3] بشير، المرجع السابق، ص 151.

[4] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، منشورات مكتبة المنار، تونس، ق1، 1972م، ص 301-303.

والذي خدم الأمراء الزيريين، إذ عمل عند باديس من المنصور، وابنه المعز، وكان يرافق الجيوش في حروبها.[1]

3-2-في العهد الزياني والمريني:

3-2-1-إفرايم أنقاوة:

وهو الطبيب الشهير والحبر بمدينة تلمسان وقد زاول بها مهنة الطب بعد تهجيره من الأندلس سنة 1392م، وقد تمكن من إيجاد دواء لابنة السلطان الزياني آنذاك وهو أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى الثاني الملقب بالعاقل الذي حكم بين (834-866هـ/1428-1462م)، وهذا بعد أن عجز الأطباء عن إيجاد دواء شاف لها، فكافأه السلطان بالسماح لليهود بسكنى مدينة تلمسان بجوار قصره بعد أن كان لا يسمح لهم بالدخول إليها[2] .

3-2-2-موشي بن صمويل بن يهودا الإسرائيلي:

المالقي الأندلسي اليهودي المتطبب المعروف بابن الأشقر، يعد من أشهر الأطباء وأمهرهم قدوة وحذقا في ميدان الطب، ولد بمالقة قبل سنة 820هـ/1418م، أخذ هذا العلم عن أبيه واشتهر بهذه الصنعة في الأندلس انتقل إلى تلمسان وحط رحاله بها، حيث زاول مهنة الطب وتدريسه للطلاب المهتمين به فلازمه كثير منهم وتوافدوا عليه من حواضر وأقطار مختلفة طلبا لهذا العلم مثل الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الذي زار المدينة حوالي سنة 867هـ/1462م، وقال عنه:"أنه لم يعرف ذميا أمهر ولا أقدر في صنعته منه" [3]، وصار فيما بعد الطبيب الخاص للبلاط الزياني والمقرب من أمرائه، وقد تعلم عبد الباسط على يدي هذا الطبيب اليهودي نبذة نافعة من الطب-كما قال-، وأجازه في ذلك. وقد أخذ ابن الأشقر شهرة كبيرة في مدينة تلمسان وذاع صيته خارجها، وانتهت إليه رئاسة الطب، حتى صار الطبيب الخاص والمقرب للبلاط الزياني[4].

ويذكر ابن مرزوق في مسنده عن طبيب ماهر في تلمسان فيقول :"ولما استولى مولانا على تلمسان-ويقصد أبا الحسن المريني- جرى ذكر يهودي كان بها مشتهرا بالمهارة في الطب، وكان عجبا في نوعه ونحن

---

[1] بشير، المرجع السابق، ص 151.

[2] Allouche, Joëlle-Benayoun et Doris Bensimon, Les Juifs d'Algérie, hier et aujourd'hui, Mémoire et identité, Bibliothèque historique Privat, Toulouse, France, 1989, p 134-135.

[3] التدمري عمر عبد السلام ، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم (866-871هـ/1462-1467م)"، ضمن كتاب من مظاهر التضامن المغاربي عبر التاريخ، إعداد عبد الكريم كريم، 1424هـ/2003م، ص 192. و Robert Brunschvig , Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord, Paris 1936, p 107.

[4] فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2007م، ص 249.

بفاس، وكان قد عرض لمولانا في باطن كوعه الأيمن وجع بسبب بلغم تحجر فيه، فعاناه جهده، فقال قائل:"نبعث عن اليهودي المذكور" فلم يعرج عليه، فلما وصلنا إلى تلمسان جرى ذكره، فقال لي :"وجه عنه" فجاء، فسئل عن الشكية، فاستفسر عن السبب وعما عولجت به الشكية، ثم تحدث فيها فبالغ في الإجادة وشرح السبب والعلامات وذكر العلاج، فأطنب الحاضرون في استحسانه"[1].

لكن السلطان المريني لم يقبل منه العلاج إلا أن يسلم فيجعله مقربا منه وطبيبا وأمينا، لكن هذا اليهودي لم يقبل رغم محاولات ابن مرزوق واجتهاده في ذلك، ويذكر أنه قد صنع للسلطان مرهما ووصف له علاجا لدائه، لكنه لم يقبل منه ولم يعمل به[2].

وكان **إبراهيم بن زميرو** –الشاعر- طبيبا كذلك[3] .

3-2-3-أطباء عائلة "غابيسون Gabison":

ومن الأطباء الذين اشتهروا كذلك نجد عائلة "غابيسونGabison"، الإشبيلية الأصل التي هاجرت إلى الجزائر سنة 1492م، وكان "أبراهام غابيسونAbraham Gabison" من بين أشهرهم وامتهن الطب ونبغ فيه مما جعله يشتهر في مدينة تلمسان، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر بعد زوال الدولة الزيانية، اشتغل هنالك طبيبا للباشا العثماني أحمد أعراب (1571-1574م)، وعاد إلى مدينة تلمسان سنة 1579م لمعالجة المرضى الذين عصف بهم الطاعون، والذي أودى بحياة أرواح الكثيرين في مدينة بني عبد الوادي، ويبدو أنه مات متأثرا بالوباء عن عمر ناهز 59 سنة[4].

3-2-4-شمعون بن سماح دوران "راشباس":

وهو الربي المشهور وكان طبيبا في بداية حياته العملية في مدينة "بالما" بجزيرة ميورقة، وكان يأمل أن يعيش من خلالها حياة رغيدة، لكنه عند هجرته إلى الجزائر لم يجد ضالته في ممارسة هذه المهنة، ربما لعدم إقبال الناس عليه، أو لكون سكان الجزائر كانوا يفضلون التداوي بالأعشاب على الطب الحديث الذي كان يمارسه راشباس[5]. وتظهر بعض ملكاته في عالم الطب في مؤلفه "Maguen Aboth أو الدفاع عن الآباء" الذي يظهر فيه إطلاعه في ميدان التطبيب، حيث أورد معلومات عن الدورة الشهرية للمرأة وتأثير

---

[1] ابن مرزوق، محمد الخطيب التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 381.

[2] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 381.

[3] Nicol Serfati, Les courtisans Juifs des Sultans Marocains 13e-18eme siècle –hommes politiques et hauts digniataires XIIIe-XVIII Siècles, Préface de Haïm Zafrani, Editions Bouchène, Saint Denis, France, 1999, p 115.

[4] سعد الله، فوزي، يهود الجزائر-هؤلاء المجهولون-، الجزء الأول، دار قرطبة، الجزائر، 1426ه/2005م، ص 204-205.

[5] Jewish Encyclopedia,Keterpress, Juresalem, 1901-1910, V6, p 302

ذلك على العلاقة الزوجية وعلى الأطفال، ثم ذكر بعض آراء علماء اليهود عن ذلك وحتى أنه حاول في بعض المرات رد رأي "ابن سينا" بخصوص طبيعة الرجل والمرأة بين الحارة أو الباردة، ثم عرّج على ذكر العوامل المتحكمة في إنجاب الذكور أو الإناث، إلى غير ذلك من المعلومات المتعلقة بالزواج والإنجاب[1].

وكان ابنه **سلومون** الذي تولى بعده رئاسة الطائفة اليهودية بمدينة الجزائر دارسا للطب والعلوم في بداية تعلمه، إلى جانب دراسته الدينية[2].

واشتهر قبل هؤلاء **"أستروك كوهين Astruc Cohen"** وهو من أوائل المهاجرين من الأندلس إلى الجزائر قبل سنة 1391م، وقد كان طبيبا خاصا للسلطان الزياني "أبو تاشفين الثاني" ومقربا منه[3].

والجدير بالذكر أن علماء المسلمين وعلى رأسهم المحتسبون قد حذروا من استعمال الأطباء اليهود لمعالجة المسلمين، فهم في نظرهم غير مؤتمنين، إذ يقول ابن عبدون في رسالته:" فهم لا يرون نصيحة لمسلم، إلا أن يطببوا أهل ملتهم، ومن لا يرى نصيحة مسلم، كيف يوثق على المُهج"[4].

خاتمة:

رأينا في هذه الورقة البحثية أن عددا لا يستهان به من اليهود قد برعوا في العلوم الطبية وأعانوا الناس على الشفاء من أمراضهم كما بحثوا عن أسباب هذه الأمراض، وقدموا لها الأدوية المناسبة، بل وبحثوا في ماهية ومكونات هذه الأدوية التي اكتشفوها بأنفسهم، وألفوا عديد الكتب والمصادر التي فصلوا فيها كثيرا مما استشكل فهمه عن الناس فبسطوا لهم كتب الأولين، وخدموا العلم في بلاد الأندلس والمغرب الإسلامي على السواء، لكن لا أحد ينكر فضل العلماء والأطباء المسلمين على نظرائهم اليهود فقد تتلمذ كثير من اليهود على يد الأطباء المسلمين وتعلموا منهم أبجديات الطب، وحفظ هؤلاء أفضال المسلمين عليهم فقدموا خدماتهم للمجتمع المسلم الذي عاشوا فيه، واعترف هذا المجتمع بعملهم المتميز فلم يجدوا حرجا من التداوي عندهم رغم تحذيرات بعض الفقهاء وعلى رأسهم المحتسبين من هذا الأمر ووجوب الحذر منهم.

---

[1] Jewish Encyclopedia, V6, p302.
[2] Ibid, p 306.
[3] سعد الله، المرجع السابق، ص 109.
[4] ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت ق5هـ/11م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م، ص 57.

المصادر والمراجع:

-ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

-ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله التلمساني، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 1393ه/1973م.

-ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1405ه/ 1985م.

-ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت ق5ه/11م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1430ه/2009م.

-ابن مرزوق، محمد الخطيب التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

-التدمري عمر عبد السلام ، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط "الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم (866-871ه/1462-1467م)"، ضمن كتاب من مظاهر التضامن المغاربي عبر التاريخ، إعداد عبد الكريم كريم، 1424ه/2003م.

-الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج5-6، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، مايو 2002م.

-الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق3، م1، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1399ه/1979م.

-بشير عبد الرحمان ، اليهود في المغرب العربي(22-462ه)، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2001م.

-حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، منشورات مكتبة المنار، تونس، ق1، 1972م.

-ريسلر جاك ، الحضارة العربية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، بيروت-باريس، 1993م.

-سعد الله، فوزي، يهود الجزائر-هؤلاء المجهولون-، الجزء الأول، دار قرطبة، الجزائر، 1426ه/2005م.

-سويسي محمد، انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب، بحث نشرته المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، دت.

-فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2007م.

-القفطي جمال الدين ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت، د.ت.

-ولفنسون إسرائيل ، موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط2، القاهرة، 1355ه-1936م.

-Allouche, Joëlle-Benayoun et Doris Bensimon, Les Juifs d'Algérie, hier et aujourd'hui, Mémoire et identité, Bibliothèque historique Privat, Toulouse, France, 1989
-Chouraqui, André, La saga des Juifs en Afrique du nord, Librairie Hachette, Paris, 1972.
-Henri Jahier et A. Fingerhuth, Extrait du « MaguenAboth » « Le Bouclier des Pères » du Grand Rabbin d'Alger, Simeon ben Zemah Duran, Imprémerie Abécé, Paris, 1955.
-Jewish Encyclopedia,Keterpress, Juresalem, 1901-1910.
-Nicol Serfati, Les courtisans Juifs des Sultans Marocains 13e-18eme siècle –hommes politiques et hauts digniataires XIIIe-XVIII Siècles, Préface de Haïm Zafrani, Editions Bouchène, Saint Denis, France, 1999.
-Robert Brunschvig , Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord, Paris 1936.

الآليات العلاجية ببلاد الغرب الاسلامي في العصر الوسيط
"الفصد والكي أنموذجا"

The rapeutic mechanisms in the Islamic west in the Middle AGE
"phlebotomy and cauterization mechanism as a model"

دة. سميرة نميش، جامعة خنشلة (الجزائر)

nemmichesamira78@hotmail.com
nemmiche.samira@univ-khenchela.dz

ملخص:

لقد شهد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط مجموعة من التغيرات والتقلبات التي مست مختلف الميادين والمجالات، ومن بينها الجانب الصحي الذي شهد ظهور العديد من الأمراض والأوبئة التي استعصت معالجتها وتطلبت آليات للتطبيب بها آلية الفصد والكي التي تعد موضوع الدراسة.

ومن خلال هذه الدراسة نسعى الى التطرق الى أهم العوامل التي ساهمت في اتخاذ آلية الفصد والكي لمعالجة المريض، وأهم الوسائل التي استخدمت فيها بالإضافة الى الجدلية ومواقف الفقهاء في بلاد الغرب الاسلامي من استخدامهما كوسيلة للتطبيب.

الكلمات المفتاحية: الطب، الجراحة، الفصد، الكي، الغرب الاسلامي.

summary:

During the Middle Age, the Islamic West witnessed a set of changes and fluctuations that affected various fields and domains,including the health aspect , which witnessed the emergence of many diseases and Epidemics that were difficult to treat and required mechanisms for their treatment, such as the mechanism of phlebotomy and cauterization, which is the subject of the study

Through this study, we seek to broaching to the most important factors that contributed to taking the mechanism of phlebotomy and cauterization to treat the patient, and the most important means used in it, in addition to the dialectic and attitudes.

Jurisprudence in the countries of the Islamic West from their use as a means of medicine.

Keywords: Medecine, Surgery, Phlebotomy , Cautirization , Islamic west.

مقدمة:

شهدت منطقة الغرب الاسلامي التنوع الفكري والثقافي الذي ترتب عنه ازدهار العلوم ونبوغها، فبرز الطب والتطبيب الذي كان له شأن ببلاد المغرب والأندلس خاصة مع النهضة العلمية التي شهدتها البلاد، فترتب عنها تنوع العوامل وطرائق العلاج، كما شغلت صناعة اليد والجراحة حيزا واسعا في المجتمع المغربي خاصة أمام الأمراض المستعصية التي كانت تتطلب آليات أخرى تساهم في شفاء المريض والمحافظة على سلامته كالفصد والكي الذي يعد من الآليات العلاجية الواجب دراستها والبحث فيها للوصول الى الدواء السليم والشافي.

1- الطب ببلاد المغرب الاسلامي : النشأة والتطور:

1-1-الطب في المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

إنّ الطبّ أو الآلية العلاجية هي كل عمل قائم على معالجة المريض من الأسقام والشفاء من الداء والوقاية من الأمراض التي تصيب الانسان، فالآلية هي الوسيلة التي تساعد الجسم على الرجوع الى حالته الطبيعية، ويكون ذلك بالتشخيص أو الارشاد الى ايجاد السبل للشفاء من الأسقام والعلل وتحسين الجانب الصحي الأمر الذي دفع المجتمعات بصفة عامة الى الاهتمام بالصحة والتغني بها؛ اذ ورد عن الزجالي بعض الأشعار التي يتغنى فيها بالصحة وقيمتها قائلا[1]:

إنّي وان كان جمع المال يعجبني فليس يعدل عندي صحة الجسد

المـال زين وفي الأولاد مكرمـــة والسقم ينسيك في ذكر المال والولد

فالطب في المفهوم اللغوي هو الرفق وحسن الاحتيال والسّحر والدّأب والعادة[2]، ويعرفه **ابن منظور** على أنه:"**علاج الجسم والنفس، رجل الطب والطبيب، عالم بالطب،والمتطبب الذي يتعاطى علم الطب، وقالوا تطبيب سأل له الأطباء وجمع القليل أطبه، والكثير .أطباء وقالوا الطبيب في الأصل الحاذق بالأمر العارف بها سمي الطبيب الذي يعالج المرض والمتطبب الذي يعاني الطب ولا يعرفه معرفة جيدة**[3]، فمرادف كلمة الطبيب قديما هي الساحر، فمن معاني الطب السحر، والمطبوب في العربية هو المسحور، والطب هو الساحر يستخدم في البرء والشفاء[4].

---

[1] الزجالي القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ج1، ص161.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص549.

[3] ابن منظور أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار احياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1999،ج8، ص113

[4] محمد عبد الرحمان مرحبا، موجز في تاريخ العلوم عند العرب، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص91.

أمّا من الناحية الاصطلاحية فهو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصبح ويمرض لحفظ ووإزالة المرض وقال جالينوس: "**الطب حفظ الصحة وإزالة العلة**"[1].

كما **يعرفه ابن خلدون** في قوله: **أن الطب صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعظاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من أدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها على المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء**[2].

كما في تعريف آخر على أن الطب هو أحد العلوم الطبيعية التي تعنى فروعه المختلفة بحفظ الصحة على الأصحاء عن طريق الوقاية من الأمراض أو برد الصحبة إلى مرضى عن طريق العلاج بالأدوية والأغذية.

1-2- عوامل انتشار الطب بالغرب الاسلامي:

لقد شهدت بلاد الغرب الاسلامي حركة فكرية واسعة المعالم أدّت الى تنوع العلوم وانتشارها عند سكان المغرب الاسلامي، وبرز شؤون الطب والتطبيب متأثرة بالعديد من التغيرات وهي كالتالي:

التغيرات السياسية:

شهدت منطقة شمال افريقية حركة من الفتوحات الاسلامية والتي كان لها شأن في اثراء الجانب الثقافي؛ إذ أدخلوا دين جديد ولغة جديدة وثقافة أدّت الى اندماج بلاد المغرب المغرب في الحضارة الإسلامية، ومع ظهور الدول المستقلة بالمنطقة ازدهرت العلوم النقلية والعقلية خاصة الطب وصناعة الأدوية متأثرة بالعلاقات الثقافية مع بلدان المشرق الاسلامي[3].

الاهتمام بالحياة العلمية وتشجيعها من طرف الانظمة السياسية التي تعاقبه على حكم بلاد المغرب بالحياة العلمية وذلك من خلال تهيئة الجو المئم ومن أبرز الأمثلة نذر إبراهيم بن الأغلب الثاني وأبنه عبد الله وحفيده زيادة الله الثالث في تقدم الدراسات الطبيعية العامة والطبية على وجه الخصوص الأمر الذي حجعل امراء بني الاغلب يستقدمون مشاهير وتأسيسهم لبيت الحكمة،وكان الأمر نفسه بالنسبة للخافاء الفاطميين الذين فاموا يعين الاطباء المشارفة في خدمتهم كخليفة عبد الله المهدي

[1] مراغب السرحاني، قصة العلوم الطبيعية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ص24.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي لسلطان الأكبر، ص259.

[3] بشير رمضان التليسي ، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي،ط1، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2003،ص111.

والنصور وابنه المعز لدين الله الفاطمي،هذا الأخير الذي شهدت فترة حكمه بروز أسر طبية شهيرة وذلك دليلا على العناية الفائقة والجهود المبذولة من طرف الحاكم في هذا الجانب[1].

التغيرات الاقتصادية:

الأمن والاستقرار الذي شهدته المنطقة أدى الى الرخاء الاقتصادي الذي انعكس على الجانب الفكري خاصة في فترة حكم الأغالبة الذين عملوا على شراء نفائس الكتب المترجمة والمؤلفات من بغداد،و قاموا بتشجيع العلماء وطلبة العلم على المناظرة والجدال التي كان لها أثرا ايجابيا على الحركة العلمية إنعكس إيجابا على مختلف مجالات العلوم[2]،وقد نال الطب حيزا من الاهتمام والعناية؛ إذ جلبوا أمهات الكتب والمصادر من بغداد، بالاضافة الى ذلك فقد ساهمت الحركة التجارية في توطيد العلاقة بين العلماء وتواصلهم وتبادل العلوم والنظريات وتطويرها، فنقلوا المعارف والعلوم وظهرت عشبة الزعفران ببلاد المغرب التي كانت تستعمل لأغراض علاجية[3].

التغيرات الاجتماعية:

من أهم العوامل التي ساهمت في ظهور الطرق العلاجية وتنوعها ببلاد النغرب هي ظهور الأمراض والأوبئة اخاصة بعد المجاعات المتكررة التي شهدتها منطقة الغرب الاسلامي، وقد ذكرها ابن خلدون قائلا: "**انقلبت أحوال بلاد المغرب أثناء الطاعون الجارف الذي طوى محاسن العمران ومحاها فخلت الديار والمنازل**".وهذا يدل على شدة الوباء وتفشيه إذ شهدت بلاد المغرب في سنوات مختلفة مجاعات وقحط عظيم حيث يذكر ابن عذارى في كتابه البيان المغرب بأنه في **سنة 261 كانت مجاعة بالمشرق والمغرب وطاعون...وفي 266 كان القحط العظيم والغلاء المفرط بإفريقية**"[4].

ويحدّثنا ابن زرع عن القحط الذي شهدته المنطقة و أسفر عن مجاعة شديدة ويعرب عنها قائلا:"**في سنة303 مجاعة عظيمة شهت بمجاعة عام260 بلغت فيها الحاجة مبلغا لاعهد لهم مثله وفي سنة 285 كانت المجاعة الشديدة التي عمت جميع بلاد المغرب والأندلس حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم اعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير هاك فيها من لا يحصى وكان يدغن في القبر الواحد أعداد**

---

[1] يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية إفريقية : المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى القرن الهجري، جامعة أم القرى، مكة، 2000 ، ص71.

[2] التليسي، المرجع نفسه، صص81-82

[3] جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن الثالث والرابع الهجريين 9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص54-202.

[4] ابن عذارى المراكشي البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وإ. ليفي

من الناس لكثرة الموتى"[1]. نتيجة للظواهر الطبيعية السالفة الذكر تدهورت الحيات الاجتماعية وتقهقرت وتفشت المظاهر الغير أخلاقية وانتشرت الأمراض التي استدعت التواصل من أجل تطوير الجانب الصحي للقضاء على هذه الأوبئة والحد منها.

جانب الأمراض والأوبئة فان الهجرات البشرية التي شهدتها المنطقة قد حملت في طياتها الأطباء وصناع الدواء خاصة الأندلسيين أفرادا كانوا أو جماعات سواء لطلب العلم أو للتجارة،فيشير ابن الآبار إلى أن بعض الأندلسيين لجأوا إلى سواحل بلاد البربر هذا في إشارة منه على أنها هجرة جماعية نتيجة لعدة أسباب دفعت بهم إلى الهجرة كأصحاب واقعة الريض،إذ من الممكن أن يكونوا نزلوا ببلاد المغرب كفاس وسلجماسة،وهذا التوافد من شأنه أن يساهم في تمازج الثقافات مما يؤدي إلى إنتقال وظهور أفكار وعلوم مختلفة وخاصة بأن بلاد الأندلس عرفت ازدهار وتطورا في ميدان العلوم وخاصة الطب[2].

التغيرات الفكرية والثقافية:

شهدت بلاد المغرب في العصر الوسيط ظهور العديد من التآليف والاعتناء بالترجمة خاصة المجال الطبي، فانتشرت العديد من المصادر في علوم الطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم الأخرى التي تمت ترجمتها الى مختلف غات العالم، والتي كانت تعتمد في دقتها وأمانتها على تمكن المترجمين من اللغة العربية وإتقانهم اللغة الاجنبية ابتي ينقلون منها فنبغ علماء في الترجمة- كإسحاق بن سليمان الاسرائيلي – وبذلك إتسعت دائرة البحث والتقصي وظهرت عشرات من النوابغ في منطقة الغرب الاسلامي[3].

وقد تأثر الطب عند مجتمع الغرب الاسلامي بالنهضة العلمية التي شهدتها بلاد المغرب فبرزت منطقة طرابلس التي حظيت بمكانة كبيرة في إثراء هذه الحركة الصحية، وذلك بحكم تبيعتها لأفريقيا وإرساء قواعدها في بلاد المغرب متأثرة بموقعها الجغرافي الذي يعد معبرا مرور الرحلات العلمية خاصة البرية مشرقا ومغربا، فكان الرحالة من العلماء يتوقفون بها للاستراحة لمدة قصيرة وأحيانا يطول بهم المقام فيها لتبادل العلوم المختلفة ،ونتيجة لذلك الإتصال والرحلة المتبادلة من وإلى بلاد المغرب إمتدت جسور الإتصال ودخلت مؤلفات كثيرة مترجمة ومبتكرة صارت الأساس الذي بنى عليه سكان الغرب الاسلامي ثقافتهم[4].

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي أبي الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ت، كارل يوحنا، تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة،1833، صص61_62.

[2] جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص441-442.

[3] بشير رمضان التليش، المرجع السابق، ص69

[4] نفسه، ص168.

2- الفصد والكي ببلاد الغرب الاسلامي:

2-1- ألية الفصد العلاجية:

إنّ سبل التعافي والشفاء ببلاد الغرب الاسلامي متعددة ومتنوعة ومن أبرزها صناعة اليد أو مايعرف بالجراحة التي اعتمدها الأطباء وتعتبر من الوسائل الدقيقة لاستعادة الصحة وتعافيها خاصة عندما يتعلق الأمر بالمهارة اليدوية ورزانة العقل، خاصة وأن ليس كل الأمراض والأسقام تتداوى بالجراحة[1] وانما هناك البعض من الآفات الصحية التي تتطلب التداوي بوسائل وآليات علاجية أخرى كالفصد والكي مثلا.

إنّ آلية الفصد هي شق العرق لاستنزاف الدم منه بغرض الشفاء أو دفع البلاء، فحاجة الانسان له تكون لهدفين فأولهما حفظ الصحة أمّا الآخر فهو تجنب بعض الأمراض[2]، ومن أبرز الأمراض التي تستدعي التداوي بالفصد نجد مرض النقرس الذي يتطلب استفراغ البدن[3]

و من الأمراض التي تتطلب عملية الفصد مرض ذات الجنب الذي يتسبب في احتكاك طبقتين من غشاء الجنب ببعضهما البعض، الذي يؤدي ارتفاع درجة حرارة الجسم و قد أصيب به أبو مروان عبد المالك بن زهر الذي تداوى منه عن طريق عملية الفصد و شفي منه[4]، و من الأمراض التي تستدعي الفصد أمراض الدماغ التي يترتب عنها الحمى الشديدة و التعب ، و للتخلص من هذه الأعراض يلجأ المريض للاستفراغ ، و قد ذكر ابن زهر أعراض المرض قائلا : "نالني نكد عظيم على غير اعتياد، و لزمني بحسب الحال تصرف على القدم لم اعهده، فلما أردت النوم وجدت حس الوجع في القسم المذكور مستطيلا، فام أنزل من مضجعي إلا و الأمر قد تفاقم، و السعال ألح إلحاحا كثيرا وجدت نبضي صلبا شديد الصلابة، وفي خلال ذلك التهبت بي حمى حادة ، وجهت عند الفاصد و استفرغت منه الدم نحو رطل"[5].

كما هناك العديد من الأمراض التي تتعالج بالفصد ، كعرق النسا ، الصرع ، المالنخوليا ، أمراض الكبد ، أوجاع المفاصل ، الذبحة ، فقد تعرض أحد أعلام المغرب الإسلامي لذبحة ، نصحه أحد الأطباء

---

[1] الرزقي شرفي، الجراحة الطبية عند المسلمين في القرون الوسطى "ممارسة وتأليفا"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014، ص17.

[2] عبد الرزاق خضور، التداوي من الأمراض بالغرب الاسلامي عند الأطباء والأولياء خلال القرنين 6-7ه/12-13م، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الانسانية، شعبة التاريخ، جامعة البليدة" علي لونيسي"، 2022-2023م، ص 223.

[3] ابن الجزار، زاد المسافر، مج2، ص580.

[4]- ابن زهر، التيسر في المداواة و التدبر ،تح: أحمد فريد المريدي، دار الكتب العلمية ، بيروت،1971، ص 251-254

[5]- المصر نفسه ،ص223

بالفصد فشفي من مرضه و علته[1] ، كما كان ينصح به المصابين بالرمد باتخاذه علاجا ، إذ أصيب ابن الشقاق (426هـ-1035م) برمد فنصح بالفصد ، لكن قوته ضعفت ولانت و جفت رطوبته و قضى نحبه[2].

إن الفصد ليس العلاج الشافي و الكافي دائما و إنما وجب توفر مجموعة من الشروط للقيام به أبرزها الصحة البدنية إذ لا ينصح به المسن ، تجنب حالات النزيف المستمر التي قد تؤدي إلى استفراغ الجسم من الدم و ينتج عنه الوفاة ، وجب توفر شروط التشريح و الشق كالنظافة و معرفة المكان الصحيح للشق أو التشريح و مكان الأوردة و غيرها[3].

1-1- آلية الكي العلاجية:

إلى جانب آلية الفصد التي أتخذت كعلاج للتشافي من الأمراض نجد آلية الكي التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم عنها و اتخاذها إلا في الحالات المستعصية، إنّ التداوي بالكي لايشترط فيه زمان معين بل هو صالح لكل الأوقات على عكس من شخص ضرورة التداوي بالكي في فصل الربيع، والذي يتنافى مع طبيعة المرض والسرعة في التداوي منه؛ إذ لايمكن الانتظار لزمان آخر لما يترتب عن التأخير من تعفن الجرح ومكان المرض والذي قد يترتب عنه الاستئصال أو بتر الجزء المصاب، والأمراض التي تستدعي التداوي بالكي قد تفوق الخمسين مرضا كمرض النقرس والذي يكون الكي في مفصل الرجلين بتعدد الكيات [4]، فيذكر أنّالمنصور بن أبي عامر كان به داء في رجله وللتعافي منه احتاج الى ضرورة الكي، فتلقى العلاج على مرأى من الناس ولم يشعروا بذلك حتى وصلت رائحة الكي اليهم[5]، ومن الأمراض التي تستدي الكي الأطراف المتنملة أو مرض الخدر التذي استعصى أن يبرأ منه المريض فيلجأ الى الكي إذ يعتبر آخر العلاج[6]، وللتعافي من أمراض المثانة كتعرضه للضعف والاسترخاء وعدم التحكم في التبول فيكوى المريض في يسار السرة وشمالها وأسفل الظهر، كما عرف مرض الأكلة عند مجتمع المغرب والأندلس

---

[1]- تعرض ابن مرزوق لذبحة فنصحه الطبيب ابن الكفاني (749هـ،1348م) بالفصد فشفي، ينظر عبد الرزاق قصور ، المرجع السابق ، ص224

[2]- أبي القاسم ابن بشكوال ، الصلة في تاريخ أئمةالأندلس و علمائهم و محدثيهم و فقهائهم و أدبائهم ، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ص 352

[3]- عبد الرزاق خضور ، مرجع سابق ، ص 225

[4] ابن زهر، المصدر السابق، ص ص 347-348.

[5] عبد الرزاق خضور، المرجع السابق، ص 227.

[6] أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، ج2، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي، المغرب، ص61.

فيكوى الموضع المصاب من جميع الجوانب حتى يتخلص من الجزء المصاب، وبعد ثلاثة أيام يدهن بالكبريت المسحوق والزيت، ثم يدهن بمرهم يساعد على نمو اللحم من جديد[1].

إنّ عملية الكي من الآاليات العلاجية التي تستدعي الدقة والزانة فيشترط في صاحبها أن يكون عارفا بعلم التشريح، ملما بأعضاء الجسم والأنوردة والأنسجة والعظام والعضلات فيعرف المخارج والفقرات لتجنب الوقوع في الخطأالذي قد يؤدي الى قتل النفس التي حرم الله[2].

إنّ ظاهرة التداوي بالفصد والكي في بلاد الغرب الاسلامي من الآليات العلاجية التي لقيت اهتمام الأطباء والأعلام التي كانوا يلجؤون اليها عند استحالة الشفاء والتداوي، وهي ليست من مهام المغربي الهاوي وانما هي من صلحيات العارف الدقيق لأعضاء الجسم ومختلف الأمراض التي تصيب البدن، فرغم الاستشفاء الّا أنّها كانت بين الحين والآخر تهتك جسم المرض فتؤدي الى الموت لا محالة.

خاتمة:

من خلال ماسبق نستنتج أنّ الطب والتطبيب ببلاد الغرب الاسلامي عرف تعدد الآليات العلاجية التي تقوم على مجموعة من الأسس والعوامل التي تحافظ على صحة المريض وضمان سلامته، فصناعة اليد تتطلب العالم العارف بالجسم والبدن لأنّ آلية الفصد والكي من الآليات التي تتحلى بالدقة والحنكة ومعرفة الأوردة والأنسجة ومخارجها التي تساعد على بقاء حياة المرء سليمة فالخطأ أثناء القيام بهما قد يؤدي الى وفاة المريض أو التشوه.

المصادروالمراجع:

- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار احياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1999.
- الزجالي القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي.
- ابن أبي زرع الفاسي أبي الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ت، كارل يوحنا، تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة،1833.
- ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي لسلطان الأكبر.
- ابن عذارى المراكشي البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وإ. ليفي
- ابن زهر، التيسر في المداواة و التدبر ،تح: أحمد فريد المريدي، دار الكتب العلمية ، بيروت،1971.

[1] عبد الرزاق خضور، ص228.

[2] المرجع السابق، ص229.

- أبي القاسم ابن بشكوال ، الصلة في تاريخ أئمةالأندلس و علمائهم و محدثيهم و فقهائهم و أدبائهم ، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت .
- أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، ج2، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي، المغرب.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004.
- بشير رمضان التليسي ، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي،ط1، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2003.
- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن الثالث والرابع الهجريين 9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- الرزقي شرفي، الجراحة الطبية عند المسلمين في القرون الوسطى "ممارسة وتأليفا"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014.
- محمد عبد الرحمان مرحبا، موجز في تاريخ العلوم عند العرب، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.
- مراغب السرحاني، قصة العلوم الطبيعية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة.
- يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية إفريقية : المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى القرن الهجري، جامعة أم القرى، مكة، 2000 .
- عبد الرزاق خضور، التداوي من الأمراض بالغرب الاسلامي عند الأطباء والأولياء خلال القرنين 6-7ه/12-13م، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الانسانية، شعبة التاريخ، جامعة البليدة" علي لونيسي"، 2022-2023م.

وباء الطاعون في بايلك الغرب (1515-1792م)
الأسباب والإجراءات الطبية المتّخذة

The plague Epidemic in Beylik western Algerian (1515-1792) cause and medical measures taken

د. هاشمي بن إبراهيم، جامعة معسكر (الجزائر)
h.benbrahim@univ-mascara.dz

ملخص:

عرف العالم الإسلامي عبر التاريخ موجات عنيفة من الأوبئة كانت نتيجتها اختلالات ديمغرافية، وأحيانا تؤدي إلى إبادة جماعية جماعية للتجمعات السكانية، يُسبّبُها وباء الطاعون. والجزائر لم تكن في منأى عن وباء الطاعون عبر العصور.

تندرج مداخلتي في المؤتمر العلمي حول الطّب والخدمات الصحية في العالم الإسلامي عبر التاريخ؛ حيث تعرّض بايلك الغرب الجزائري منذ القرن السادس عشر لوباء الطاعون تسبّب في هلاك آلاف من الأشخاص دون إحصائيات مضبوطة حول عدد الهلكى.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز النتائج الوخيمة التي سبّبها الوباء على سكان المنطقة، ومحاولة التعرّف على الإجراءات التي اتّخذتها السلطة في مواجهة الوباء عبر الحجر الصحي، وجهود الأطباء الجزائريين في العهد العثماني لمواجهة آثاره، وإعطاء نظرة حول المصنفات الطبية في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: بايلك الغرب، الطاعون، الحجر الصحي، الأطباء، المُصنّفات الطبية.

summary:

throughout history, the Islamic word has know violent waves of epidemic, the result of which were demographic and sometimes mass extermination of population caused by the plaque epidemic and Algeria was not immune from the plague epidemic.

Mu intervention falls within the scientific conference on medicine throughout history service in Islamic world throughout history since the sixteenth sentry Beylik in western Algerian, was exposed to epidemic of plague which caused the death of people without accurate statistics the study aims to highlight the dire consequence caused by the epidemic on the population of the region and to authority to confront the endemic through quarantine an the efforts Algeria doctors in the Ottoman ere to confronts its effects and to give a look at the Algerian medical works in this field.

Key words: western Beylik, plague, quarantine, doctors, medical works.

مقدمة:

على مرّ التاريخ ومن بين كل الأوبئة والأمراض، يُعدُّ وباء الطاعون الأكثر رعباً من كل الأمراض الذي خلّف في مخيلة البشرية جرحا لا يندمل، يفتك ويُبيد تجمعات سكانية، أحيانا عن آخرها.

اكتشفت أول بؤرة له على حوض نهر النيل. إنّ أول طاعون سجلته كتب المؤرخين كان طاعون أثينا سنة 430 ق.م، وأُطلق عليه "طاعون أثينا، وانتشر على عموم بلاد الإغريق نتيجة الحملات العسكرية التي نقلت الوباء. وضرب مناطق من قارة آسيا وسمي بالطاعون الآسيوي. في القرن الربع عشر انتشر في أوربا من الأناضول وخلّف ملاين الضحايا سمي " بالطاعون الأسود.

لم تكن الجزائر في العهد العثماني في منأى عن الأوبئة، وخاصة وباء الطاعون. في هذه المداخلة نركّز على الطواعين التي ضربت بايلك الغرب، والتي نتج عنها آثار وخيمة على المجتمع الجزائري، نظرا لخصوصية المنطقة التي كان لها وضع سياسي وجغرافي، منها الاحتلال الاسباني لوهران والمرسى الكبير من. 1505-1792 خاصة أنّ وهران تعرّضت لموجات من الطاعون آتية من سواحل الاسبانية ومن المناطق الأخرى من بايلك الغرب نتيجة الحملات العسكرية والمبادلات التجارية مع سكان المناطق الأخرى. وكانت إجراءات السلطة للتخفيف من الطاعون عبر الحجر الصحي. ومن هنا نطرح الإشكال الأتي: إلى أيّ مدى ساهم الحجر الصحي في التخفيف من انتشار وباء الطاعون في المنطقة؟ وما هي جهود الأطباء الجزائريين لمجابهة الوباء؟.

1-تعريف الطاعون:

1-1-اصطلاحا: عرّفت منظّمة الصحة العالمية وباء الطاعون بأنّه مرض تسبّبُه بكتيريا حيوانية المنشأ تُدعى "اليرنسية الطاعونية"، وتوجد عادة لدى صغار الثدييات المُعتمدة عليها، وتظهر غالبا على الأشخاص المصابين بعدوى اليرنسية الطاعونية. تظهر أعراض المرض بعد فترة حضانة تتراوح بين يوم واحد وسبعة أيام[1].

إنّ أول اكتشف وباء الطاعون هو الطبيب النمساوي ألكسندر يارسين[2] (Alexander Yersin) نهاية القرن التاسع ميلادي، وبالضبط عام 1893م؛ حيث نجح هذا الأخير بفضل جهوده بالكشف عن البكتيريا التي أبادت الملاين من البشر ، والتي عجز عن حل معضلتها الأطباء القدامى في إيجاد حل لهذا الوباء القاتل .

[1] منظمة الصحة العالمية(2022)، تاريخ الدخول 13 أفريل 2023: https://www.who.int

[2] ولد ألكسندر يارسين في 22 سبتمبر 1863م، بمدينة ابون Aubonne في سويسرا من عائلة تعود أصولها من فرنسا، درس الطب، حين أصبح في سنة الثلاثين من عمرها اكتشف البكتيريا المُسبّبة للطاعون التي تُنسب إليه yarsin la bactérie عام 1893م. توفي في سنة 1943م.

إنّ العمل الذي قام به الطبيب يارسين في خضم التحضير لأطروحة الدكتوراه حول البكتيريا المعدية، وكان ذلك في هونغ كونغ إحدى المستعمرات البريطانية في الصين، وأخذ الإذن من السلطات هناك لتتبّع أصل الوباء الذي انتشر هناك، وعوامل انتشاره، والمقاييس المتّبعة للحدّ من انتشاره[1].

عرّف أبو بكر الرازي (ت311ه) الطاعون أنّه ورمٌ حار يعرضُ في الأربيات والإبط، ويقتلُ في أربعة أو خمسة أيام[2]. وجاء تعريفه عند ابن حجر العسقلاني في كتابه "بذل الماعون في فضل الطاعون" نقلا عن الطبيب علي ابن سينا ما يلي: الطاعون مادة سمية تُحدثُ ورما قتّالا، يحدث في المواضع الرخوة والمَغَابِنْ من البدن، وأغلب ما يكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة[3].

1-2-**لغويا:** جاء في لسان العرب أنّ لفظ الطاعون المرضُ العام الذي يفسد له الهواء فتفسدُ له الأمزجة و الأبدان[4]. وذكر تعريفه الجوهري في صحاحه أنّ الطاعون الموت الوحيُّ والجمع الطواعين[5].

إذن الطاعون وباء معدي يضربُ منطقة جغرافية تتّسعُ حسب انتشاره، ويمتدُّ في مدة زمنية تقْصُرُ أو تطُول. وينتشر بين مجموعة كبيرة من الناس، يشتركون في الأعراض التي تصيبُ المرضى ، مثله مثل الجذري والكوليرا التي كانت منتشرة بقوة.

2-**أعراض الطاعون:** إنّ الأعراض التي لاحظها الكسندر يارسين في هونغ كونغ وفي الهند الصينية عند انتشار وباء الطاعون هناك أنّ معظم الناس لديهم تورّم في المنطقة الأربية (Ingunale)، وحمى مستمرة يُصاحبها هذيان، وإمساك شديد أكثر منه ما يصيبهم من الإسهال. يموت المريض في مدة زمنية قصيرة تصل إلى أربعة وعشرين ساعة من ظهور الأعراض، وأحيانا تصلُ مدة الإصابة بالمرض وينتهي بالوفاة من خمسة إلى ستة أيام على أكثر تقدير[6].

تنتمي هذه الأعراض لنوع من الطواعين يدعى "الدبلي". وهناك طواعين أخرى لها أعراض غير أعراض الطاعون الدبلي. منها الطاعون الرئوي الذي ينتقل عبر الفم، وهو الطاعون الذي ذكره ابن خلدون قائلا: " فإذا كان الفساد قويا (فساد الهواء) وقع المرض في الرئة، وهذه هي الطواعيين وأمراضها مخصوصة

---

[1] (M).Simont, Alexander Yersin un bactériologiste, explorateur et agronome, revue de biologie médicale, N°357, novembre-décembre, 2020, p.4.

[2] أبو بكر محمد بن زكريا الرازين الحاوي في الطب، ج17، المجلد السادس، تح: محمد محمد إسماعيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص 2516.

[3] أحمد بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، د.ت، ص98.

[4] جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، ص2677.

[5] ابو نصر اسماعيل الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية ، در الحديث، القاهرة، 2009، ص207

[6] (M). Simont, Op.Cit, p.6.

بالرئة"[1]. وهذا من اخطر أنواع الطواعين؛ لأنّه ينتقل عبر الفم ويصيب الرئة أشد عدوة. وهناك صنف آخر ينتقل عبر الدم ويسمى في الطب الحديث بالطاعون الانتانمي، ويطلق عليه اسم Speticenic وتعني "انتان الدموي"[2]

ميّز المؤرخون الطواعين حسب المناطق التي يصيبها في الجسم، والأعراض التي ظهرت على المرضى الموبوئين، فالطاعون الذي ضرب مناطق من آسيا سمي "بالطاعون الآسيوي" أو الموت الأسود[3]. أمّا الطاعون الذي أصاب أثينا (اليونان)، والذي يُعدّ من أقدم الطواعين التي أصابت البشرية وذلك في سنة 430 ق.م، وقد انتشر في كامل بلاد اليونان. من أعراضه تبدأ الحُمّ بشكل مفاجئ في جسم المصاب، فهناك من يُصابون بعد الاستيقاظ من النوم مباشرة، والبعض رالآخر في نزهة أو يشتغلون في مهنهم المعتادة[4]. تنتشر الإصابات واحدا بواحدٍ؛ رغم انّ أجسادهم لم تتغير الوانها الطبيعية، فتكون الحمّى شديدة جدا، وتصبح الأعينُ محمرّةٌ، واللّسان جافّاً[5].

3-كرنولوجيا الطاعون في بايلك الغرب (الغرب الجزائري):

أصاب بايلك الغرب وباء الطاعون طيلة الوجود العثماني بالجزائر منذ بداية القرن السادس عشر حتى نهايته على يد الفرنسيين سنة 1830م. كان الطاعون متفاوت الخطورة من منطقة لاخرى ومن سنة لأخرى. سنركز في هذا البحث على اهم الطواعين التي ضربت المنطقة.

في سنة 1542م ضرب الطاعون مدينة وهران؛ فأجبر السكان على مغادرة المدينة خارج أسوارها، والعيش تحت الخيّم شرق المدينة.

احتل الاسبان وهران سنة 1509م وقبل ذلك سيطروا على ميناء المرسى الكبير الذي يبعُدُ عنها ببضع كيلومترات. قاد الأسطول الأسباني المهاجم لميناء المرسى الكبير دون دييغو فرناندیث دي قرطبة (don diego fernandez de cordova)، وتحت قيادته حوالي عشرة آلاف جندي اسباني في23 أكتوبر 1505م. أمّا من اشرف على احتلال مدينة وهران هو أسقف كاتدرائية مدينة طُليطلة خمنيث ثيسنيروس (Jiménez Cesneros). ذكرت السيدة نيلي بلوم (Blum) أنّ الأسطول الذي قاده الأسقف ثيسنيروس يتكوم من 37 سفينة من نوع غليوطة (Galiote) خفيفة، وعلى متنها 1595 جنديمسلّح، وستة قوارب كبيرة الحجم وعلى

[1] فلاح سفيان، الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب من خلال المصادر المحلية والأوربية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، جامعة وهران، (2021-2022)، ص 98.

[2] المرجع نفسه، ص 99.

[3] (D). Laumonier, la peste histoire et traitement, Paris, 1897, p.12.

[4] Ibid, p.12.

[5] (M). Simont, Op.Cit, p.21.

متنها 31 عاملا، وبوارج، وسفينتين ضخمتين تحمل 300 برميل ودروع صوفية ومدفعية من مختلف العيارات [1] إضافة إلى المواد التموينية التي تحتاجها الحملة العسكرية ضد المدينة.

بعد وصول الأسطول الاسباني إلى السواحل الوهرانية اندلعت معركة شرسة بين سكان المدينة المدافعين عن مدينتهم والغزاة الأسبان؛ كانت معركة شرسة سقطت المدينة بعد مقاومة مستميتة؛ وبسبب قوة تنظيم الجيش الاسباني، والخيانة التي تعرّضت لها المدينة من احد اليهود يُقال له الزاوي بن كبيسة، وقد فتح أبواب المدينة سرّا للأسبان بمساعدة أحد العسس من سكان المدينة[2].

نتج عن غزو الأسبان لوهران آلاف القتلى ؛ حيث ذكرت بعض المصادر أنّ عدد القتلى من سكان المدينة تجاوز أربعة آلاف قتيل، وهذا ما أكّدته السيدة نيلي بلوم[3]، وهناك من ذكر أنّ العدد تجاوز عدد القتلى المذكور، فعلى جدارية كنيسة مثارابي في كاتدرائية طُليطلة أنّ العدد فاق أربعين ألف قتيل من سكان وهران[4].

عندما ضرب الطاعون مدينة وهران كانت تحت إدارة الحاكم العام للمدينة الكونت دالكوديت (Comte d'Alcaudète) 1534-1558م، والراجح أنّ كان في عزلة عن قياداته في المدينة، وانّ ابنه اخبره بأنّه أصيب بحمّى وإعياء ألزمه الفراش شديدة وهو الدون النسو دي قرطبة، من خلال مراسلة بينهما[5].

في سنة 1678م ضرب الطاعون مدينة وهرانن ونقله إلى المدينة مجموعة من البحارة على متن سفينة آتية من مدينة ملقة (Malaga)، وفي نفس السنة اصاب الطاعون 1213 شخص، توفي منهم 896 شخص؛ أيّ ثلاث أرباع المصابين[6].

ظهر في سنة 1738 الطاعون في بايلك الغرب ، وأطلق الجزائريون على هذه السنة " عام الوباء"، معظم الجزائيين-وهم عامة الناس- لا يعرفون اسم الطاعون إلاّ الطبقة المتعلمة والمثقفة، فكانوا يطلقون عليه

[1](N). Blum, la croisade de Ximénès en Afrique, la Fouque, Oran, 1898, p.17.

[2] محمد بن يوسف الزياني، دليل الجيران وأنيس السهران في اخبار مدينة وهران، تح: المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص55.

[3] هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الاسباني: قراءة في مواقف التحالف والولاء، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، جامعة معسكر (2020-2021)، ص57.

[4] (L). Godard, souvenir de l'expédition de Ximénès, R.A, N°5, 1861, p. 54.

[5] (E). De la primaudaie, histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574), Adolph Jourdan, Alger, 1875, p.254.

[6] (Dr). G-Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique, Imprimerie du gouvernement, Alger, 1855, p.279.

اسم " عام الحْبُوبَة"[1]، وهو الاسم الشائع في معظم ايالة الجزائر، وكانت اول بؤرة له في مدينة تلمسان بدايو (1151هـ/1738م)، لينتقل إلى وهران والمانطق المحاذية لها، في عد الباي يوسف بن مصطفى بوشلاغم[2]، الذي خلف والده بايا غلى بايلك الغرب؛ إلاّ أنّه سقط ضحية الوباء في نفس السنة[3].

عمّ وباء الطاعون شمال افريقيا، وكانت اول بؤرة ظهر فيها في مدينة فاس سنة 1742م، نقلته قافلة مكوّنة من مائتي جمل يحمل القطن، وذكرت التقارير عن مدينة الجزائر في الثامن من شهر جوان أنّ عدد القتلى جراء الطاعون بلغ عشرين حالة يوميا[4].

انتشر الوباء عبر تلمسان -قادما من المغرب الأقصى – إلى مدن أخرى خصوصا مستغانم وقسنطينة. تطوّر الوباء إلى جائحة مست كامل ايالة الجزائر في سنوات الأربعينات والخمسينات من القرن الثامن عشر ميلادي، وأصاب تونس، طرابلس، المغرب الأقصى، ووصل حتى صقيلية، واسبانيا. كان مصدره مدينة الإسكندرية في مصر، وتتكلم مصادر أخرى إن مصدر الوباء كان بايلك الغرب،؛ حيث ذكر القنصل الفرنسي إنّ عدد ضحايا الوباء بلغ أكثر من مائة ضحية في اليوم[5].

أعقب الوباء مجاعة كبرى أصابت بايلك الغرب، فلم يجدْ السكان ما يسدون رمق جوعهم، واضطروا إلى بيع أبنائهم للأسبان رغم الإجراءات التي اتّخذها الباي محمد الكبير للتخفيف من الكارثة، عن طريق توزيع المؤونة على القبائل والمدن. وكان سبب المجاعة الوباء واجتياح الجراد[6].

استمرّ الوباء في القرن التاسع عشر بوتيرة متفاوتة الخطورة، وبعد سقوط مدينة الجزائر سنة 1830م، قلّ انتشاره؛ بسبب عدم وفود السفن من الأناضول ومصر التي كانت غالبية الإصابات تأتي من المشرق، وكذلك اكتساب الفرنسيين وسائل البحث الطبية عن الأمراض المعدية في الجزائر.

إنّ مسالة إفراغ مدينة وهران من سكانها ولجوءهم إلى خيّم خارج أسوار المدينة، لمحاولة التأثير من آثار الوباء ومحاصرته، الذي استمر طيلة سنة 1542م، يحتّم علينا دراسة مسألة العزل، أو الحجر الصحي الذي طبّقه الأسبان، ومحاولة التحكّم في عدم انتشاره بقوة، وما المزايا من هذا الأجراء في خضم عدم

---

[1] (W). Esterhazy, de la domination turque, l’ancienne régence d’Alger, librairie de Charles gosselin, Parsi, 1840, p.175

[2] حكم الأتراك العثمانيين وهران في الفترة الممتدة بين (1708-1732م)، بعد ان طرد الباي مصطفى بوشلاغم الأسبان منها؛ لكن الاسبانيين عادوا لاحتلال المدينة من جديد بقيادة (Mentemor) حتى طردهم نهائيا عام 1792م من طرف الباي محمد الكبير.

[3] فلاح سفيان، المرجع السابق، ص163.

[4] (Dr).G-guyon, Op.Cit, p.319.

[5] فلاح سفيان، المرجع السابق، ص166.

[6] المرجع نفسه، ص173.

وجود مَصْلْ أو أدوية للقضاء على الوباء قبل سنة 1893م، تاريخ الذي نجح فيه ألكسندر يارسين في اكتشاف البكتريا المسببة للوباء، والعلاج المناسب لها؟.

4-الحجر الصحي:

يتساءل مؤلف كتاب "الأوبئة والتاريخ والمرض والقوة الامبريالية" شلدون واتس: لماذا طبّقت في الشمال الايطالي اجراءات الحجر الصحي ضد الطاعون عام 1450م وتبعتها في ذلك الدول الاوربية؟ ولماذا لم تنتشر في العالم الإسلامي نفس الإجراءات رغم معرفة الطب العربي بالنظرية العامة للعدوى[1]؟

اعترف شلدون واتس أنّ الطب العربي سبق أوربا بعدة قرون آليات انتقال العدوى للأمراض المعدية شديدة العدوى مثل: الجُذام ، والطاعون، والكوليرا...الخ. أجاب عن تساؤلاته أن الوضع السياسي والتاريخي كان له دور كبير في اتخاذ هذه الإجراءات؛ رأى أنّ المدن كان لها وضع المدينة الدولة؛ لهذا أرادت أن تحافظ على قوتها السياسية والتجارية المتحكّمة في الحوض الغربي للمتوسط مع العالم الإسلامي، بالإضافة إلى عامل سقوط مدينة القسطنطينية سنة 1453م، ما حتّم على علما وأطباء المدينة الهجرة نحو المدن الايطالية، التي استفادت من هذه الحركة العلمية[2]؛ لكن المؤلف تساءل عن جدوى هذا الإجراء دون معرفة النظرية العامة للعدوى ودون معرفة الأطباء البكتريا المسببة للطاعون؟ التي اكتشفت عام 1893م.

إنّ التساؤل الأخير الذي طرحة المؤلف الأمريكي وهو الباحث في علم الأوبئة هذا التساؤل الأخير، ألم وهو بعرف أنّ منذ ظهور الأوبئة على العموم أنّ أي اتصال مع الشخص المريض تظهر أعراض الوباء في الشخص التي خالطه، أو الدخول إلى المنطقة الموبوءة، اللهم إلاّ أن مترجم الكتاب لم يقدّم التساؤل بالشكل الصحيح، وللعمل أنّنا لم نطّلع على النسخة الأصلية المكتوبة باللغة الانجليزية.

كانت العلوم الطبية عند المسلمين في العصور الوسطى متقدّمة عن نظيرتها عند الغرب. في الأندلس عاصر الفقيه الطبيب أبي جعفر ابن خاتمة الأندلسي (770هـ/1369م) الطاعون الأسود الذي اجتاح أوربا سنة 1347م، وخلّف ملايين الضحايا. ألّف ابن خاتمة رسالة عن الوباء سماها " رسالة غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد". وقد ألّف رسالته استجابة بطلب احد الأصدقاء تساءل حول طبيعة وحقيقة الوباء، وأسباب انتشار العدوى؛ بالملامسة والاختلاط مع المريض، وذلك حين تفشّى الطاعون في ألمرية (749هـ)[3]. وتطرّق إلى مسألة الحجر الصحي وجدواه، وهذا يبيّن أنّ العرب المسلمين عرفوا الحجر الصحي

---

[1] شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ والمرض والقوة الامبريالية، تر: أحمد محمود عبد الجواد، ط1، المركز القومي للترجمة، 2010، ص24.

[2] شلدون وتس، المرجع السابق، ص ص 24، 25.

[3] خديجة خيري، الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد الثالث، العدد: 2، 2021، ص134.

قبل الحجر الصحي الذي عمل به الايطاليون، وأنّ الايطاليين أخذوا الإجراء من المسلمين، وهذا لطبيعة العلاقة المُميّزة بينهم وبين الايطاليين الذين نقلوا العلوم العربية الإسلامية نحو أوربا.

5-المصنفات الجزائرية حول وباء الطاعون:

ألّف علماء الجزائر مصنّفات حول الطاعون، واغلبها لها نظرة دينية، ولم يكن أصحابها متخصصين في علوم الطب. في هذه الفترة (العهد العثماني)كانت العلوم الطبية متخلفة، واهتمامات السلطة الحاكمة محدود جدا؛ إذ قارناها بالاهتمامات الأوربية بالطب. نجد الاحتلال الاسباني مباشرة بعد دخوله مدينة وهران أمر الكاردينال خمنيث ثيسنيروس بإنشاء مستشفى سماه سان برنارد (saint Bernard) وتحدّث أدريان بربريجر عن المستشفيات التي أنشأها القناصل والمبشرون الأوربيون بمدينة الجزائر؛ حيث أكد بربريجر أنّ أول مستشفى أوربي في المدينة كان على يد الأب سيباستيان[1] (le père Sébastien) سنة 1551م.

ألّف العربي المشرفي (ت1895م) مصنّفا حول الطاعون سماه" أقوال المطاعين في الطعن والطواعين"؛ بالرغم أنّه لم يكن طبيبا متخصّصا، واستقى معلوماته عن أطباء عرب كابن خاتمة الأندلسي، ولسان الدين ابن الخطيب، وعلي بن عبد الله ابن هيدور، وعن كتاب القانون لابن سينا، وتذكرة للإنطاكي. وأخذ عن كتب ذات طابع ديني مثل مصنف ابن حجر العسقلاني[2] .

ذكر أبو قاسم سعد الله أنّ الرحالة الطبيب ابن حمادوش الجزائري تتلمذ في الطّب على يد عبد الوهاب أدراق طبيب السلطان إسماعيل وأولاده[3]. وألّف عدة تأليف في الطّب والتداوي بالأعشاب، إلى جانب بعض العلوم الأخرى، وأكّد أبو قاسم سعد الله انّ الطبيب ابن حمادوش صنّف كتابا عن الطاعون؛ لكن المؤلّف مفقود[4]. كما ألّف أبي راس الناصري المعسكري عن الطاعون "الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون"[5].

اهتم عثمان بن حمدان خوجة –عاصر الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر سنة 1830م- بالطاعون، وألّف كتابا عن الوباء سماه"إتحاف المنصفين والأدباء بمبحث الاحتراز عن الطاعون". وجمع في هذه الرسالة أقوال الفقهاء والأطباء التي اهتمت بوباء الطاعون، وقسّم رسالته إلى مقالات وأبواب، تتحدّث كلها عن الطاعون[6].

---

[1] (A). Berbrugger, charte des hôpitaux chrétiens d'Alger en 1694, R.A, N°8, Alger, 1864, p.134.

[2] عمر حمدادو، ظاهرة الأوبئة والإمراض في الجزائر من خلال "أقوال المطاعين في الطعن والطواعين" لأبي حامد العربي المشرفي، عصور، العدد، 37، جامعة وهران، ديسمبر 2017، ص235.

[3] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1800م)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص426.

[4] المرجع نفسه، ص426.

[5] فلاح سفيانن، المرجع السابق، ص239.

[6] حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء، مخطوط، ص6.

تميّزت تلمسان بمدرستها الخاصة في الطّب لاعتبارات تاريخية وثقافية، فالمدينة كانت لعدة قرون عاصمة للزيانيين، وملتقى الفكر والثقافة، وزاد وفود أطباء الأندلس إليها بريقا بعد سقوط غرناطة سنة 1492م. كان الطّب في المدينة متوارث بين العائلات التلمسانية العريقة، وذلك ضمن محاولات الحفاظ على مهنة الطّب كجزء من الثقافة والهوية التلمسانية[1].

من أهم الأطباء في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني،: سعيد بن أحمد التلمساني (998/1507م)، والطبيب محمد بن سليمان ابن التلمساني الشهير بلقب الجازولين، والطبيب ابن مريم التلمساني، صاحب كتاب "فتح الجليل في أدوية العليل"[2].

خاتمة:

نستنتج مما سبق: أنّ الجزائر على العموم وبايلك الغرب على الخصوص تعرّض إلى الأوبئة والطاعون منذ القدم، ولقد عانى المجتمع الجزائري من موجات مُميتة للطاعون، وفي حدود موضوعنا تتبّعنا الطاعون كرونولوجيا؛ حيث تفشّى الوباء في عشرات السنين من كل قرن من القرون الثلاثة التي حكم فيها الأتراك العثمانيين في الجزائر، وبالرغم من الإجراءات والآليات المتوفّرة التي اتّخذتها السلطة لمواجهته بالحجر الصحي، الذي لم يكن كافيا لإيقاف تفشيه.

لم يكن في الجزائر أي اهتمام جاد بالعلوم والأبحاث الطبية لمواجهة شتى الأمراض المعدية، على نقيض كانت أوربا في أوج أبحاثها الطبية وتنظيم العمل الطبي.

قائمة المصادروالمراجع:

الكتب:

-الرازي أبو بكر محمد بن زكريا، الحاوي في الطّب، ج17، المجلد السادس، تح: محمد محمد إسماعيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.

أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1800م)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

-الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح: المهدي البوعبدلي، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

-العسقلاني ابن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، د.ت.

شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ والمرض والقوة الامبريالية، تر: أحمد محمود عبد الجواد، ط1، المركز القومي للترجمة، 2010.

[1] العرباوي عمر، هجرة الأطباء العرب واليهود: قراءة في الخصوصية التاريخية والاجتماعية للممارسة الطبية في المجتمع التلمساني، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد السادس، العدد، 2، ديسمبر2014، ص45.

[2] العرباوي عمر، المرجع السابق، ص45.

-حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء في مباحث الاحتراز عن الوباء، مخطوط.
(L). Godard, souvenir de l'expédition de Ximénès, Revue africaine, N°5, Alger, 1861.
-(M). simonet, Alexander Yersin, un bactériologiste, explorateur, agronome, revue de biologie médicale, N°357, novembre- décembre, 2020.
-Adrien Berbrugger, charte des hôpitaux chrétiens d'Alger en 1694, revue africaine, N°8, Alger, 1864.
-Dr .G-Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord Afrique, Imrimerie du gouvernement, Alger, 1855.
-Dr. Laumonier , la peste histoire et traitement, Paris, 1897.
-Elie de la Primaudaie, Histoire de l'Occupation espagnole en Afrique(1506-1574), Adolphe Jourdan, Alger, 1875.
-Henri Léon Fey, Histoire d'Oran avant, pendant après la domination espagnole, typographe perrier, Oran, 1858.
-Nuly Blum, la croisade de Ximénès en Afrique, la fouque, Oran, 1898.
-(M). simonet, Alexander Yersin, un bactériologiste, explorateur, agronome, revue de biologie médicale, N°357, novembre-décembre 2020.
-(J). Marchika, la peste en Afrique septentrionale, thèse pour le doctorat en médecine, Imprimie jules carbonel, Alger, 1927.

المقالات:

-حمدادو بن عمر، ظاهرة الأوبئة والأمراض في الجزائر من خلال كتاب"أقوال المطاعين في الطعن والطواعين" لابي حامد العربي المشرفي، عصور، جامعة وهران، ديسمبر 2017.

-خيري خديجة، الأوبئة والطواعين في ملكة غرناطة،: الطاعون الجارف نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد السادس، العدد الثاني، ديسمبر2014.

-عبد الحق شرف، كتابات العربي المشرفي الجزائري المتوفى سنة 1895م مصدر من مصادر تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر، مجلة الآفاق، جامعة الجلفة، العدد العاشر، جانفي 2018.

الرسائل الجامعية:

-هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الاسباني: قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، جامعة معسكر (2020-2021).

-فلاح سفيان، الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب من خلال المصادر المحلية والأوربية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، جامعة وهران (2021-2022).

المو اقع الالكترونية:

منظمة الصحة العالمية (2022)، تاريخ الدخول 13 افريل 2023 https//www.who.int

طرق وأساليب التداوي والتطبيب بالأندلس خلال العصر المرابطي

Methods and Techniques of Healing and Medicine in Al-Andalus during the Almoravid Era

د. طهير عبد الكريم، جامعة الشلف (الجزائر)
a.tahir@univ-chlef.dz

ملخص:

مثلت الأندلس أهم المناطق التي شهدت تطوّرا كبيرا في مجال الطب خلال العصر الوسيط خاصة خلال فترة نبوغ الحضارة الإسلامية، وتحديدا خلال الفترة المرابطية (447-541هجري/1055-1147ميلادي)، وقد شهدت الأندلس وجود عدد هام من كبار الأطباء الذين كان لهم دور في تطوير طرق وأساليب التداوي، حيث استخدموا علاجات طبية مختلفة مثل استخدام الأعشاب والزهور، وتحضير الأدوية من مكونات طبيعية، كما قام أطباء الأندلس بتحديث أساليب التشخيص والعلاج، فانتشرت بفضلهم أفكار جديدة حول علاج بعض الأمراض.

الكلمات المفتاحية: طرق ، التداوي ، التطبيب ، الأندلس ، المرابطون

summary:

Andalusia represented one of the most important regions that witnessed significant development in the field of medicine during the Middle Ages, especially during the period of Islamic civilization's prosperity, specifically during the Almoravid period (447-541 AH/1055-1147 AD). Andalusia had a significant number of prominent physicians who played a role in developing methods and techniques of treatment. They used various medical treatments such as herbal remedies and flower extracts, and prepared medicines from natural ingredients. Andalusian physicians also updated diagnostic and treatment methods, which led to the spread of new ideas about treating certain diseases.

Keywords: Methods ; Healing ; Medicine ; Andalusia ; Almoravid.

مقدمة:

منذ منصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي شهدت بلاد المغرب والأندلس تقلبات سياسية ومذهبية قادها المرابطون الذين قادوا حركة دينية اصلاحية ببلاد المغرب في إطار المذهب المالكي والتي ما فتئت تتوسع إلى الأندلس بعد استنجاد أهل الأندلس بالمرابطين لرد العدوان المسيحي شمالا، وقد نتج عن نجاح المرابطين في صد العدوان أن أصبحت الأندلس جزءا لا يتجزأ من مكونات الدولة المرابطية.

ورغم التحول السياسي والمذهبي الذي عرفته الأندلس إلا أنّ ذلك لم يؤثر على ازدهار علوم الطب وفروعه من صيدلة وعلم النبات، ذلك أنّ أمراء الدولة اللمتونية أتاحوا الأجواء المناسبة لممارسة العلماء والأطباء نشاطهم المهني والعلمي، وهنا يجب الإشارة إلى أنّ الدولة المرابطية، ومنها الأندلس على وجه التحديد قد ورثت إرثا طبيا له امتداده منذ عصر الخلافة الأموية بالأندلس، ولذلك يمكن اعتبار هذا العصر هو عصر ازدهار الطب بالأندلس.

هذا البحث سوف يبحث في الطرق المبتكرة لدى أطباء الأندلس في عصر المرابطين في علاج الأمراض المختلفة ومن هذه الطرق والأساليب : العلاج بالدهون النباتية من خلال استخلاص الزيوت الأساسية من النباتات، واستخراج المراهم لعلاج الأمراض، والاهتمام بالنظام الغذائي للمريض، هذا فضلا عن استخلاص الأدوية للعلاج.

1- **تطوّر مهنة الطب في الأندلس(نظريا، تجريبيا، تنظيميا):** ارتبط ازدهار الإنتاج في ميدان الطب في الأندلس منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بما حققه المسلمون من كشوف علمية طبية بدراساتهم التجريبية[1]، وقد عرف المسلمون من خلالها فروع الطب كالطب الوقائي، والطب العلاجي والتشريح، والجراحة، وأمراض العيون، وطب الأطفال، وأمراض النساء في مرحلة مبكرة[2]، وعرفوا حتى الطب النفسي،

[1] - توفيق الطويل، لقطات علمية من تاريخ الطب العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الأول، إبريل-مايو، الكويت، 1974م.ص267، محمود الحاج قاسم محمد، انتقال الطب العربي إلى الغرب (معابره وتأثيره)،مجلة المورد، العدد الثاني، أبريل1983، الكويت، ص5-10، محمد العريبي، المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عن العرب، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994م، ص198، محمد سويسي، فلسفة العلم العربي المعرفية الإبستيمولوجية بصفة عامة، وما امتازت به من طريف بالأندلس والمغرب العربي، دراسات أندلسية، العدد السابع، تونس، رجب 1412هـ/جانفي 1992م، ص51.

[2] - سعيد شيبان، مصنف عصري، لطب العين- مرشد الكحالين لمحمد بن أسلم الغافقي، الأصالة السنة الثانية، العدد الثاني، مايو- جوان1974م، الجزائر، ص ص41-55، إبراهيم بن مراد، أبو جعفر أحمد الغافقي في كتاب" الأدوية المفردة، دراسة في الكتاب وتحقيق لمقدمته ونماذج من شروحه، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثلاثون، الجزء الأول،

وقد ضمت أجنحة البيمارستانات أجنحة لأمراض الأعصاب والعقل، ووضع بعض الأطباء رسائل ومؤلفات في هذه الأمراض[1]، وفرق الأطباء في مرحلة متقدمة بين أعراض المرض المتشابهة، وأحسنوا التدبير والكشف والمراقبة[2].

ومنذ القرن الرابع الهجري انتظمت مهنة الطب خاصة من حيث متطلبات تكوين الأطباء، فقد أصبحت تخضع لضوابط نظرية وعملية، وقد ألّف الرازي كتابا في هذا الصدد وهو كتاب **"المرشد"** جعله كتابًا جامعًا لخلاصة صناعة الطب بصورة مبسطة، واحتوى هذا الكتاب قائمة بأسماء المراجع التي يجدر بالطبيب الاستعانة بها لتحصيل الجزء النظري العلمي من الطب، ذلك الجزء الذي لا يكون طبيبًا إلا به"[3].

وبالأندلس ظهرت طائفة من الأطباء اشتغلت بهذا العلم لاكتساب المعارف النظرية الضرورية، فكانت بلاد المشرق موردها الأساسي في الاستفادة من جديد المؤلفات الطبية[4]، وكان لأطباء المشرق الإسلامي صيت كبير، وكانت كتبهم الأساس الذي قامت عليه مدرسة الطب الأندلسي[5]، وكان أبرزهم أبو بكر الرازي الذي كان معروفا في الأندلس وكانت كتبه متداولة بين أطبائها منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بتشجيع من السلطة الحاكمة، فقد عرفت الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمان الثالث(300-350هـ/912-961م) نقلة نوعية في جميع المجالات، بعدما شهدت الدولة الأموية حالة من الاستقرار، وتحولت قرطبة عاصمة الخلافة إلى عاصمة العلم في أروبا والمغرب الإسلامي، يقصدها العلماء والطلاب من المشرق والمغرب، وقد نالت العلوم الطبية مكانتها في الدولة، واستمر هذا الازدهار حتى في عهد خلفه ابن الحكم الثاني المستنصر(350- 366هـ /961- 976م)[6].

الكويت، جمادى الأولى، شوال، 1406هـ/ يناير- يونيو 1986م، ص157-159، محمود الحاج قاسم محمد، ماذا أضاف العرب لعلم الصيدلة، مجلة المورد، المجلد الثاني، العدد الثالث، العراق 1973م، ص ص، 51-52.

[1] - نشأت الحمارنة، طب العيون في الأندلس، دراسات أندلسية، العدد الثامن(عدد خاص)، تونس، 1492-1992م، ص35-47،

[2] - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، كتاب المرشد والفصول" مع نصوص طبية مختارة، تقديم وتحقيق د. ألبير زكي إسكندر، تليه دراسة تحليلية لطب الرازي بقلم، محمد كامل حسين (مجلة معهد المخطوطات العربية) القاهرة، المجلد السابع، الجزء الأول، ذو القعدة، 1380هـ/ مايو 1961م، ص119.

[3] - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، المصدر السابق، ص15.

[4] - محمد عبد العزيز الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية(دراسة وتراجم ونصوص)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص15.

[5] - ابن جلجل الأنلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/ 1958م، ص 98.

[6] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص14.

إنّ الطفرة التي شهدتها الأندلس في القرن الرابع الهجري في ميادين العلم أتت ثمارها، ولم تتأثر بضعف الخلافة الأموية، واستبداد الحاجب المنصور بن أبي عامر من بعد ذلك، بل استمر التوهج العلمي حتّى في عصر ملوك الطوائف وكان الطب والصيدلة وعلم الأدوية والنبات من العلوم التي شملتها رعايتهم[1]. وختم هذا القرن بظهور أبرز أطباء الأندلس –الزهراوي(ت406هـ/1009م)- الذي كان له أثر بالغ في تطوّر علم الطب، والجراحة في الغرب المسيحي من خلال موسوعته الطبية، كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف"، الذي ترجم إلى اللاتينية في وقت مبكر، وظلّ مرجعا يعتمد عليه في الصيدلة، والجراحة طوال قرون من الزمن في أروبا[2].

وخلال القرن الخامس وما تلاه شهدت بلاد المغرب والأندلس تقلبات سياسية ومذهبية، إلى أن خضعت لحكم المرابطين، وأصبحت مراكش عاصمة الدولة في بلاد المغرب والأندلس، وبرغم تلك التّحولات إلاّ أنّ علوم الطب والصيدلة والنّبات لم تتأثر، ذلك أنّ أمراء الدّولة المرابطية أتاحوا الأجواء المناسبة لممارسة العلماء والأطباء نشاطهم المهني والعلمي[3]، فقد ورثت حرفة الطب على عهد المرابطين تراثًا كبيرًا في علمي النباتات والأدوية[4]، وانعكس ذلك بلا شك على مسألة التطبيب والمداواة خاصة بظهور عدد مهم من الأطباء الذين مارسوا مهنة الطب.

كان أطباء الأندلس يجمعون شتى أنواع العلوم، وقد ساعدهم على ذلك إلمامهم الواسع باللغة العربية، فقد تمازج المجهود اللغوي والعلمي لدى كثير من أطباء الأندلس، وعرفوا ما لا يسع الطبيب جهله، وقد أوصى كثير من الأطباء المسلمين بضرورة امتلاك الطبيب زادا علميا كبيرا يتحصل عليه من مطالعة أمهات كتب الطب، يقول في ذلك الرازي وهو أعظم طبيب سريري "**ليس يكفي في إحكام صناعة الطب قراءة كتبها، بل تحتاج مع ذلك إلى مزاولة المرضى، إلا أن من قرأ الكتب ثم زاول المرضى يستفيد من قبل التجربة كثيرًا ولا يشعر بها البتة**"[5]، وإضافة إلى الجانب النظري، زاول كبار الأطباء التجربة العلمية، وكان الزهراوي الطبيب الأندلسي يؤمن بالتجربة والخبرة[6].

[1] - طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، المجلة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1916، ص 67.

[2] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص21، حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء، القاهرة، ط1، 1998م، ص47.

[3] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص23.

[4] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع نفسه، ج1، ص23.

[5] - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، المصدر السابق، ص:119.

[6] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص126.

اهتم أطباء الأندلس بما يعرض في بيئتهم من حالات مرضية خاصّة يقفون عليها، فقد أشار أبو مروان بن زهر إلى عدد من الأمراض البلدية التي تعرض كثيرا في مراكش[1]، كما اهتموا بمجال البحث في مسألة الأدوية، ولا سيما النباتية منها، وقد ساعدهم على ذلك ثراء بيئتهم، فقد كان من نتائج ذلك أنّ عددا من العلماء الأندلسيين ألفوا في مجال علم النبات، كما تركوا أحسن التآليف في الأدوية المفردة[2].

وكان الأطباء يلقون تشجيعا كبيرا من قبل السلطة الحاكمة في الأندلس التي كانت تنظمهم في هيئة إدارية تعرف ب" ديوان الأطباء"[3]، والتي كانت ترعى مصالح الأطباء، وكانت السلطة تهتم أكثر كذلك بتهيئة الظروف للأطباء من خلال تحويل المارستانات إلى مراكز للبحث النّظري والتجريبي، وإذا كانت المصادر التاريخية قد أوردت إلى ما يشير إلى هذا الاهتمام خلال العصر الموحدي، فإنّ لا نستبعد أن يكون العصر المرابطي النواة الأولى لظهور هذه المراكز البحثية.

اهتم المرابطون منذ عهد الأمير يوسف بن تاشفين(448-500هـ/1078-1106م) مؤسس الدولة، بصنعة الطب واعتبروه مهنة ضرورية، فعمدوا على وضع ضوابط وشروط تحافظ عليها، فأحدثوا منصب رئيس الصناعة الطبية لمراقبة أعمال الأطباء[4]، ومن هذه الشروط : منع ممارسة الطب أو الجراحة، أو تحضير الأدوية للذين ليس لهم خبرة في ذلك، كما منعوا ممارسة تدريس الطب بغير علم وتجربة، ولا يجوز للطبيب أخذ الدم من شخص إلا بإذنه[5].

2- أعلام الطب المرابطي : لا شك أنّ عصر المرابطين في الأندلس هو فترة انتقالية بين فترتين مختلفتين، هما فترة ملوك الطوائف وعصر الموحدين، ولذلك فإنّ أعلام العصر المرابطي في كثير من الأحيان عاصروا فترتين مختلفتين، وإذا أغفلنا مسألة التحقيب المرحلي السياسي وحتى المذهبي، فإنّنا سنجد من النّاحية العلمية تواصلا واستمرارية، فقد خدم كثير من علماء ملوك الطوائف أمراء المرابطين،

---

[1] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع نفسه، ج1، ص34.

[2] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع نفسه، ص23 ، 24.

[3] - هو عبارة عن هيئة رقابية لعمل الأطباء ومنع الأخطاء الطبية، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1956م، ص492، السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص208، أحمد بدر، الحياة الفكرية في الأندلس من خلال النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر، مجلة دراسات تاريخية، العدد29، دمشق، 1985، ص12، حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء، القاهرة، ط1، 1998م، ص47.

[4] - نور الدين زرهوني، الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 20006، ص47.

[5] - ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر، بيروت، 1955، ص268.

كما انضوى كثير من علماء المرابطين تحت سلطة الموحدين، وهذا الأمر ينطبق على كل مجالات العلوم تقريبا، بما في ذلك الطب، حيث شهدت فترة المرابطين نبوغ عدد هام من أعلام الطب، وبدون شك فإنّ أسرة ابن زهر الطبية أكثر ما يمكن أن يستدل به على هذه الاستمرارية العلمية.

فخلال العصر المرابطي ظهر أعلام أهم أسرة طبيّة في الأندلس، وهي أسرة ابن زهر، وأكبر أفراد هذه الأسرة العالمة بالطب وتجاربه هو عبد الملك بن زهر(ت 484هـ/1094م) ويكنى أبا مروان، وهو أعظم طبيب سريري بعد الرازي يباشر علاج المرضى في المستشفيات[1]، "**كان فاضلا في صناعة الطب خبيرا بأعمالها مشهورا بالحذق**"[2]، وكان من الأطباء الذين يعتمدون على الأعمال النظرية، وقراءة كتب القدماء، وعلى التجربة العلمية، والملاحظة الطبية السريرية[3].

رحل إلى المشرق، ودخل القيروان، ومصر، وتطبب هناك زمنًا طويلا، ثمّ رجع إلى الأندلس وقصد **مجاهد العامري** بمدينة دانية في عصر ملوك الطوائف، فأكرمه إكرامًا كبيرًا، اشتهر هناك بالتّقدم في صناعة الطّب، وذاع صيته منها في ربوع الأندلس، وكانت له أراءه الخاصة في أمور الطبّ خالف فيها الحكماء، انتقل أبو مروان بن زهر من دانية إلى مدينة إشبيلية، ولم يزل بها إلى أن توفي، وبها ولد له ابنه **أبو العلاء**[4].

اشتغل **أبو العلاء بن زهر**[5] بالطب وهو صغير السن في أيام **المعتضد بالله** صاحب **إشبيلية** وبعد زوال ملكهم أصبح وزيرا **لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين، و أبو العلاء زهر** طبيب عصر المرابطين من أصحاب المكانة الكبيرة عند وجوه الناس، وقد قربه المرابطون، وأغدقوا عليه من النعم والأموال الشيء الكثير، ومدحه كبار الشعراء[6]، **"وحلّ من السلطان محلا لم يكن لأحد في الأندلس في وقته، أحل من**

---

[1] - توفيق الطويل، المرجع السابق، ص268.

Abu 'l-'Ala Zuhr; La Tedkira, Publiée et traduite pour la première fois par Gabriel Colin, Paris, Ernest Leroux, 16-22. Editeur,1911. PP:1-2. Colin(G),Avenzoar, sa vie et ses oeuvres,Paris, Ernest Leroux,1911.PP

[2] - ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص519.

[3] - أحمد مضر صقّال، أسلوب الرازي في تشخيص وتدبير الجدري والحصبة من خلال دراسة رسالته "كتاب الجدري والحصبة"(مجلة معهد المخطوطات العربية)، المجلد السابع والعشرون، ج1، إصدار جديد، الكويت، ربيع الأوّل، شعبان، 1403هـ/يناير-يونيو 1983م، ص199، فرانشيسكو فرانكو سانشث، تطور الطب في الأندلس (المجلة العربية للثقافة)العدد السابع والعشرون، السنة الرابعة عشر، تونس، ربيع الأول،1415هـ/سبتمبر - أيلول، 1994م، ص186، ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، المجلة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1916، ص197.

[4] - ابن الأبّار، المصدر السابق، ج1، ص ص334- 335.

[5] - مرسي محمد عرب، لمحات عن التراث الطبي العربي، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1975م. ص183.

[6] - ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب اللبناني 1410هـ/1989م، ص54.

نفسه محلا لم يحلهُ الماء من الظمآن"[1]، ترك تراثا كبيرا في الطب، والأدب، ومن مؤلفاته الطبّية، معجم طبي بناه على شكل معجم ألف بائي سماه: كتاب **"مجربات الخواص"** أهداه للأمير **أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين المرابطي**، وكتاب "الأدوية المفردة"، و"كتاب الإيضاح" في الرد على **على بن رضوان**، **وكتاب "التذكرة"، ألّفها لابنه عبد الملك**[2]، وكتاب "المدخل إلى الطبّ" في الرد على **حنين بن إسحاق**[3]، وكتاب "النكت الطبية"، ومقالة في بسطه لرسالة **يعقوب بن إسحاق الكندي** في تركيب الأدوية، ومقالة في الرد على **أبي علي بن سينا** في مواضع من كتابه الأدوية المفردة، توفي **أبي العلاء زهر** ستة (**525هـ/1130م**)، وبعد وفاته أمر **أمير المسلمين على بن يوسف** بجمع كتبه ونسخها[4].

وترجم **"كتاب المجربات"** إلى اللاتينية عام **1490م**، واستمر أطباء أوروبا يستمدون منه معلوماتهم الطبية والجراحية إلى غاية نهاية القرن السابع عشر، توفي أبا العلاء زهر بالنغلة، وهذا ما أكده ابنه **أبو مروان عبد الملك بن زهر**(ت557هـ/1162م) **" كالذي أصاب أبي**-رحمه الله- عما ناله من **علي بن يوسف** ما ناله، فإنه احترقت أخلاطه، فأصابته نُغْلة"[5].

---

[1] - ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولا وليفي بروفنسال، ج1، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1982، ص85، ابن بسام، الذخيرة، ق2، المجلد الأول، ص220، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص519، حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص440.
Latifa Benjelloun-Laroui, Les Bibliothèques au Maroc, préface de Mohammed Arkoun (Islam d'hier et d'aujourd'hui) collection dirigée par A.M.Turki (34) éditions G.P.Maisonneuve et larose Paris 1990. P: 24.
مصطفى شريف العاني، الأواصر المكينة بين الأدب والطب (مجلة المورد) العدد الخاص بتاريخ العلوم عند العرب، المجلد السادس، العدد الرابع بغداد، 1398هـ/1977م، ص21.
- Codera y Zaidin, Francisco,Familia Real de los Benitexufin,Extrada-Revista da Aragon 1903.;P:14.

[2] - محمد فارس، موسوعة علماء العرب والمسلمين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993م، ص162.

[3] - عادل زيتون، حنين بن إسحاق ومكانته في الحضارة الإسلامية، (مجلة العربي) الكويت العدد521، المحرم 1423هـ/أبريل 2002م.ص:28 وما بعدها.

[4] - El capitulo del-Ja- en el Kitab Muyarrabat al-Jawass de Abu l- Cambra(Luisa Maria Arvide); Ala'Zuhr(Homenaje Al prof.Jacinto Bosch Vilà,T.II.Granada,1991.P:1099

[5] - عبد الملك بن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، تح: ميشيل، دار الفكر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1983، ص382، عصمت عبد اللطيف دندش، أحداث مرابطية من كتاب التيسير لابن زهر (أضواء جديدة على المرابطين)، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ص ص119-136، بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية (د.ت)، ص471، محمد فارس، المرجع السابق، ص36.

ومن أهم أعلام الطب الأندلسيين نذكر كذلك الجغرافيُّ عبد الله بن عبد العزيز **البكريّ**، أبو عبيد (487هـ/1094م) وهو من أعيان الأندلس وأكابرهم، كانت له معرفة بالأدوية المفردة، وقوّاها ومنافعها، وأسمائها، ونعوتها، وما يتعلق بها، كما كانت له دراية بعلم النّبات، وله من الكتب كتاب **"أعيان النبات والشجريات الأندلسية"**[1].

ومن أطباء المرابطين، علي بن عبد الرحمان الأنصاري الساعدي المعروف بابن اللونقة، أبو الحسن (498هـ/1104م)، من أهل طليطلة، كان فقيها ورعا له بصر بالطب وله فيه تعاليق مفيدة أخذه عن أبي المطرف عبد الرحمان بن وافد الطليطلي، خرج ابن اللونقة من بلده طليطلة بعد تغلب النصارى عليها، فنزل بطليوس ثم انتقل عنها إلى اشبيلية، ثم إلى قرطبة، وبها توفي، وهو شيخ العالم النباتي الفذ مؤلف كتاب "عمدة الطبيب في معرفة النبات"، الذي نجهل لحد الآن اسمه ولقبه[2].

وعرفت دولة المرابطين الطبيب، أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز الداني(529هـ/1134م) العالم الموسوعي، الطبيب الذي رحل إلى مصر في أواخر القرن الخامس، وخدم بعض كبرائها[3]، ثم امتحن بالسجن، بلغ في صناعة الطب مبلغا لم يصل إليه غيره من الأطباء[4]، ألف أبو الصلت عدّة كتب منها كتاب "الأدوية المفردة"، ووضع رسالة طريفة تعرف "بالرسالة المصرية" يصف فيها مصر وأحوالها، وانتقد فيها جهل بعض من عرفهم من الأطباء[5].

وظهر خلال عصر المرابطين الطبيب علي بن عبد الرحمان بن جودي السعدي، أبو الحسن(توفي بعد 530هـ/1135م)، تجول ببلاد المغرب والأندلس، أصله من إلبيرة، سكن غرناطة، اشتهر بالعلوم النظرية، أخذ الطب عن أب العلاء بن زهر، ثم تابع قراءة الطب في غرناطة فأحكم قوانينه[6].

واشتهر زمن المرابطين الفيلسوف محمد بن يحي بن الصائغ الشهير بابن باجة، أبو بكر (ت533هـ/1138م)، من سرقسطة بعنايته بالطب، له في الطب والأدوية كلام عن شيء من كتاب الأدوية

---

[1] - يعد البكري من أعلام الجغرافيين العرب، درس في قرطبة وسكن ألمرية، كانت له عناية بالشعر واللغة، وهو مؤلف كتاب "المسالك والممالك"، وكتاب "معجم ما استعجم"، محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص53.

[2] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص53.

[3] - ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ص460، 461.

[4] - ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ص460.

[5] -محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، .ص26.

[6] - ابن الأبّار، المعجم في أصحاب القاضي الامامأبي علي الصدفي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1420هـ/2000م، ص278، محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، .ص58.

لجالينوس، وله كتاب "التجربتين على أدوية بن وافد اللخمي" ألفه بالاشتراك مع أبي الحسن بن سفيان الأندلسي، وهو من مصادر ابن البيطار[1].

3- **علاج الأمراض في العصر المرابطي:** انتشرت في عصر المرابطين عديد من الأمراض منها الطبيعية، الوبائية، ومنها المستعصية، والتي تعددت أسبابها حسب أطباء العصر الوسيط، وقد استخدم أطباء الأندلس في العصر المرابطي عدة أساليب لمواجهة المرض، فإضافة إلى مؤلفاتهم النظرية، فقد مارسوا مهنة التطبيب، فكانت لهم طرق متعددة لمعالجة المرض، ولم يكتفوا بطريقة معينة، فكان لكل مرض وصفته الطبية كل حسب حالته وتدرجه المرض.

1.3- الأمراض المنتشرة في عصر المرابطين

عرف زمن دولة المرابطين كغيره من الأزمنة انتشار عديد من الأوبئة وما ارتبط بها من أمراض إضافة إلى انتشار الأمراض خارج نطاق الأوبئة، وقد تعددت أسباب حدوث الأمراض والأوبئة، ومنها ما لا دخل للإنسان فيه يعود لأسباب طبيعية، كما كان منها ما يرجع إلى 'عوامل بشرية كالحروب والفتن والثورات، والتي كانت تدوم في بعض الأحيان لفترات طويلة[2]، وتؤدي إلى انتشار الأمراض والمجاعات والأوبئة، كما كانت حركة تنقل الأفراد من بين العوامل المساعدة في تنقل الأوبئة، إذ انتقلت كثير من الأمراض في الأندلس عن طريق العدوى نقلها أشخاص قدموا عبر البحر[3].

أمّا عن الأسباب الطبيعية فالعلماء المسلمين يرجعونها إلى فساد الهواء الذي يؤدي استنشاقه إلى هلاك الناس بالجملة[4]، يقول ابن خلدون في ذلك "سببه في الغالب فساد الهواء لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة"[5]، كما أن للمستنقعات والمياه الراكدة دور في حدوث العديد من الأمراض كالحصى في

[1] - عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص58.

[2] - رشيد يماني، تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني، جامعة تلمسان، 2015، ص57.

[3] - رشيد يماني، المرجع نفسه، ص49.

[4] - عبد الملك بن زهر، كتاب الأغذية، ط1، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص126.

[5] - ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد الاسكندراني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006، ص282.

الكلى والمثانة[1]، كما كان لفترة الانقلاب المناخي التي تحدث بين الفصول آثر في ظهور بعض الأمراض[2]، هذا فضلا عما تفرضه المجاعات من نمط غذائي غير صحي والاضطرار إلى أكل غذاء متعفن وغير صحي[3].

أمّا عن الأمراض التي انتشرت في الأندلس في العصر المرابطي فهي لا تختلف عن الأمراض السابقة لهذا العصر واللاحقة له، ولا تسعفنا المصادر التاريخية في رصد الأمراض المنتشرة في هذا العصر بشكل واضح، وقد تكون سنة 526هـ/1131م مؤشرا مهما يدل على ظهور المرض، إذ انتشرت بالأندلس خلال هذه السنة وباء واستفحلت المجاعة، كما شهدت تلمسان التي كانت تتبع للحكم المرابطي سنة 512هـ/1118م[4] وباءا، وكذلك عرفت مدينة فاس انتشار وباء سنة 524هـ/1129م[5]، وقد تكون من جملة الأمراض المنتشرة في هذا العصر: الجذام الذي كان أكثر الأمراض انتشار في الأندلس[6]،م فضلا عن مرض الفالج[7]، السل[8]، ضيق النفس[9]، أمراض العيون، والأذن، وأمراض المعدة، والنغلة، وغيرها.

وكان الجذام من الأمراض المنتشرة في مدن الأندلس[10] خلال الحقبة المرابطية، والذي يعرف بداء الأسد، لجعله سحنة الإنسان كسحنة الأسد[11]، ونعته ابن زهر بالعلة الكبرى[12]، وهو من الأمراض

---

[1] - عبد الملك بن زهر، المصدر السابق، ص 454 -458.

[2] - ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، نشر ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس لأحمد العربي الخطابي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، ص170.

[3] - عبد الملك بن زهر، المصدر السابق، ص459، عبد الملك بن زهر، كتاب الأغذية، ص126 ، 127.

[4] - ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولا وليفي بروفنسال، ج1، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1982، ص133.

[5] - ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص217.

[6] - أبو الوليد بن رشد، الكليات في الطب، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ص230، ابن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص188، المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1980، 206.

[7] - ابن سينا، المصدر السابق، ج2، ص136

[8] - ابن الأبّار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، ج2، دار المعارف، د، ت، القاهرة، ص2040.

[9] - ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، والأغذية، ج1، دار الكتب العلمية، د،ت، بيروت، ص10، 40.

[10] - أحمد صالح محمد عبد الغني، دور الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة حلوان ، ص01.

[11] - الأنطاكي، بغية المحتاج في المجرب من العلاج، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص344.

[12] - عبد الملك بن زهر، التيسير في المداواة، ص378.

المستعصية إذا استحكم يصعب علاجه، وهو مرض موروث ومعدي، يحدث حسب أطباء العصر الوسيط[1]، بسبب فساد الهواء الذي يعتبر العامل الأهم في حدوث الجذام[2]، فساد المزاج، والتخليط في المأكولات، كأكل الأغذية العفنة[3]، بالإضافة إلى عدم الالتزام بشروط النظافة، كالأكل والشرب في أواني غير نظيفة[4]، والمداومة على بعض أطعمة بعينها[5]، وعدم تدبير المساكن والفصول التي قد تتغير في طبيعتها، كأن يأخذ الخريف طبيعة الربيع، والشتاء طبيعة الصيف، والنوم واليقظة والاحتباس والاستفراغ[6]

4- طرق علاج الأمراض في العصر المرابطي

اهتم أطباء الأندلس بما يعرض عليهم من حالات مرضية فعالجوها بطرق مختلفة، سواء كان ذلك باستخدام العلاج عن طريق الدهون النّباتية، أو عن طريق الأدوية المفردة[7] أو المركبة، وسبق الأندلسيون غيرهم إلى العناية بالجراحة فجعلوا منها علما قائما بذاته مرتبطا بمعرفة التشريح، واهتموا بالطب الوقائي المعتمد على الاهتمام بالتغذية، والحميات الغذائية[8]، كما كان لهم اهتمام حتى بالعلاج النفسي.

كان أكثر ما يلجأ إليه الأطباء في الأندلس العلاج باستخدام الدهون النباتية، ومن الأمثلة على ذلك استخدام دهن الحنظل، أو العلقم، وهو نبات عشبي معمر ينبت في الرمال والبلاد الحارة، وكان له استخدامات عديدة، كعلاج وجع الأسنان، والجذام، وداء الليل، وأوجاع المفاصل[9]، وفي علاج أمراض الكبد، خاصّة أمراض سداد الكبد، كما كانت الدهون النباتية وسيلة لعلاج أمراض أورام الأذن، وذلك بكلأ الأذن بدهن محاح البيض مقترا، ثم تركه ساعة، لتسكين الألم، وبعدها ينفجر الورم وتسيل مادته، أمّا دهن

---

[1] - من أبرزهم الأنطاكي الذي ذكر في "بغية المحتاج" مسببات مرض الجذام، الأنطاكي، بغية المحتاج، ص344.

[2] - عبد الملك بن زهر، كتاب الأغذية، ص143.

[3] - ابن خاتمة، المصدر السابق، ص166.

[4] - عبد الملك بن زهر، المصدر السابق، ص106.

[5] - ابن خاتمة، المصدر السابق، ص166، الأنطاكي، المصدر السابق، ص344.

[6] - الأنطاكي، المصدر السابق، ص344.

[7] - كان التداوي في الأندلس يتم أوّلا بالدواء المفرد، والذي يؤخذ من مصدر نباتي أو حيواني أو معدني دون خلطه مع دواء آخر، ابن وافد، كتاب الأدوية المفردة، دراسة وتحقيق: لويزة فيرناندة أغيري دي كارثر، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، اسبانيا، 1995م، ص17.

[8] - تتعد طرق الحمية الغذائية منها ما يعتمد على أكل الأغذية المعتدلة الباردة أو الجافة، أو أكل الخبز المحكم الصنعة، خاصة خبز القمح الجيد الاختمار، المضاف إليه خل عندما يعجن، مجهول، رسالة في الطاعون، مكتبة الملك سعود، الرياض، 1997م، ص3، ابن الخطيب السلماني، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح: حياة قارة، منشورات دار الأمان، 1436_/2015م، ص66، عبد الملك بن زهر، المصدر السابق، ص371.

[9] - الأنطاكي، المصدر السابق، 112، 293، 344.

البلسان فقد كان يعالج به من كان يعاني من حصوات البول[1]، وقد كان لهذه الدهن دور فعال في علاج الأمراء في بلاد المغرب والأندلس، كما تم بواسطة هذا الدهن معالجة بعض الأمراء المرابطين.

وكان أطباء الأندلس يلجأون إلى العلاج بالأدوية، وكان يتم بطريقة تدريجية ابتداء من الدواء المفرد، وهو ما يؤخذ من مصدره النباتي أو الحيواني أو المعدني[2]، وفي حالة انعدام النّفع أثناء العلاج بالأدوية المفردة ينتقل الطبيب إلى المعالجة بالأدوية المركبة[3]، وكان الجذام أهم وباء عولج بالدواء، فقد ذكر في هذا الصدد ابن زهر مركبين لعلاج الجذام هما: "المركب الأول: كميات مختلفة من (الطرفاء، أدخر، جعيدة، بابونج، أسارون، فودنج نهري، قنطريون دقيق) وينقع كل هذه المواد لمدة ليلة، ثمّ يوضع وزنها عود السوس، وعشرة أطال من الماء، ويسخن على نار هادئة حتى يجف من الماء ثلثه، ثم يصفى ويضاف إليه سبعة أرطال من السكر، ويعاد التسخين مرّة أخرى، ويأخذ منه مريض الجذام"[4].

"المركب الثاني: كميات مختلفة من(أغاريقون، بسبايج، حجر لازود، خرسبق أسود، ورق الحنظل، فستق مدقوق)، ويضع وزن هذه المواد كثيراء، ويضاف إليه لب اللوز مطحون، ويخلط الكل، ويعجن بشراب قشر الأتراج، وشراب السكنجبين، ويأخذ المجذوم وزن ستة دراهم بجرعات ماء فاتر"[5].

أمّا الطريقة الثانية التي ذكرها ابن زهر من أجل علاج الجذام فهي التي تعتمد على الأدوية السّمية (أي التي تعتمد على السموم) فذكر أنّ المجذوم عليه أن "يؤخذ في فصل الشتاء كل ثمانية أيام شراب الأفعى بعد أن تقطع جيدا، وتسلق مرتين بماء مع شبت، ويشرب المجذوم مرقها"[6].

واهتم الأطباء الأندلسيون بالجراحة لعلاج الأمراض المستعصية، فجعلوا منها علما قائما بذاته مرتبطا بمعرفة التشريح، ويعتقد أنّ الزهراوي هو أول طبيب خص الجراحة والجبر بمقاله صافية تؤلف جزءا كاملا من موسوعته الطبية الكبرى، وهو بالتأكيد أول من عني بتصوير آلات الجراحة والكي والتوليد، وهو الذي صمم العديد منها، وقد اشتغل بالجراحة قبله وبعده أطباء آخرون إلاّ أنّهم لم يؤلفوا في هذه

[1] - الإسرائيلي، إسحاق ابن زهر، المقال لفك العقال، تح: محمد مسعود، منشورات الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، 2008، ص143.

[2] - ابن وافد، المصدر السابق، ص17.

[3] - ابن وافد، المصدر نفسه، ص17.

[4] - عبد الملك بن زهر، المصدر السابق، ص371.

[5] - عبد الملك بن زهر، المصدر السابق، ص371.

[6] - عبد الملك بن زهر، المصدر نفسه، ص279، الأنطاكي، المصدر السابق، ص345.

الصناعة كتابا باستثناء محمد بن فرح القربلياني[1]، الذي ألف كتابا في فن الجراحة يعرف ب" الاستقصاء والأورام في علاج الجراحات والأورام"[2].

وكانت بعض الأمراض يصعب علاجها خاصّة إذا قطع مرحلة طويلة، واستشرى المرض، ومنها مرض النغلة، والذي أصاب الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، وإنما كان هذا النوع عسر العلاج بسبب أن الأخلاط المحترقة يعسر نضجها على الطريق الأصلح، فقلما يكون عنها مدة بيضاء ملساء محمودة، وإنما تكون عنها أنواع أُخرى إما مائلة إلى الغُبْرة وإما إلى الدُّكنة، وقد علمنا أنه لا يكون بُرْء في مثل هذه الأورام العظام إلا بالنضج الصحيح الجاري على السبيل الأفضل، لأن الأورام السوداوية مثل هذه لا ينفع فيها عمل اليد(أي الجراحة) ومتى نالها الحديد تفاقم أمرها، وهي أيضًا تأكل ما يتصل بالموضع أكلاً"[3].

واهتم الأطباء الأندلسيين بالطب الوقائي المعتمد على الاهتمام بالتغذية، إذ عرف عن الأطباء المسلمين اهتمامهم بالعلاج بالتغذية عنه العلاج بالأدوية أو حتى بالسموم، ولذلك وضع الأطباء عند انتشار وباء الجذام مثلا حمية غذائية مضادة للداء، وتتمثل في أكل المجذوم الأغذية المعتدلة المائلة للبرودة والجافة كالعدس، الفول، البقول، ويفضل ابن زهر الخبز المحكم الصنعة، كما ينصح بالإكثار من أكل خبز القمح جيد الاختمار، المضاف إليه خل عندما يعجن، وينقع خبز القمح في مرق الدجاج والفراريج[4].

أمّا عن التعامل مع الأوبئة فقد تراوح ما بين دور الأطباء، وتدخل الدّولة، فقد تدخلت السلطة الأندلسية وخصصت حارة للمصابين بالجذام خارج المدن، وكانت بمثابة الحجر الصحي في وقتنا الحالي، وفي الأندلس تشير المصادر إلى وجود حارة الجذامى بقرطبة، كما أشار المازوني إلى ذلك (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) إلى عزل إمام مسجد في مدينة مرسية أصيب بالجذام حتى لا يتأذى الناس منه.

5- انتشار التطبيب في الأندلس في عصر المرابطين: نظرا لما عرفته الأندلس من ازدهار في ميدان الطب فإنّ ذلك ظهرت أثاره على المجتمع الأندلسي، فقد استفادت الطبقة الحاكمة، وأعيان المجتمع من رعاية صحية، أمّا بقية المجتمع فقد تراوحت تغطيته الصحية ما بين الاستفادة ممّا تحقق من تطور طبي، ومابين الاعتماد على الطب الشعبي، خاصة خارج المدن.

1.5- مداواة الطبقة الحاكمة:

---

[1] - طبيب جراح، أصله من قربليان في الأندلس، كان رجلا ساذجا منشغلا بعلم الطب عاكفا عليه، محققا لكثير من النبات، ارتاد المنابت وسرح الجبال، ثم تصدر للعلاج، ورأس به، ألف أهم كتاب في الجراحة والكسور، ، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، ص179-180.

[2] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص35.

[3] - عبد الملك بن زهر، المصدر السابق، ص382، بالنثيا، المرجع السابق، ص471، محمد فارس، المرجع السابق، ص36.

[4] - الأنطاكي، المصدر السابق، ص344.

ارتبطت مداواة الأسرة الحاكمة في الأندلس بازدهار مظاهر الحياة العامة، والتي كان من آثارها م، صازدياد مظاهر الأبهة، وإذا كانت الفترة الأولى من الحكم الإسلامي للأندلس قد انشغل فيها المسلمون بتنظيم أمور الإمارة[1] فإنّه سرعان ما بدأت حياة الترف تطفوا في أوساط الطبقة الحاكمة، حتى إذا بلغ فترة الخلافة الأموية أصبح البذخ جزءا من حياة البلاط، وأصبح معها الطب من أرفع العلوم شأنا عند حكام الأندلس[2]، لذلك كان للبلاط طبيب يختص بالأسرة الحاكمة[3]، وإضافة إلى الأمراء قام الأطباء بمداواة أطفال، ونساء، وجواري الخلفاء، فقد كان الطبيب أبو موسى الأشوني طبيبا لنساء الخليفتين الناصر والمستنصر بالله، وكان ملحقا لنسائهما وجواريهما[4].

وخلال العصر المرابطي تلقى الأمراء المرابطين عناية صحية من قبل الأطباء، خاصة من قبل أسرة بني زهر التي عاصرت المرابطين، ودخلت في خدمة الأسرة اللمتونية التي استطاعت أن توحد العدوتين الأندلسية والمغربية أن تصد الزحف النصراني عن الأندلس، وأهم من دخل في خدمتهم في البداية، أبو مروان ابن زهر، وكان قد اختص أولا بالأمير إبراهيم بن أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين حينما كان واليا على إشبيلية، ويظهر أن أبا مروان لقي أمير المسلمين علي بن يوسف أوّل مرّة في قرطبة[5]، والذي يبدوا أنّه كان يعاني من مرض تمدد غشاء الكبد، حيث يقول "وهذا الوجع- أي الذي يحدثه تمدد غشاء الكبد – كان كثيرا ما يصيب الشقي عليا"، كما كان الأمير المرابطي علي بن يوسف يعاني من وجود حصوات في مجرى البول، فعالجه ابن زهر، ونصحه بشرب ثلث واحد من درهم واحد من دهن البلسان، حتى شفي الأمير من مرضه[6]، كما عالج الطبيب أبو مروان عبد الملك بن زهر الأيادي الاشبيلي(ت557هـ) ورم أصاب أذن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، بكلأ أذنه، فقد ورد عن أبي مروان قوله: "وأذكر أني – وأنا فتى- قد استدعاني الشقي علي بن يوسف إلى قرطبة بسبب ورم كان به داخل أذنه"[7].

---

[1] - يوسف فرحات، يوسف عيد، معجم الحضارة الأندلسية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2000، ص215.

[2] - ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص207، محمد بشير حسن راضي العامري، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص94.

[3] - لمزيد من التفاصيل حول أطباء البلاط منذ عهد الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف، ينظر: ابن جلجل الأندلسي، المصدر السابق، ص98 - 116، ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، المجلة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1916، ص78 وما بعدها.

[4] - ابن جلجل الأندلسي، المصدر نفسه، ص112، محمد بشير حسن راضي العامري، المرجع السابق، ص96.

[5] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص278.

[6] - عبد الواحد محمد بن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تح: محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، 2008، ص143.

[7] - عبد الملك بن زهر، المصدر السابق، ص38.

ومن الأمراء الذين تم علاجهم من قبل هذه الأسرة الأمير سير بن علي بن يوسف(ت533هـ/1138م)، ومن الأمراء المرابطين الذين تمّ علاجهم، الأمير المعتضد بالله أبو عمرو عياد بن الظافر حاكم إشبيلية (433-464هـ/1045-1071م)، الذي عرف عنه شغفه بشرب الخمر[1]، كما ذكر أبو مروان(ت557هـ) أنّه دعي لعلاج رجل من قوم علي بن يوسف اسمه بواذنين وكانت به حصاة.

2.5- مداواة الطبقة العامة

اختلفت وسائل العلاج والتطبيب حسب قدرات الأفراد المادية ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية، وقد تناولنا كيف حظيت الطبقة الحاكمة والأعيان بالرعاية الطبية، لكن عدة أنواع من وسائل العلاج والتطبيب انتشرت في بلاد الأندلس، خاصة تلك التي تعلقت بالطبقة العامّة التي لجأت إلى طرق مختلفة للعلاج من المرض، ومنها الطب الشعبي، وهو ناتج عن تراكم خبرات الأفراد والجماعات، والذي اعتمد على الأعشاب والنباتات، وبعض الأغذية، وقد يلجأ البعض إلى استخدام الكي والفصد، وبعض الطقوس، وبين رفض المرض والضجر منه كان ستره عن أعين الناس هو الغالب.

ونظرا لعدم شمول العلاج كافة الناس بالأندلس، واقتصار الطب العلمي في معظم الأحوال على أعيانهم، ونظرا لطبيعة الناس وميولهم الدينية، وغياب التفسيرات العلمية للظواهر الطبيعية والمرضية فإنّ الغالب على فإنّ الناس دأبت إلى اعتبار المرض قدرا، وامتحانا، لذلك كانت الناس تلجأ إلى ستر المرض، أمّا عن العلاج بالنسبة للأمراض المستعصية فقد اعتمد على الدعاء، أو الرقية، أو العلاج بالريق، كما تم اللجوء إلى الأعين والحمامات الحارة والتي كان يقصدها بعض المصابين بأمراض معينة كالأمراض الجلدية، القروح، القمل، والصرع[2].

كان معروفا على الأطباء الأندلسيين أنّهم يجمعون ثروة طائلة نظير خدمتهم للسلطان ذوي الجاه والمال[3]، لكن ذلك لم يمنع من اهتمام عدد من الأطباء الأندلسيين بمداواة طبقة العامّة، ومنهم الطبيب الزهراوي الذي لم يكن يهتم بالثراء، بل كان من أهل البر والإحسان، وكان يقضي نصف يومه مترددا على دور المرضى ليقدم لهم العلاج، كما كانت داره يؤمها الفقراء طلبا للعلاج مجانا[4]، وقد لعبت المنازل دورا مهما في

[1] - عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد عزب، محمد زينهم، دار الفرجاني، القاهرة، 1994، ص107.

[2] - القادري ابراهيم بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، (المجتمع-الذهنيات-الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص9.

[3] - محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص113.

[4] - ابن جلجل الأندلسي، المصدر السابق، ص144.

علاج المرضى ذلك أنّ ظهور المرافق الصحية، خاصة المارستانات تأخر ظهوره بالمغرب والأندلس حتى عصر الموحدين، لذلك نستطيع الجزم أنّ المنازل حتى عهد المرابطين لعبت دورا لا يستهان به في علاج المرضى، خاصة العوام منهم[1]، كما أنّ أطباء الأندلس كانوا يعالجون العلل التي تصيب الفقراء بأدوية أقل تكلفة كما كانوا يعفونهم من تأدية مصاريف العلاج في بعض الأحيان، وكانت الأوقاف تتكفل بها أحيانا[2].

خاتمة:

في آخر هذا البحث يمكننا تسجيل النتائج التالية:

-يعود الفضل في تطور العلوم الطبية بالأندلس بشكل أساسي إلى العناية الكبيرة التي حظيت بها من قبل السلطة السياسية الحاكمة خاصة الأمراء الأمويون، الذين يعود لهم الفضل في بناء قاعدة معرفية ستكون أساسا لاستمرار الاهتمام بعلوم الطب في الفترات اللاحقة.

- إنّ انفتاح الأندلس على الخبرات العلمية الخارجية في مختلف المجالات، لا سيما منها علوم الطب موضوع بحثنا قد ساهم مساهمة كبيرة في قدرة الأندلسيين على امتلاك مختلف المهارات الطبية، ثم السعي لتطويرها، وقد كانت البداية بترجمة علوم النصارى وترجمتها، ونقدها بعد ذلك، ثم الانفتاح على بلاد المشرق الإسلامي السباقة إلى هذا العلم تأليفا تجربة.

- لم تكن المطبات السياسية الكبرى عائقا أمام استمرار تقدم علوم الطب في الأندلس، بل ظلت هذه العلوم محل اهتمام السلطة السياسية سواء في عصر ملوك الطوائف، أو في فترة انتقال السلطة إلى المرابطين، وقد يعود ذلك حسب اعتقادنا إلى ارتباط مهنة الطب بالقصر ارتباطا وثيقا.

- كان اهتمام المرابطين بمهنة الطب وعلومه، بنفس اهتمام السلط السياسية السابقة واللاحقة برغم الجمود الفكري الذي اتهم به المرابطون، وقد يعود ذلك إلى حاجة الأمراء المرابطين إلى التطبيب نظرا لما أصابهم من علل مختلفة، كما أنّه مرتبط بإرث حضاري أندلسي.

- ظلت علوم الطب في منحى تصاعدي من حيث التطور والممارسة، وذلك لوجود أسرة ابن الزهر التي كانت عماد التطور الطبي في الأندلس.

- لم تكن مساحة التطبيب شاملة لكل أفراد المجتمع المرابطي برغم المجهودات المبذولة، بل كانت تتوزع حسب الطبقات الاجتماعية، فالطبقة الحاكمة والأرستقراطية كان حظها من التطبيب كبيرا، أما الطبقات

---

[1] - محمد حقي، مؤسسات العلاج في المغرب والأندلس، مجلة عصور الجديدة، المجلد8، العدد1، ماي 1439هـ/2018م، ص32، 36.

[2] - ابن بطوطة، تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبعة التقدم، القاهرة، ج11، ص182، الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه مجموعة من الفقهاء باشراف محمد حجي، ج7، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص341-342.

الفقيرة، فبرغم اهتمام الأطباء بها إلاّ أنّ نصيبها من العناية الصحية ظلّ بسيطا، لذلك ظلت تلجأ إلى النظر إلى المرض نظرة دينية، لم تخل من الخرافة.

قائمة المصادروالمراجع

المراجع باللغة العربية

- توفيق الطويل، لقطات علمية من تاريخ الطب العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الأول، إبريل-مايو، الكويت، 1974م.

- محمود الحاج قاسم محمد، انتقال الطب العربي إلى الغرب (معابره وتأثيره)،مجلة المورد، العدد الثاني، أبريل1983، الكويت.

- محمد العريبي، المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عن العرب، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994م.

- محمد سويسي، فلسفة العلم العربي المعرفية الإبستيمولوجية بصفة عامة، وما امتازت به من طريف بالأندلس والمغرب العربي، دراسات أندلسية، العدد السابع، تونس، رجب 1412هـ/جانفي 1992م.

- **سعيد شيبان**، مصنف عصري، لطب العين- مرشد الكحالين لمحمد بن أسلم الغافقي، الأصالة السنة الثانية، العدد الثاني، مايو- جوان**1974م**، الجزائر.

- **إبراهيم بن مراد**، أبو جعفر أحمد الغافقي في كتاب" الأدوية المفردة، دراسة في الكتاب وتحقيق لمقدمته ونماذج من شروحه، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثلاثون، الجزء الأول، الكويت، جمادى الأولى، شوال، 1406هـ/ يناير- يونيو **1986م**.

- **محمود الحاج قاسم محمد**، ماذا أضاف العرب لعلم الصيدلة، مجلة المورد، المجلد الثاني، العدد الثالث، العراق **1973م**.

- **نشأت الحمارنة**، طب العيون في الأندلس، دراسات أندلسية، العدد الثامن(عدد خاص)، تونس، **1492-1992م**.

- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، **كتاب المرشد والفصول"** مع نصوص طبية مختارة، تقديم وتحقيق د. ألبير زكي إسكندر، تليه دراسة تحليلية لطب الرازي بقلم، محمد كامل حسين (مجلة معهد المخطوطات العربية) القاهرة، المجلد السابع، الجزء الأول، ذو القعدة، 1380هـ/ مايو 1961م.

- محمد عبد العزيز الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية(دراسة وتراجم ونصوص)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

- **ابن جلجل الأنلسي**، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/ 1958م.

طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، المجلة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1916.

محمد عبد العزيز الخطابي، المرجع السابق، ج1، ص21، حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء، القاهرة، ط1، 1998م.

- ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1956م.

- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

- أحمد بدر، الحياة الفكرية في الأندلس من خلال النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر، مجلة دراسات تاريخية، العدد29، دمشق، 1985.
- حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء، القاهرة، ط1، 1998م.
- نور الدين زرهوني، الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2006.
- ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر، بيروت، 1955م.
- أحمد مضر صقَّال، **أسلوب الرازي في تشخيص وتدبير الجدري والحصبة من خلال دراسة رسالته "كتاب الجدري والحصبة"**(مجلة معهد المخطوطات العربية)، المجلد السابع والعشرون، ج1، إصدار جديد، الكويت، ربيع الأوّل، شعبان، **1403هـ**/يناير-يونيو **1983م**.
- فرانشيسكو فرانكو سانشث، **تطور الطب في الأندلس** (المجلة العربية للثقافة)العدد السابع والعشرون، السنة الرابعة عشر، تونس، ربيع الأول،**1415هـ**/سبتمبر - أيلول، **1994م**.
- ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، المجلة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1916م.
- مرسي محمد عرب، **لمحات عن التراث الطبي العربي**، منشأة المعارف بالإسكندرية، **1975م**.
- ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، دار الكتاب اللبناني 1410هـ/1989م.
- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولا وليفي بروفنسال، ج1، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1982.
- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة.**
- مصطفى شريف العاني، الأواصر المكينة بين الأدب والطب (مجلة المورد) العدد الخاص بتاريخ العلوم عند العرب، المجلد السادس، العدد الرابع بغداد، **1398هـ/1977م.**
- محمد فارس، **موسوعة علماء العرب والمسلمين**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993م.
- عادل زيتون، **حنين بن إسحاق ومكانته في الحضارة الإسلامية**، (مجلة العربي) الكويت العدد**521**، المحرم 1423هـ/أبريل **2002م**.
- عبد الملك بن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، تح: ميشيل، دار الفكر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1983م.
- عصمت عبد اللطيف دندش، **أحداث مرابطية من كتاب التيسير لابن زهر (أضواء جديدة على المرابطين)، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت.**
- بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية (د.ت).

- ابن الأبّار، المعجم في أصحاب القاضي الامامأبي علي الصدفي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1420هـ/2000م.
- رشيد يماني، تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد الثاني، جامعة تلمسان، 2015م.
- عبد الملك بن زهر، كتاب الأغذية، ط1، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- ابن خلدون، المقدمة، تح: **محمد الاسكندراني**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006، ص282.
- ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، نشر ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس لأحمد العربي الخطابي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988.
- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولا وليفي بروفنسال، ج1، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1982.
- ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- أبو الوليد بن رشد، الكليات في الطب، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م
- ابن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
- المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ، 1980م.
- ابن الأبّار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، ج2، دار المعارف، د، ت، القاهرة.
- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، والأغذية، ج1، دار الكتب العلمية، د،ت، بيروت.
- أحمد صالح محمد عبد الغني، دور الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة حلوان.
- الأنطاكي، بغية المحتاج في المجرب من العلاج، دار الفكر، بيروت، 2001م.
- ابن وافد، كتاب الأدوية المفردة، دراسة وتحقيق: لويزة فيرناندة أغيري دي كارثر، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، اسبانيا، 1995م.
- مجهول، رسالة في الطاعون، مكتبة الملك سعود، الرياض، 1997م، ابن الخطيب السلماني، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح: حياة قارة، منشورات دار الأمان، 1436_/2015م.
- الإسرائيلي، إسحاق ابن زهر، المقال لفك العقال، تح: محمد مسعود، منشورات الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، 2008م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.

- يوسف فرحات، يوسف عيد، معجم الحضارة الأندلسية، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2000م.
- محمد بشير حسن راضي العامري، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
- ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، المجلة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، 1916م.
- عبد الواحد محمد بن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تح: محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس، 2008م.
- عبد الواحد المراكشي، المعجب، تح: محمد عزب، محمد زينهم، دار الفرجاني، القاهرة، 1994م.
- القادري ابراهيم بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، (المجتمع-الذهنيات-الأولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م.
- محمد حقي، مؤسسات العلاج في المغرب والأندلس، مجلة عصور الجديدة، المجلد8، العدد1، ماي 1439هـ/2018م.
- ابن بطوطة، تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبعة التقدم، القاهرة، ج11.
- الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه مجموعة من الفقهاء باشراف محمد حجي، ج7، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

المراجع باللغة الأجنبية

Abu ‘l-’Ala Zuhr; La Tedkira, Publiée et traduite pour la première fois par Gabriel Colin, Paris, Ernest Leroux, Editeur,1911.
-Colin(G),Avenzoar, sa vie et ses oeuvres,Paris, Ernest
- Latifa Benjelloun-Laroui, Les Bibliothèques au Maroc, préface de Mohammed Arkoun (Islam d’hier et d’aujourd’hui) collection dirigée par A.M.Turki (34) éditions G.P.Maisonneuve et larose Paris 1990.
-Codera y Zaidin, Francisco,Familia Real de los Benitexufin,Extrada-Revista da Aragon 1903.
-Cambra(Luisa Maria Arvide);El capitulo del-Ja- en el Kitab Muyarrabat al-Jawass de Abu l-Ala’Zuhr(Homenaje Al prof.Jacinto Bosch Vilà,T.II.Granada,1991.

إسهامات غير المسلمين في مجال الطب في الأندلس.

Contributions of non-Muslims in the field of medicine in Andalusia

د. برحو بوسيف، جامعة تيارت (الجزائر)
boucif.berraho@univ-tiaret.dz

ملخص:

عرفت الأندلس منذ دخول المسلمين إليها، تسامحا عظيما مع مختلف شرائح المجتمع، حتى أولئك الذين كانوا على غير ملة الإسلام، ومن بينهم النصارى واليهود، الذين عانوا الاضطهاد والتنكيل، من قبل حكام شبه الجزيرة الأيبيرية قبل دخول الإسلام إليها، وهو ربما ما اضطرهم إلى مساعدة الفاتحين المسلمين من خلال إمدادهم بالمعلومات اللازمة.

وقد حفظ المسلمون العهود التي أعطوها لأهل الأندلس من غير المسلمين، ولم يبخلوا عليهم بالعدل والمعاملة الطيبة، وفتحوا لهم المجال للتعلم والتعليم، والمساهمة في بناء مجتمع راق ومتقدم في كل المجالات، وعلى رأسها مجال الطب والخدمات الصحية. وقد برز كثير من أهل الذمة في هذا المجال، وكان لهم خدمات جليلة، ومن أبرز هؤلاء على سبيل المثال الطبيب والدبلوماسي اليهودي حسداي بن شبروط، طبيب الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر.

الكلمات المفتاحية: الطب، الأندلس، أهل الذمة، اليهود، النصارى.

summary:

Andalusia, since the entry of Muslims into it, has known great tolerance with the various segments of society, even those who were outside the sect of Islam, including Christians and Jews, who suffered persecution and abuse by the rulers of the Iberian Peninsula before Islam entered it, which may have forced them to help Muslim conquerors by providing them with the necessary information.

The Muslims kept the covenants they gave to the non-Muslim people of Andalusia, and they did not skimp on them with justice and good treatment, and opened the way for them to learn and teach, and to contribute to building a sophisticated and advanced society in all fields, especially the field of medicine and health services. Many dhimmis have emerged in this field, and they have had great services, and among the most prominent of them, for example, the Jewish doctor and diplomat Hasdai bin Shabrot, the doctor of the Umayyad caliph Abd al-Rahman al-Nasir.

Keywords: Medicine, Andalus, Dhimmis, Jews, Chrisians.

مقدمة:

دخل المسلمون الأندلس أو شبه الجزيرة الأيبيرية في أواخر القرن الأول الهجري، ضمن عملية الفتح والدعوة للدين الإسلامي التي انطلقت في وقت مبكر من عمر الدولة الإسلامية، وكانت الأندلس قد عرفت نزوح الكثير من الأقوام إليها، قصدوها طمعا في خيراتها ومواردها، وكان أهلها في الغالب وثنيين، قبل أن يستقر أمر السلطة الحاكمة قبيل دخول المسلمين اليها على اتخاذ الديانة النصرانية دينا رسميا للدولة، وعلى هذا الأساس تم تهميش أصحاب الديانات الأخرى وقمعهم بكل الوسائل، وكان على رأس هؤلاء المنبوذين اليهود، الذين قدموا إلى الاندلس قبل عشرات السنين من دخول المسلمين إليها على حسب أغلب الروايات.

وتخبرنا الروايات التاريخية أن الأندلس، لم تعرف التسامح والعدل في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، إلا في كنف الدولة الإسلامية والحكم الإسلامي. حيث دأب الحكام المسلمون منذ بدايات حكمهم، على معاملة الرعية بما توجبه أحكام الشريعة الإسلامية، ومنح الحرية لكل أصحاب ذي مذهب أو دين، لممارسة شعائرهم وطقوس ديانتهم بكل حرية.

هذا الأمر هو ما ساعد اليهود والنصارى خاصة، على البروز في شتى المجالات، والإدلاء بدولهم ومشاركة المسلمين في النهوض بالدولة، والمساهمة في البناء الحضاري الذي جعل الأندلس من أعظم الدول في العصر الوسيط.

وقد كان الطب من بين الميادين الرئيسية التي كان لغير المسلمين من أهل الأندلس شأن كبير فيها، فقد برز كثير من الداخلين في جملة أهل الذمة في هذا الميدان، وكان لهم باع كبير وحظ وفير وصيت في كل أرجاء المعمورة، تقاسموه مع إخوانهم المسلمين، حتى بلغ بعضهم أن صار بسبب مهارته في مجال الطب، وجيها ومقدما لدى الأمير أو الخليفة.

1- نبذة عن أوضاع اسبانيا وسكانها قبل الفتح الإسلامي:

يرى كثير من المؤرخين أن تسمية الأندلس مأخوذة من قبائل الوندال (Vandales)، التي تعود إلى أصل جرماني، احتلت الأندلس بين القرن الثالث والقرن الخامس ميلادي، فسميت باسمهم (Vandalisai) أي بلاد الوندال، ثم احتل القوط الغربيون (Visigoths) الأندلس في أوائل القرن الخامس ميلادي، وهم الذين طردوا الوندال من الأندلس وخلفوهم على حكمها، والقوط الغربيون قسم من القوط (Goths)، وجماعة رئيسة من الجرمان انفصلوا عن القوط الشرقيين في أوائل القرن الرابع ميلادي، وقد توغلوا في شمال إسبانيا، ثمّ وسّعوا ممتلكاتهم الإسبانية على حساب الوندال، واعتنقوا الكاثوليكيّة واندمجوا مع الرعايا الإسبان وكان آخر ملوكهم لُذَريق الذي هزمه طارق بن زياد.[1]

[1] شيث خ، قادة فتح الاندلس، ج1، ط1، 2003، منار للنشر والتوزيع، ص ص 98،99

ولقد كان أهل شبه الجزيرة الأيبيرية وثنيين كما كان القوط كذلك، إلى أن أخذت الديانة النصرانية تدخل البلاد شيئًا فشيئًا، وانتشر الدين المسيحي في شبه الجزيرة على أصله الموحد على مذهب آريوس، في القرن الرابع الميلادي، وانضم الحكام القوط في طليطلة إلى نفس المذهب الموحد الآريوسي وجعلوه مذهب الدولة الرسمي.[1]

أما اليهود فقد كان دخولهم الى أوربا مبكرا، ففي عام 70 قبل الميلاد، وعندما هدم الرومان المعبد في اورشليم سبوا آلافا من اليهود وباعوهم في أوربا، إلا أن أغنياء اليهود اشتروهم وأعتقوهم فتكونت جاليات يهودية تعيش في أحياء خاصة بهم في كل أرجاء العالم، وكانوا يمتهنون التجارة وبعض الحرف ويحرصون على امتلاك الأراضي، وكانت أكبر جالية يهودية في أوربا هي تلك التي عاشت في إسبانيا.[2]

ولقد كان الملوك القوط يحكمون إسبانيا حكما فرديا مستبدا، وكانوا يستمدون نفوذهم من قوتهم الحربية، وكان للنبلاء ورجال الدين فيها نفوذ كبير في تعيين الملوك وعزلهم، لذلك كان كل مطالب بالعرش يسعى لكسب تأييدهم، ولقد وجد في إسبانيا قبيل الفتح عنصران لكل منهما مشكلاته وهما البشكنس واليهود، فالبشكنس كانوا يرفضون الخضوع للقوط، وكانت ثوراتهم ضد الحكم القوطي لا تنقطع، وبسبب صلابتهم لم يستطع أي ملك قوطي إخضاعهم، أما اليهود فقد كانوا متواجدين بكثرة في إسبانيا، وكانوا معادين للديانة الكاثوليكية، لذلك اعتبرهم القوط عنصرا خطيرا على المجتمع الاسباني، وأصدرت المجامع الدينية قرارات كثيرة ضدهم، فزاد حقدهم وكراهيتهم للسلطة القوطية الاسبانية.[3]

وقد ساد البلاد خلال حكم القوط وضع شاذ من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، حيث كان المجتمع مقسما إلى طبقات، ليس بينها أدنى مساواة، وكان على قمة الهرم الاجتماعي طبقة النبلاء، ورجال الدين والأعيان، الذين كانوا يتمتعون بخيرات البلاد، ولقد استحوذوا على ثلثي الأراضي الزراعية بدون ضرائب، أما بقية الطبقات الأخرى فتتكون من التجار، وصغار الملاك والحرفيين ويمثلون الطبقة الوسطى، وهم الذين يقع على عاتقهم دفع الضرائب الفادحة، ثم طبقة الأرقاء الذين يعملون بالزراعة، يباعون ويشترون مع الأرض، وهناك طبقة أخرى صنفت على أساس طائفي وهي طبقة اليهود، هذه الطبقة التي كان

[1] الكتاني ع، انبعاث الاسلام في الاندلس ط1، 2005، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ص 29، 30.

[2] درويش ه، أسرار اليهود المتنصرين في الاندلس (دراسة عن يهود المارنواس، ط1، 2008، الجيزة: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ص 9.

[3] حتاملة م، الاندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، 2000، عمان: مطابع الدستور التجارية، ص 54.

لها دور تاريخي في سقوط دولة القوط ودخول المسلمين الى الأندلس، وذلك بسبب ما كانت تعانيه من اضطهاد. [1]

وفي ظل هذا المذهب نعم يهود إسبانيا بشيء من الحرية والتسامح أثناء حكم الوندال والقوط فلقد كان المذهب الآريوسي يقوم على التوحيد، ويجعل المسيح عليه السلام إنسانا كاملا، وينفي عنه الألوهية، ويقر بأن الله خلقه من لا شيء، ولقد عاش اليهود تحت حكم القوط لأكثر من قرن ونصف القرن من الزمان في جو من التسامح والإخاء. [2]

ولقد كان عدم تقدير الحاجة إلى التجارة واحدا من العوامل الكامنة وراء المعاملة القاسية التي لقيتها جماعة اليهود في إسبانيا، الذين كانوا في غالبيتهم تجارا، وقد شكلت الصلة الوثيقة بين الأساقفة - الذين كانوا يعتبرون اليهود أعداء- والملك، عاملا آخر من عوامل التوتر في العلاقة بين الدولة واليهود، وقد صدرت في حقهم قرارات قاسية، إلى حد جعلت من المستحيل عمليا على اليهود أن يستمروا في ممارسة التجارة. [3]

وبسبب سياسة التضييق، فقد انخرط اليهود في مؤامرات عديدة ضد السلطة الحاكمة في إسبانيا، ففي سنة 692م، شارك اليهود في مؤامرة كان الهدف منها قتل الملك القوطي وخمسة من كبار رجاله، وترتب على ذلك أن أمر الملك في المجمع السادس عشر سنة 693م بأن يبيع اليهود عبيدهم، وعقاراتهم، وأراضيهم، وكرومهم، بأسعار يحددها الملك وضوعفت عليهم الضرائب فانتفض اليهود إزاء هذه السياسة، وأعادوا التآمر ضد الدولة، ولم يلبث أن افتضح أمرهم، فسارع الملك إلى عقد المجمع السابع عشر في العام التالي، واتهمهم بالخيانة وأعلنهم عبيدا، وصادر ممتلكاتهم، وأمر أن يؤخذ منهم أطفالهم، ليُرَبُّوا وسط النصارى ويتزاوجوا معهم، وإزاء ذلك هرب كثير من اليهود من البلاد، وتم استرقاق الباقين. [4]

ويمكننا القول أن أحوال الرعية في السنوات الثلاثين الأخيرة من حكم القوط في إسبانيا كانت سيئة للغاية، إلى الحد الذي جعل بعض المؤرخين يطلقون على هذه السنوات وصف السنوات العجاف، فقد كانت هذه الفترة مشحونة بالفوضى، وأصاب المدن اضمحلال عام نتيجة لاضطراب أمور الدولة، وعدم

---

[11] زيتون، المسلمون في المغرب والاندلس، 1990، ص 151

[2] الخالدي خ ي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس (92 - 897/ 711- 1492، 1999، غزة: مطبعة ومكتبة دار الارقم، ص 55.

[3] مونتغمري و، في تاريخ اسبانيا الاسلامية، تر: م. ر. المصري، ط2، 1998، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ص 27

[4] (عبادة، 1998، صفحة 48)

الإحساس بالأمن، وسوء الأحوال المعيشية، وسياسة الاستغلال بسبب كثرة المنازعات والصراع الطبقي، والتناحر السياسي إضافة إلى تفكك المجتمع الإسباني وقيامه على الطبقات المتحاجزة.[1]

أثر الفتح الإسلامي للأندلس على الرعايا من غير المسلمين:

كان فتح الإسلام لشبه الجزيرة الأيبيرية فاتحة عصر جديد، وبدأ تطور عظيم في حياتها العامة وفي نظمها الاجتماعية. وقد كانت لعهد الفتح ترزح في غمر مرهقة من الجور والعسف، وكانت أقلية باغية من الأمراء والنبلاء تسود شعباً بأسره وتستغله أشنع استغلال، وتفرض عليه رسوم الرق والعبودية، وتستبيح منه كل الحريات والحرم. فجاء الإسلام ليقضي على ذلك كله، وليحمل نعم العدل والحرية والمساواة إلى الناس جميعاً. وفرض المسلمون الضرائب بالمساواة والاعتدال والعدل، بعد أن كان يفرضها حكم الهوى والجشع، وأمن الناس على حياتهم وحرياتهم وأموالهم. وترك الفاتحون لرعاياهم الجدد حق اتباع قوانينهم وتقاليدهم، والخضوع لقضائهم وقضاتهم، واختاروا في معظم الأحوال لهم حكاما من أبناء جنسهم، يعهد إليهم بسن الضرائب المطلوبة، والإشراف على النظام والسكينة. أما في شأن الدين وحرية العقائد والضمائر، فقد كانت السياسة الإسلامية مثلا أعلى للتسامح. فلم يظلم أحد أو يرهق بسبب الدين أو الاعتقاد، وكان أداء الجزية هو كل ما يفرض على الذميين من النصارى أو اليهود، لقاء الاحتفاظ بدينهم وحرية عقائدهم وشعائرهم، ومن دخل الإسلام منهم سقطت عنه الجزية.[2]

لقد تعاملت المؤسسة الفقهية بالأندلس مع أهل الذمة باعتبارهم مواطنين لهم حقوق المواطنة فقد نقل الفقهاء عن ابن حزم فتواه بأنه إن تعرض أهل الذمة داخل المجتمع لعدوان خارجي فعلى المسلمين قتالهم بالكراع والسلاح أو الموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله.[3] كما أكد ابن سهل أن جميع سكان الاندلس على اختلاف مللهم في الحقوق سواء.[4]

يقول رينهارت دوزي:" وكان الفتح العربي – من بعض الوجوه – خيرا على اسبانيا فقد أحدث ثورة اجتماعية خطيرة وقض على شطر كبير من المساوئ التي كانت ترزح تحتها من عدة قرون.. أما سلطان أصحاب الامتيازات والكهنوت فقد تضاءل ال حد التلاشي، وظهرت الملكيات الصغيرة نظرا لتوزيع الأراضي المصادرة على عدد كبير من الناس مما انطوى على الخير العميم وكان أحد الأسباب التي أدت الى ازدهار

[1] أبوعبية، موجز عن الفتوحات الاسلامية .القاهرة: دار النشر للجامعات، ص 92.

2 عنان م. ع، دولة الاسلام في الاندلس ، ج1، 1997، القاهرة: مكتبة الخانجي. ص 63.

3 القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق ، ج3، عالم الكتب. ص 14.

[4] ابن سهل، ديوان الاحكام الكبرى، تح: ي مراد، القاهرة: دار الحديث. ص 628

الزراعة في اسبانيا العربية. كذلك عمل الفتح على تحسين حال الطبقات الدنيا وكان الإسلام أميل من النصرانية لتحرير العبيد الذين يئسوا من تحريرهم عل يد القسس أيام الحكم القوطي... كذلك تحسنت حال رقيق الأرض الموجودين في أملاك المسلمين فأصبحوا زراعا وتمتعوا بنصيب من الاستقلال وصار لهم مطلق الحرية في زراعة الأرض وفق ما يشتهون. [1]

وعلى الرغم من أن السلطة الإسلامية في الأندلس لم تجبر أهل الذمة على الاستقرار في أحياء معينة، إلا أن معظمهم كانوا يفضلون ذلك، ذلك أن الانسان بطبعه ميّال للعيش بين قومه وعشيرته وأهل ملته، وليس هؤلاء وحدهم من حددت لهم أحياء خاصة بهم، بل كانت تلك عادة المسلمين عند تنظيم الاستقرار في مدنهم، إذ يعطى لكل قبيلة أو عشيرة جزء من المدينة ليكون لها مستقرا خاصا بها وقد يحمل اسمها، على أن أفراد هذا الحي أو ذاك لا يمنعون من الاستقرار أينما شاؤوا من الأندلس. [2]

يقول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة): "ولما أن تحرر اليهود في إسبانيا الإسلامية من القيود المفروضة على نشاطهم الاقتصادي انتشروا في جميع ميادين الزراعة، والصناعة، والمال والمناصب العامة، ولبسوا ثياب العرب، وتكلموا بلغتهم، واتبعوا عاداتهم، فلبسوا العمامة والأثواب الحريرية الفضفاضة، وركبوا العربات حتى أصبح من العسير تمييزهم من بني عمومتهم الساميين واستخدم عدد من اليهود أطباء في بلاط الخلفاء والأمراء وعين أحد هؤلاء الأطباء مستشاراً لأعظم خليفة من خلفاء قرطبة."[3]

ولم يحرم أهل الذمة من امتلاك الأراضي بل على العكس لقد احتفظوا بملكية الأراضي في الريف الأندلسي، ومن ذلك ما اتفق عليه أبناء غيطشة وطارق بن زياد على أن يمضي لهم ضياع أبيهم بالأندلس والمقدرة بثلاثة آلاف ضيعة والتي سميت صفايا الملوك في مقابل أن يتعاونوا معه، كما كان أهل الذمة يملكون معظم الأراضي التي فتحت صلحا، في مقابل أداء ما عليها من ضرائب، تنفيذا لشروط المعاهدات التي عقدوها مع الفاتحين، ولقد تراوحت أشكال الملكية بين ملكية جماعية وملكية فردية وملكيات كبيرة وملكيات متوسطة وصغيرة.[4]

الطب في الأندلس:

---

[1] دوزي ر، المسلمون في الأندلس، ط1، تر: ح. حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص 48، 49.

[2] الشماخ أريج، الوجود اليهودي في الاندلس منذ عصر الامارة وحت نهاية عصر الطوائف (138- 484هـ / 755- 1091م) دراسة تاريخية حضارية، قسم التاريخ جامعة أم القرى رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير غير مطبوعة، المملكة العربية السعودية، 2016، ص ص 67، 68.

[3] ديورانت و، قصة الحضارة ، ج 14، 1988، بيروت: دار الجيل، ص 51.

[4] قرني ح، المجتمع الريفي في الاندلس في عصر بني أمية (138- 422/ 756- 1031ط1، 2012، القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، ص 328.

تُوِّج الطب العربي بقمة ازدهاره وتقدمه وتطوره، في الأندلس وعاصمتها قرطبة، التي شهدت تطورا ملحوظا في النواحي العمرانية والاجتماعية والفكرية، لاسيما في عهدي الامارة والخلافة. إذ شهدت الأندلس فيها مدة الاستقرار والأمن، ونشطت النفوس وتفتحت الآمال، وانصرف الراغبون في العلم إلى الدرس والتحصيل، وانتشرت حلقات الشيوخ وكثرت الكتب في أيدي الناس، حتى ظهر الفقيه والشاعر والأديب والمهندس والفلكي والطبيب، وظهرت العقلية العلمية المتحضرة لدى الاندلسيين. والحق أن الأندلسيين كانوا يتمتعون بميل شديد ورغبة نحو العلم والمعرفة، حتى أن الرجل منهم كان ينفق كل ما عنده من مال في سبيل ذلك، ومتى عرف أحدهم بالعلم أصبح في مقام تكريم وإجلال ويشار إليه بالبنان، ولقد أجلّ الأندلسيون العلماء والفقهاء ورجال الأدب، وكان لهؤلاء الريادة والقيادة في المجتمع الأندلسي، ولقد امتازت علومهم بالموسوعية والشمول، ذلك أن كل عالم منهم برع في أكثر من تخصص فترى كل واحد منهم من سيرته أنه كان فقيها وفيلسوفا وطبيبا.[1]

كانت قرطبة حاضرة الاندلس وأعظم مركز للعلوم والمعارف الإسلامية في أوربا، في أثناء العصور الوسطى، في الوقت الذي كان الجهل والظلام والمرض يسود العالم المسيحي، ولذلك كان يتوافد إليها من المشرق والمغرب الأهل والأصدقاء والجيران، وقد قصدها عدد كبير من الأمراء ورجال الدين والفكر والعلم، فقد زارها حاكم مملكة نبارا سانجو السمين للشفاء من سمنته المفرطة، حيث تم علاجه وشفاؤه من قبل أطباء قرطبة في خلافة عبد الرحمان الناصر، هذا الأخير الذي بلغ الطب في زمنه ذروة السنام، وإليه وإلى ابنه المستنصر يرجع الفضل في إنشاء أول جامعة متطورة ي قرطبة، استقدم إليها العلماء من كل بقاع العالم، وأغدقت الأموال على اقتناء أمهات الكتب في مختلف العلوم، بالإضافة إلى ما كان يهدى إليها من حكام وملوك الدول المجاورة، ومنها كتاب ديوسقوريدس في النباتات والأعشاب هدية ملك القسطنطينية إلى الخليفة بقرطبة.[2]

2- ثلة ممن برع في صناعة الطب في الأندلس من النصارى واليهود:

4-1 خالد بن يزيد بن رومان النصراني:

كان بارعا في الطب ناهضا في زمانه فيه وكان سكناه بيعة شنت أجلج، وكانت داره الدار المعروفة بدار ابن الشطجيري الشاعر، وكسب بالطب الأموال والعقار، وبنى الحمام المنسوب إليه الذي بجنب داره، وكان

[1] زينل ن ع، الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها عل التطور الحضاري في أوربا، ط1 .بيروت: دار الكتب العلمية. ص 97.

[2] العامري م، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، بيروت: دار الكتب العلمية. ص 13

صانعا بيده عالم بالأدوية، وظهرت منه في البلد منافع، وكتب إليه نسطاس بن جريح الطبيب المري رسالة في البول، وأعقب خالد ابنا سماه يزيد لكنه لم يبرع في الطب براعة أبيه.[1]

2-4 يحيى بن إسحاق الطبيب الأندلسي:

أحد وزراء عبد الرحمن الناصر من بني أمية المستولين عَلَى الأندلس، وَكَانَ إسحاق أبو يحيى نصرانياً طبيباً صانعاً بيده مشهوراً فِي أيام الأمير عبد الله، وَكَانَ يحيى هَذَا ولده بصيراً زكياً فِي العلاج، استوزره عبد الرحمن الناصر وولاه الولايات الجليلة بعد إسلامه، ونال عنده حظوة وألف فِي الطب كتاشاً فِي خمسة أسفار يسمى الإبريسم، ذهب فِيهِ مذهب الروم بحكم أن هَذَا النوع لَمْ يكن استقر بالأندلس ولا اشتهر شهرته.. وروى راو أنه رآه قاعداً عَلَى باب داره يوماً، إذ أقبل رجل بدوي عَلَى حمار وهو يصيح ويقول: أدركوني وكلموا الوزير بسببي، فخرج وقال للرجل: مَا بك؟ فقال: أَيُّها الوزير. ورم فِي إحليل أيري، منعني البول منذ أيام كثيرة، وأنا فِي حد الموت فقال: اكشف عنه ففعل، فإذا هو وارم. فقال لرجل كَانَ مع العليل: أطلب حجراً أملس فطلبه وأتى بِهِ الوزير فقال: ضعه فِي كفك وضع عَلَيْهِ الإحليل، فلما تمكن إحليل الرجل من الحجر جمع الرجل يده وضربه عَلَى الإحليل ضربة، غمي عَلَى الرجل منها ثُمَّ اندفع الصديد يجري فما استوى بالرجل جرى الصديد والدم حَتَّى فتح عينيه، ثُمَّ جعل يبول فِي أثر ذَلِكَ فقال لَهُ: اذهب فقد برئت من علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة فِي دبرها، فصادفت شعيرة لحجت فِي عين الإحليل فورم، وَقَدْ خرجت فِي الصديد فقال لَهُ الرجل: بلى فعلت فأقر وهذا يدل عَلَى حدس صحيح وقريحة صادقة.[2]

3-4 مَرْوَان بن جنَاح:

كان يهُودِيا له عناية بصناعة المنطق، والتوسع في علم لسان العرب واليهود، ومعرِفة جيدة بصناعة الطب، وله من الكتب كتاب التلخيص، وقد ضمنه ترجمة الأدوية المفردة وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الأوزان والمكاييل.[3]

4-4 إِسحاق بن قسطار:

كانَ يهودِيا خدم الْموفق مجاهدا العامري وَابنه إقبال الدولة عليا. وكان إِسحاق بصيرا بأصول الطبّ، مشاركا في علم المنطق مشرفا على آراء الفلاسفة، وَكان وافر العقل جميل الأخلاق، وَله تقدم فِي علم اللغة

[1] ابن-جلجل، طبقات الاطباء والحكماء. تح: ف. رشيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة. 1955، ص 96.

[2] ابن-جلجل، نفسه، ص،ص 100، 101.

[3] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء تح: ن. رضا، دار مكتبة الحياة، ص 498.

العبرانية، بارعا في فقه اليهود، حبرا من أَحبارهم، وَلم يتخذ قطّ امرأة وتوفي بطليطلة سنة ثمان وأَربعين وأربعمائة، وله من العمر خمس وَسبعون سنة.[1]

4-5 حسداي بن شبروط:

كان حسداي بن شبروط (915 - 970) بالنسبة لعبد الرحمن الثالث، ما كانه نظام الملك في القرن التالي لملك شاه. وقد ولد حسداي في أسرة ابن عزرا المثرية المثقفة، علّمه أبوه اللغات العبرية، والعربية، واللاتينية، ودرس الطب، وغيره من العلوم في قرطبة، وداوى الخليفة من أمراضه، وأظهر من واسع المعرفة وعظيم الحكمة في الأمور السياسية، ما جعل الخليفة يعينه في الهيئة الدبلوماسية للدولة، ولما يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره كما يلوح. ثم عهدت إليه تباعاً أعمال أخرى ذات تبعات متزايدة في حياة الدولة المالية والتجارية. على أنه لم يكن له لقب رسمي لأن الخليفة تردد في منحه رسمياً لقب وزير، خشية أن يثير عليه النفوس. ولكن حسداي قام بمهام منصبه الكثيرة بكياسة أكسبته محبه العرب، واليهود، والمسيحيين على السواء، وقد شجع العلوم والآداب، ومنح الطلاب الهبات المالية والكتب بلا ثمن، وجمع حوله ندوة من الشعراء، والعلماء، والفلاسفة، فلما مات تنافس المسلمون واليهود في تكريم ذكراه.[2]

كانوا قبله يضطرون في فقه دينهم، وسني تاريخهم ومواقيت أعيادهم، إلى يهود بغداد فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين، يتعرفون به مداخل تاريخهم ومبادئ سنيهم، فلما اتصل حسداي بالحكم ونال عنده نهاية الحظوة، توصل به إلى استجلاب ما شاء من تآليف اليهود بالمشرق، فعلم حينئذ يهود الأندلس ما كانوا قبل يجهلونه، واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه. [3]

4-6 أبو الفضل بن حسداي:

يقول عنه الفتح ابن خاقان: "الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي سابق برز، وأحرز من البلاغة ما أحرز وجرى في ميدانها إلى أبعد أمد، وبنى أغراضها بالصفاح والعمد، فغبر وجوه سوابقها، إذا كتب انتسب إليه السحر أصح انتساب، ونسق المعجزات نسق حساب، ورأى البدائع بيض الوجوه كريمة الأحساب، وقد كانت المذمة تقعده عن مراتب أكفائه، وتصرفه تصريف المهيض وتقعده في ذلك الحضيض، حتى ألحقه الله بأقرانه، وأقاله من متجر خسرانه، فتطهر من تلك السمة، واستظهر بعقيدته التي قيدت في ديوان

[1] ابن أبي-أصيبعة، المصدر السابق، ص 498.

[2] ديورانت، المرجع السابق، ص 51.

[3] ابن أبي-أصيبعة، نفسه، ص 498.

الحق مرتسمة، وبدت محاسنه سافرة القناع كافرة بذلك الدين الذي عدل بها من الإقناع، وقد أثبت له من ذلك مالا يرجى له لحاق، ولا يغشي تمامه محاق."[1]

وهو من سَاكِنِي مَدِينَة سرقطسة وَمن بَيت شرف في الْيَهُود من ولد مُوسَى النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام عني بالعلوم والمعارف، أحكم علم لِسَان الْعَرَب، ونال حظا وافرا من صناعَة الشّعْر والبلاغة وبرع فِي علم الْعدَد والهندسة والفلك وصناعَة الموسيقى، وأتقن علم الْمنطق، وتمرن بطرق الْبَحْث وَالنَّظَر واشتغل أَيْضا بِالْعلمِ الطبيعي، وكان له عناية بالطب، وَكَانَ فِي سنة 458هـ/ 1066م فِي سن الشبيبة.[2]

يُعدُّ ابن حسداي من الفضلاء في صناعة الطب، له عناية بالغة في الاطلاع على كتب أبقراط وجالينوس وفهمها، وكان قد سافر من الأندلس إلى الديار المصرية واشتهر ذكره بها، وتميز في أيام الآمر بأحكام الله من الخلفاء المصريين، وكان خصيصا بالمأمون وهو أبو عبد الله محمد بن نور الدولة أبي شجاع الآمري في مدة أيام دولته وتدبيره للملك، وكان المأمون في أيام وزارته له همة عالية ورغبة في العلوم فكان قد أمر يوسف بن أحمد بن حسداي أن يشرح له كتب أبقراط، إذ كانت أجل كتب هذه الصناعة، وأعظمها جدوى، وأكثرها غموضا وكان ابن حسداي قد شرع في ذلك ووجدت له منه شرح كتاب الأيمان لأبقراط. وقد أجاد في شرحه لهذا الكتاب واستقصى ذكر معانيه وتبيينها على أتم ما يكون وأحسنه، ووجدت له أيضا شرح بعض كتاب الفصول لأبقراط.[3]

ومن فقرة وردت في كتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسي، يبدو أن هذا الأخير التقى به وكان من معارفه، وذلك ما يفهم من قوله حين يأتي على ذكر ابن حسداي فيقول: "ومنهم من فتيان عصرنا أبو الفضل حسداي ... فارقته سنة ثمان وخمسين وهو خارق حجبه، وإن امتد به الأجل واتصلت به العناية فسيوفي على صناعة الهندسة، ويستوجب فنون الحكمة، هذا وهو بعد فتى لم يبلغ الأشد، إلا أن الله يخص بفضله من يشاء وهو على كل شيء قدير."[4]

وقد ذكره ابن بسام في الذخيرة بقوله: "كان أبوه يوسف بن حسداي بالأندلس من بيت شرف اليهود، فنجم بأفق سرقسطة في ذرا دولة ابن هود، وكان له في الأدب باع، وبما حمل من أعباء تلك الدولة استقلال واضطلاع، ونشأ أبو الفضل ابنه هذا صفة احتملها، وكناية اختزلها، هضبة علاء، وجذوة ذكاء، وذهبوا أن جارية ذهبت بلبه، وغلبته على قلبه، فجن بها جنونه، وخلع اليها دينه، وعلم بذلك صاحبها فزفها إليه، ووضع

[1] ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان .مصر. 1866، ص ص 545، 546.

[2] ابن أبي-أصيبعة، المصدر السابق، ص 499.

[3] ابن أبي-أصيبعة، نفسه، ص 499.

[4] ابن صاعد، طبقات الأمم، تح: ل ش. اليسوعي، بيروت: المكتبة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، 1912 ص 89

زمامها بين يديه، فتجافى عن موضعه من وصلها أضيع ما كان بين دلالها ودلها، أنفة من أن يظن الناس أن إسلامه كان من أجلها، فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس أمره". [1]وقال عنه أيضا: "وهو أحد من عني في هذا الاقليم، بالنظر في أنواع التعاليم، على مراتبها، وتناول الفنون من طرقها، وأحكم علم لسان العرب، وبلغ الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب، فطارت الكتابة باسمه، وخلت بينه وبين حكمه، ولم يكن له بالشعر عناية، فلم يجر منه إلى بعيد غاية"[2]

والظاهر أن أبا الفضل ابن حسداي لم يبق على دينه، بل اعتنق الإسلام وفارق اليهودية وهو ما يؤكده أيضا حاييم الزعفراني بقوله: "وكان أبو الفضل حسداي السرقسطي قبل أن يعتنق الإسلام صاحب نظر في الموسيقى ومن الذين يضربون آلاتها ويعانون ألحانها".[3]

وعليه يمكننا القول أنّ أبا الفضل حسداي كان متمرسا وبارعا في علوم شتى، ونال قصب السبق في المعارف المختلفة، نهل من كل مورد وينبوع، شهد له بذلك المتقدمون والمتأخرون، وهو ما ساعده لينال الحظوة في إمارة بني هود في سرقسطة زمن ملوك الطوائف.

خاتمة:

في الأندلس ساهم المسلمون وغيرهم من معتنقي الديانات الأخرى، في ذلك البناء الحضاري الذي عرفت به الدولة الإسلامية التي قامت على أنقاض تاريخ من الجور والظلم والتهميش للمخالفين. فبسبب سياسة التسامح التي عرف بها المسلمون واحترامهم للآخر استطاع كثير من النصارى واليهود، أن يحجزوا لهم مكانة في قائمة العلماء وصناع التاريخ. وتاريخ الأندلس يعج بتراجم الشخصيات الفذة من أهل الذمة الذين برعوا في شتى المجالات والعلوم ومنها الطب.

لقد كان الأطباء اليهود والنصارى من بين أشهر أطباء المعمورة في ذلك الوقت، بزغ نجمهم وذاع صيتهم، حتى صار يحُجُّ إليهم من كل المناطق القريبة والبعيدة طلبا للعلاج والشفاء. ولا غرابة أن يتخذ حاكم قوي مثل عبد الرحمان الناصر طبيبا يهوديا خاصا به وبعائلته، ولفرط إعجابه به وبراعته يعلي مكانته فيجعله في مرتبة الوزير والمبعوث الدبلوماسي.

---

1 ابن بسام .(1979) .الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تح: إحسان عباس، ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب، 1979، ص58

[2] ابن بسام، نفسه، ص

[3] الزعفراني حاييم، يهود الأندلس والمغرب، ج1، تر:أ. شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، 2000، ص 188

وختاما يمكننا القول، أنه لا يجدر بأي حال من الأحوال، نكران إسهامات غير المسلمين في مجال الطب، أو غيره من المجالات العلمية والعملية، سواء في الأندلس أو في غيرها من بلدان العالم الإسلامي في العصر الوسيط. ذلك أن إسهاماتهم كانت جليلة وعظيمة بالقدر الذي لا يمكن التغافل عنها أو جحودها.

البيبليوغرافيا:

ابن-بسام, ا .(1979) .الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) .إ. عباس (.Éd ,ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب.

ابن-جلجل, س. ب .(1955) .طبقات الاطباء والحكماء) .ف. رشيد (.Éd ,مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة.

أبوعبية, ط. ع .(s.d.) .موجز عن الفتوحات الاسلامية .القاهرة: دار النشر للجامعات.

أبي-أصيبعة, أ. ب .(s.d.) .عيون الأنباء في طبقات الأطباء) .ن. رضا (.Éd ,دار مكتبة الحياة.

الخالدي, خ. ي .(1999) .اليهود في الدولة العربية الاسلامية ي الاندلس (92 - 897 /711- 1492 .(غزة: مطبعة ومكتبة دار الارقم.

الخماش, أ. ب .(2016) .حضارية, الوجود اليهودي في الاندلس منذ عصر الامارة وحت نهاية عصر الطوائف (138- 484هـ / 755- 1091م) دراسة تاريخية .قسم التاريخ جامعة أم القرى رسالو مقدمة لنيل شهادة ماجستير غير مطبوعة, المملكة العربية السعودية.

الزعفراني, ح .(2000) .يهود الأندلس والمغرب) .(Vol. 01)أ. شحلان (.Trad ,مطبعة النجاح الجديدة.

العامري, م. ب .(s.d.) .فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس .بيروت: دار الكتب العلمية.

القرافي, ش. ا .(s.d.) .أنوار البروق في أنواء الفروق .(Vol. 03)عالم الكتب.

الكتاني, ع. ب .(2005) .انبعاث الاسلام في الاندلس .(éd. 01)بيروت: دار الكتب العلمية.

حتاملة, م. ع .(2000) .الاندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة .عمان: مطابع الدستور التجارية.

خاقان, ا. ا .(1866) .قلائد العقيان ومحاسن الأعيان .مصر.

درويش, ه .(2008) .أسرار اليهود المتنصرين في الاندلس (دراسة عن يهود المارنواس .(éd. 01) (الجيزة: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

دوزي, ر .(s.d.) .المسلمون في الأندلس) .(Vol. 01)ح. حبشي (.Trad ,الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ديورانت, و .(1988) .قصة الحضارة .(Vol. 14)بيروت: دار الجيل.

زيتون, م. م .(1990) .المسلمون في المغرب والاندلس .

زينل, ن. ع .(2013) .الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها عل التطور الحضاري في أوربا .(éd. 01)بيروت: دار الكتب العلمية.

سهل, ا. ا .(2002) .ديوان الاحكام الكبرى) .ي. مراد (.Éd ,القاهرة: دار الحديث.

شيث, خ. م .(2003) .قادة فتح الاندلس .(éd. 01, Vol. 01)منار للنشر والتوزيع.

صاعد, ا .(1912) .طبقات الأمم) .ل. ش. اليسوعي (.Éd ,بيروت: المكتبة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين.

عبادة, ك .(1998) .الدواني في التاريخ الاسباني .(éd. 01)

عنان, م. ع .(1997) .دولة الاسلام في الاندلس .(Vol. 01)القاهرة: مكتبة الخانجي.

قرني, ح .(2012). المجتمع الريفي في الاندلس في عصر بني أمية (138- 422/ 756- 1031 .(éd. 01) (القاهرة: المجلس الاعل للثقافة.

مونتغمري, و .(1998). في تاريخ اسبانيا الاسلامية) .(éd. 02)م. ر. المصري (.Trad ,بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

الطب والممارسة الطبية حسب ابن خلدون

Medicine and the medical practice according to Ibn Khaldoun

ط.د مشري حياة ، جامعة باتنة 01 (الجزائر)

PhD. mecheri hayette / University of batna 1 / Algeria
haya.hayet@gmail.com

الملخص:

لقد عرفت الإنسانية عبر تاريخها شخصيات كان لها دور بارز في حياة مجتمعاتها، ومن بين هذه الشخصيات نجد ابن خلدون الذي يعد أحد أهم مفكري العرب والمسلمين والذي امتلك فكرا متفتحا مبدعا، ما أتاح له البحث بعيدا عن الأطر المتعارف عليها في عصره ووفق رؤية أكثر موضوعية وواقعية، وهذا ما يظهر من خلال نظرته لحقل العلوم عامة والعلوم الطبية خاصة، فقد استطاع بعبقرية بالغة إدراك ما ينبغي إدراكه مما خفي على علماء عصره، ولهذا الاعتبار كان موضوع المقال يتمحور حول الطب والممارسة الطبية حسب الرؤية الخلدونية، والتي تعبر عن واقع الحياة الفكرية والاجتماعية لدى العرب والمسلمين في ذلك العصر، ومن أجل ذلك حاولنا فيه البحث تمحيصا وتدقيقا فيما يلي:

- تصنيف ابن خلدون للعلوم الطبية ضمن العلوم العقلية .
- معرفة أقسام علم الطب وتخصصاته وطرق العلاج حسب ابن خلدون .
- استخلاص رؤية ابن خلدون فيما يخص الحاجة إليه .

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون، الطب، العلوم العقلية، الممارسات الطبية، العلاج.

Abstract:

Over the course of history, the humanity has known outstanding figures who had major impacts in societies' live, Ibn khaldoun, the Muslim Arab intellect, was one of these prominent figures, he had a creative and open intellect that enabled him to go beyond the conventional limits of the research during his era, His vision was more objective and factual, and this is clearly manifested in his views on science mainly on medical science, He brilliantly realized what was hidden on his contemporaries.

Thus. the theme of the paper (article) is about medicine and the medical practice based on Ibn Khaldoun's views, It represents the situation of intellectual and social life of the Muslims and Arabs during the era, Therefore, we attempted to examine following topics.

- Ibn Khaldoun's classification of medical science amongst mental sciences .
- To know Department and specialties of medical science and the methods of treatment according to Ibn Khaldoun .
- Extracting the vision of Ibn Khaldoun on the need for medical science .

Key words: ibn khaldoun, medicine, mental sciences; medical practice, treatment

1- المقدمة:

تعتبر المعارف الطبية من أولى المعارف والعلوم التي أولتها كثير من الشعوب والأمم أهمية كبيرة، لما لها من علاقة مباشرة بوجود الإنسان وكنهه، والعرب كغيرهم من الشعوب كانت لهم معارفهم الطبية الخاصة رغم ما كان يخالطها من سحر وشعوذة، لكن ظهور الإسلام وتشجيعه للعلم والبحث العلمي، جعل العلماء العرب المسلمين يبدعون في هذه العلوم بحثا ودراسة ونقدا، فأخضعوها للعقل والتجربة معا، ونظروا في تصنيفها ضمن العلوم لبيان شرفها.

فكان من بين هؤلاء العلماء عبد الرحمان بن خلدون، الذي أولى اهتماما خاصا بالعلوم الطبية وتصنيفها ضمن العلوم، والبحث في أصولها، رغم أنه لم يكن من المتخصصين فيها، وهذا ما جعلنا نبحث في هذه الورقة العلمية عن نظرة ابن خلدون للطب والممارسات الطبية التي كانت سائدة في عصره، ونستشف آراءه حولها، ونعمل على قراءة خبايا هذا العلم وممارساته في ذلك العصر من خلال كتاباته.

2- تصنيف ابن خلدون للطب ضمن العلوم العقلية:

2-1- تصنيف العلوم عند ابن خلدون:

يعد علم التصنيف واحد من أهم المباحث العلمية التي تشهدها الأمم القديمة والحديثة، وقد عرفت ازدهارا بينا في الحضارة العربية الإسلامية، فإنجازات المسلمين في شتى العلوم والمعارف أبانت عن عبقريتهم وإبداعاتهم، إذ يعزى إليهم الفضل في تصنيف العلوم التي برعوا فيها، وترتيبها وهو ما يطلق عليه بعلم التصنيف، وذلك مع انطلاق الحركة العلمية في العالم الإسلامي،حيث صار علما قائما بذاته بدءا من القرن 2هـ على يد جابر بن حيان، غير أن معالمه لا تكون بينة جلية إلا مع أواخر القرن 3هـ بسبب تصنيف الكندي، ليصبح هذا العلم أكثر تداولا في القرنين الرابع والخامس هجريين على يد كل من الفارابي والخوارزمي وابن النديم وابن عبد البر، وابن حزم الأندلسي وابن سينا وإخوان الصفا، وفي القرنين السادس والسابع هجريين نجد تصنيفي كل من الغزالي والرازي[1]، في حين اتسم القرن الثامن هجري بتصنيف ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر، وتَعدُدُ المحاولات هذا مرجعه بسبب ما كان يستجد من تطورات وبحوث عكف عليها هؤلاء العلماء، وخلاصة آرائهم وأفكارهم وتوجهاتهم بسبب تنوع معارفهم وروافدهم الثقافية.

يعد ابن خلدون أحد أهم المفكرين العرب الذين اهتموا بتصنيف العلوم، واهتمامه هذا نابع من قناعته بان للعلم أهمية بالغة في حياة الإنسان كونه يتميز عن غيره من الكائنات الأخرى بفكره ذلك أن " الله سبحانه وتعالى ميز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فضله على الكائنات

[1] بو محمد علي بن أحمد بن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح إحسان عباس، ج4، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1983، ص7.

وشرفه"[1]، هذا الفكر "الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والاجتماع المهيء لذلك التعاون"[2]، مبينا أن العقل الإنساني على ثلاث أنواع : العقل التمييزي الذي به "يحصل منافعه ومعاشه ويدفع مضاره" [3]، فهو بذلك أولى مراحل العقل، والعقل التجريبي وهو العقل الذي اكتسب مجموعة من الآداب والمهارات والخبرات نتيجة تعامل الإنسان مع غيره من بني جنسه كون الإنسان مدني بطبعه، وهذه الخبرات والمهارات "تحصل بالتجربة شيئا فشيئا إلى أن تتم الفائدة منها"[4]، وعقل نظري "غاية إفادته تصور الوجود على ما هو عليه بأجناسه وفصوله وأسبابه وعلله"[5]، وبهذا العقل "وعن هذا الفكر تنشأ العلوم"[6].

إذ أن الإنسان حسب ابن خلدون يبدأ في التفكير بما حوله من موجودات لتحصيل ما لا يملكه من معارف ثم بالعودة إلى من سبقه بمعارف سواء عن طريق التجارب المتعددة أو تحصيلا مما جاء به الأنبياء، ثم "إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحد من الحقائق وينظر ما تعرف له... ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض تلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه... علما مخصوصا"[7]، وذلك ما يجعل الإنسان محيطا بعلم من العلوم ومتقنا له ومتمكنا منه، والإحاطة بأي علم من العلوم حسب ابن خلدون لا تتأتى إلا "في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله"[8].

ولأن العلوم وضروب المعرفة كثيرة فإن ابن خلدون كغيره من علماء المسلمين الذين سبقوه قد قام بتصنيف العلوم مركزا فيه على الإطار الزماني والمكاني الذي تتداول فيه تلك العلوم، فهو بذلك في تصنيفه ينفي النظرة الشمولية[9] وأن أي تصنيف يكون صالحا في أي زمان ومكان، إذ يحدد تصنيفه بالعصر الذي يعيشه فيذكر ذلك بقوله "أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد"[10]، ويربطها بإطارها المكاني بقوله

---

[1] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المقدمة، تح علي عبد الواحد وافي ، ج2، ط7، دار نهضة مصر للنشر، مصر، 2014، ص 916.

[2] نفس المصدر، ج2، ص 924.

[3] نفس المصدر، ج2، ص 917.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 916.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص917.

[6] نفس المصدر، ص924.

[7] نفس المصدر ، ص925.

[8] نفس المصدر، ص 925.

[9] يوسف عدار، واقعية تصنيف العلوم عند ابن خلدون ومدى إبرازه للتكامل بينها، مجلة البحوث العلمية للدراسات الإسلامية، ع 10، ص 57.

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2،ص930.

"العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما"[1]، فهو يعتبر أن تعلم العلوم وكثرة تداولها لا يكون إلا في المناطق الآهلة بالسكان والأمصار العامرة، وهو ما يؤكده في مواضع كثيرة، منها قوله: "إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة"[2].

ويعتمد تصنيف ابن خلدون للعلوم على التصنيف الثنائي الذي اعتمده علماء قبله، فيصنفها إلى عقلي ونقلي[3] وهذا في قوله "هي على صنفين صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه"[4]، وهو بذلك لم يحد عن التصنيف الإسلامي الذي ارتكز علي جعل العلوم ذات مصدرين اثنين إما العقل البشري أو النقل من الوحي كالقرآن أو السنة[5]، ويعرف ابن خلدون العلوم العقلية على أنها "العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها، حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها، من حيث هو إنسان ذو فكر"[6]، بينما يعتبر العلوم النقلية تلك العلوم المسندة "إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول"[7].

بالنسبة لابن خلدون فقد أدرج مجموعة من العلوم تحت مسمى العلوم النقلية (الشرعية) وهي علوم القرآن من التفسير والقراءات، وعلوم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الفرائض، وأصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات، وعلم الكلام، وعلم التصوف، وعلم تعبير الرؤيا، وأخرى تحت مسمى العلوم الطبيعية (العقلية) وهي علم الهيئة، وعلم المنطق، والطبيعيات، وعلم الفلاحة، وعلم الإلهيات، وعلم الكيمياء وإن كان من منكري هذا العلم متأثرا بفقهاء عصره.

2-2 مقارنة بين تصنيف ابن خلدون وغيره من العلماء المسلمين:

ما يلاحظ على تصنيفات العلماء المسلمين أنهم انقسموا إلى قسمين منهم من اعتمد التصنيف التقليدي الذي كان معروفا قديما وهو تصنيف فلسفي أرسطي وهم الفارابي وابن سينا وإخوان الصفا ومنهم من اعتمد تصنيفا آخر ارتكز على الجانب الشرعي وجعل العلوم الشرعية التي تعتبر القرآن الكريم والسنة الشريفة أساسها وغيرها من العلوم هي علوم مساعدة لها من أمثال الخوارزمي وابن حزم وابن خلدون، كما

[2] نفس المصدر، ص930.
[3] نفس المصدر، ص 929.
[4] يوسف عدار ، واقعية تصنيف العلوم، المرجع السابق، ص 58.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص930.
[6] نفس المصدر، ص 931.
[7] نفس المصدر، ص ص 930 – 931.
[8] نفس المصدر، ص 931.

نجد أن تصنيف ابن خلدون للعلوم القائم على ثنائية العقل والنقل باعتبارها وسائل للمعرفة يلتقي مع تصنيف ابن حزم الثنائي القائم على العلم النافع والعلم الضار على عكس التصانيف الثلاثية أو غيرها[1].

كما نجد أن تصنيف ابن خلدون الذي يعتبر البيئة الإسلامية منطلق العلوم وقاعدتها الأساسية، فيرى أن العلوم المعرفة للتكاليف الشرعية هي علوم تكون في أعلى سلم الترتيب ثم تندرج بعدها العلوم المساعدة لها، يلتقي فيه مع كثير من العلماء المسلمين الذين اعتبروا أن العلوم الدينية الشرعية هي أساس كل العلوم وأن العلوم التي تبحث في المسائل التي نهى الشرع عن الخوض فيها مثل: علوم السحر والطلمسات هي علوم منكرة باطلة تنشأ عنها مفاسد عند انتحالها وهو نفس رأي ابن خلدون[2].

كذلك فإن تصنيف ابن خلدون هذا قائم على الخصوصية والمشاركة إذ يعتبر أن العلوم النقلية (الشرعية) خاصة بالملة الإسلامية دون غيرها من الملل الأخرى فهي علوم إسلامية بحتة[3]، وإن كان يتوقع وجود ما يماثلها لدى باقي الملل الأخرى في المعمورة بينما العلوم العقلية فهي علوم إنسانية مشتركة بين كل الشعوب والأمم لأنها جزء من الطبيعة الإنسانية لاعتبار أن الإنسان كائن ذو فكر يفكر به فيهتدي إليها لذا فهي "طبيعية للإنسان ... غير مختصة بملة. بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها"[4]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الحاجة إليها خاصة بكل البشر بغض النظر عن دياناتهم ومعتقداتهم.

3-2 تصنيف العلوم الطبية عند ابن خلدون:

لقد صنف علماء كثيرون قبل ابن خلدون الطب ضمن العلوم العقلية فنجد ابن سينا جعل الطب والتنجيم والفراسة والتعبير والطلمسات والنيرنجات والكيمياء فروعا من الحكمة الطبيعية[5]، أما الخوارزمي فيضعه ضمن المقالة الثانية التي تضم الفلسفة والمنطق وعلم العدد والهندسة وعلوم النجوم والموسيقى والحيل والكيمياء[6]، وعلى نفس المنوال كان تصنيف ابن خلدون الذي يعتبر العلوم العقلية يجب أن تكون علوم يقينية تتجنب الخوض في مسائل يرفضها الشرع كعلم السحر والطلمسات بل فقط ما كان منها ذو فائدة للإنسان مثل علوم الحساب والهندسة وعلم الفلك (الهيئة) وغيرها مما لا يتعارض مع المبادئ الشرعية للدين الإسلامي ومن هذا المنطلق كان تصنيف ابن خلدون للعلوم الطبية ضمن العلوم العقلية

[1] يوسف عدار، واقعية تصنيف العلوم عند ابن خلدون، المرجع السابق، ص 60.

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص1094.

[3] ابن خلدون، المقدمة، نفس المصدر، ج2، ص ص931-932.

[4] ابن خلدون، المقدمة، نفس المصدر، ج32، ص 1006.

[5] ابن حزم، رسائل، ج4، ص17.

[6] نفس المصدر، ص21.

لأنها علوم تبحث فيما ينفع الإنسان فهدفها الأساسي هو " حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى"[1].

وتنقسم العلوم العقلية عند ابن خلدون والتي يطلق عليها أيضا اسم "علوم الفلسفة والحكمة"[2]إلى أربعة أقسام الأول هو علم المنطق والثاني العلم الإلهي ثم علم التعاليم ويشمل علم الهندسة وعلم الأرتماطيقي أو علم العدد أو الحساب وعلم الموسيقى وعلم الهيئة (الفلك)[3] إضافة طبعا إلى العلم الطبيعي (الطبيعيات) والذي يعرفه ابن خلدون على أنه علم "يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وإنسان ونبات ومعدن، وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك، وفي مبدأ الحركة للأجسام وهو النفس على تنوعها في الإنسان والحيوان والنبات "[4].

وهو حسب ترتيبه للعلوم يضع العلوم الطبيعية (الطبيعيات " في المرتبة الثانية بعد المنطق وذلك لأنه يرى أنها من العلوم الأكثر أهمية، وما مرتبتها هذه عنده إلا لذلك، ثم يصنف ابن خلدون العلوم المتفرعة عن كل علم من هذه العلوم المذكورة سابقا، لذلك فهو يعتبر أن من "فروع الطبيعيات الطب"[5].

3 - أقسام علم الطب وتخصصاته وطرق العلاج حسب ابن خلدون:

3 –1 ماهية الطب عند ابن خلدون:

أصل كلمة طب من طبب،" والطب: علاج الجسم والنفس، رجل طب وطبيب: عالم بالطب... والمُتَطَبِّبُ: الذي يتعاطى علم الطب ... والطبيب في الأصل: الحاذق بالأمور العارف بها، وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى"[6].

يعرّف ابن خلدون الطب على أنه "صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن"[7]، فهو إذن يعتبر الطب علم خاص بجسم الإنسان وظيفته أنه يعمل على حفظ صحة الإنسان من

---

[1]ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص875.

[2]نفس المصدر، ج3، ص1006.

[3]نفس المصدر، ج3، ص ص1006-1007.

[4]ابن خلدون ، المصدر السابق، ج3، ص1025.

[5]نفس المصدر، ص1007.

[6]ابن منظور، لسان العرب ، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر ، مادة طبب، ص2631.

[7]ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص1026.

جهة، ومن جهة أخرى العمل على مداواته حين اعتلاله بمختلف الأدوية والأغذية من جهة أخرى، وهذا طبعا بعد أن يعمل الطبيب على تحري ومعرفة أسباب الأمراض المختلفة التي تصيب كل عضو من أعضاء الجسم كل على حدى والبحث في الأدوية المناسبة لكل عضو ولكل مرض منها لأنه يرى أن ما قد يصيب العين فدواءه غير ما قد يصيب غيرها من الأعضاء ... وهو بهذا المفهوم لا يختلف عن العلماء المتخصصين في المجال الطبي مثل: ابن سينا وابن رشد وغيرهم، حيث نجد ابن سينا مثلا والذي يعتبر أن الطب هو أحد أهم أقسام الحكمة الطبيعية يرى أن " الغرض فيه معرفة مبادئ البدن الإنساني وأحواله من الصحة والمرض وأسبابها ودلائلها ليدفع المرض وتحفظ الصحة"[1].

ويرى ابن خلدون أن علم الطب - كغيره من العلوم العقلية - أنه ظل لقرون كثيرة من اختصاص أمم سابقة كان لها فضل كبير في الاعتناء بهذا العلم وهم خاصة الفرس والروم فيذكر ذلك بقوله: " واعلم أن أكثر من عني بها في الأجيال الذين عرفنا أخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام وهما فارس والروم، فكانت أسواق العلوم نافعة لديهم على ما بلغنا"[2]، ويذكر ابن خلدون بعض العلماء المسلمين الذين يعتبرهم من أبرز أطباء العالم الإسلامي والذين كان لهم باع كبير وخبرة جيدة في المجال ممن اختصوا بالشهرة والذكر مشرقا ومغربا من أمثال الرازي والمجوسي وابن سينا وابن زهر.

3 -2 أقسامه وتخصصاته:

يقسم ابن خلدون الطب إلى قسمين رئيسيين، طب يمكن أن يطلق عليه بالطب العلمي (طب الحضر) وآخر طب شعبي (طب البادية) فبالنسبة للطب العلمي هو الطب الذي يتداوله سكان الحواضر والأمصار ويعد بالنسبة لهم من الضروريات لما له من فائدة، فهو صناعة "ضرورية في المدن والأمصار لما عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل البرء من أمراضهم"[3]. حيث يبين ابن خلدون أن الطب قديما كانت له شهرة واسعة في مناطق دون غيرها بسبب أنها كانت من المدن والأمصار ودليله في ذلك الفرس حيث كان شأن الطب وسائر العلوم العقلية "عندهم عظيما ونطاقها متسعا لما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملك"[4].

---

[1] ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات،ط2، دار العربي، القاهرة، مصر، 1989، ص110.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص1007.

[3] نفس المصدر، ج2، ص875.

[4] المقدمة، المصدر السابق، ج3، ص1008.

وهذا الطب العلمي يكون من الجودة بما كان بسبب التمدن والتطور المشهود في الأمصار، إذ أنه "على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع والتأنق فيها حينئذ واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر"[1] فمهنة الطب حسب ابن خلدون "من الصنائع التي لا تستدعيها إلا الحضارة والترف"[2]، وهي في المدن والأمصار الموفورة تعد من أشرف المهن وأعلاها مرتبة إذ يرى أن الصنائع " الشريفة بالموضوع فكالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب "[3].

والطب العلمي في المدن إنما يتم تحصيله عن طريق التعليم، وتعلم الطب في الأمصار هو من العلوم المقصودة بذاتها وليس خدمة لغيرها من العلوم، فهو يرى أن " العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين، علوم مقصودة بالذات كالشرعيات .... وكالطبيعيات ... وعلوم هي آلية لهذه العلوم "[4]، من هذا المنطلق ينجد أن ابن خلدون هو من دعاة تعليم الطب تعليما يتحصل به الفرد على ملكة ذلك العلم ووجب أخذ الوقت الكافي للتحصيل العلمي الجيد كونه من المقاصد، فيكون اهتمام المتعلمين " بالعلوم المقصودة أكثر من وسائلها (آلياتها)، فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد"[5].

ويهتم ساكنة المدن والأمصار بدراسة الطب حتى أن الحكام أنفسهم بسبب حاجاتهم للأطباء فإنهم يهتمون ببناء المدارس والبيمارستانات للتعليم الطبي وقد يستدعيهم الأمر لطلب علم الطب إلى الرحلة أحيانا لأن الرحلة ضرورية "لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[6] على حد تعبير ابن خلدون "فصارت العلوم لذلك حضرية"[7].

أما القسم الثاني وهو الطب الشعبي فبالنسبة لابن خلدون فهو نوع من الطب يعرفه الناس في البادية والأرياف ويعتمدون فيه في غالب الأمر على التجربة التي يقوم بها بعض الأشخاص، فهو يكون نتاج ممارسة طبية مستمرة وتجارب متعددة يتوارثونها فيما بينهم لذلك فهو لا يعد حسبه طب قائم على العلم أو على خصائص الأدوية سواء كانت منفردة أو مركبة تعتمد على دراسات مسبقة ومقادير تكون مضبوطة. إنما على جملة تجارب سابقة قد تنفع وقد لا تنفع بسبب تغير الظروف والشروط التي صحت فيها تلك التجارب سابقا وهو ما يطلق عليه ابن خلدون " طب البادية ". فهو كما يذكر "طب يبنونه في غالب الأمر على

[1] ابن خدون، المصدر السابق، ج2، ص587.
[2] نفس المصدر، ج3، ص1027.
[3] نفس المصدر، ج2، ص864.
[4] نفس المصدر، ج3، ص1114.
[5] نفس المصدر، ج3، ص1115.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص1120.
[7] نفس المصدر، ص1037.

تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه وربما يصبح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج"[1].

ويعتبر ابن خلدون الطب النبوي جزءا من هذا النوع من الطب الذي يعتمد على التجربة إذ يرى أن "الطب المنقول عن الشرعيات (السنة النبوية) ... ليس من الوحي في شيء وإنما هو أمر كان عاديا للعرب"[2]، فهو يعتبر أن ما صدر عن النبي ﷺ هو نتيجة تجارب وخبرات العرب قديما وليس من الوحي في شيء لذلك فإن هذه الخبرات الطبية لا تعد من الشرائع إنما هي "من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل"[3]، ويستدل على ذلك بأن يعتبر أن النبي ﷺ "إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات"[4]، وهو رأي كثير من الباحثين الذين اعتبروا أن ذلك بمقتضى الخبرة الإنسانية والحذق والتجارب في الشؤون الدنيوية من تجارة أو زراعة أو تنظيم جيش أو تدبير حربي أو وصف دواء لمريض وما أشبه ذلك، فهي إذن نتيجة لمكتسبات وخصائص شخصية يستأنس بها وليست من الشرائع[5]، ولهذا يرى ابن خلدون أن الطب المأخوذ من الأحاديث النبوية الصحيحة يستعمل فقط "على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني... وليس ذلك في الطب المزاجي"[6]، مع أن ابن خلدون رغم ذلك استدل بحديث رسول الله ﷺ "المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وأصل كل داء البردة"[7]، للتأكيد على أن الجوع (الصوم) هو أصل كل الأدوية.

أما بالنسبة لتخصصات الطب فيورد ابن خلدون على أن لعلم الطب فروع كثيرة مثله مثل سائر العلوم الأخرى وقد ذكر ابن خلدون بعض فروع الطب منها: طب العين أو الكحالة، وعلم وظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا) وغيرها فيذكر ذلك بقوله "وربما أفردوا بعض الأعضاء بالكلام وجعلوه علمًا خاصا كالعين

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص1037.

[2] نفس المصدر ، ص1027.

[3] نفس المصدر ، ص 1027

[4] نفس المصدر ، ص 1027

[5] مصطفى سعيد الخن ، الكافي الوافي في أصول الفقه الاسلامي، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000م، ص 122.

[6] ابن خلدون ، المصدر السابق، ج3، ص 1027.

[7] هذا حديث موضوع وقد أخذه الواضعون من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب كما يذكره العلماء، تهميش رقم 1271، المقدمة، ج2، ص 875.

وعللها وأكحالها، وكذلك ألحقوا بالفن من منافع الأعضاء ومعناها المنفعة التي لأجلها خلق كل عضو من أعضاء البدن الحيواني ... جعلوه من لواحقه وتوابعه"[1].

والتوليد الذي لا يذكره كفرع مباشر بالطب، لكنه جزء منه إذ يورده مع الطب ويذكر في مواضع كثيرة علاقته المباشرة بالطب فمثلا في مقارنته بين القابلات والطبيب في قوله: " وهذه كلها أدواء نجد هؤلاء القوابل أبصر بدوائها ... من الطبيب الماهر "[2]، أو في جعل التوليد هو أولى مراحل طب البدن لأن بدن الإنسان حسب قوله " إنما هو بدن إنساني بالقوة فقط، فإذا جاوز الفصال صار بدنا إنسانيا بالفعل فكانت حاجته حينئذ إلى الطبيب أشد"[3]، ويبدو أنه لم يلحقه مباشرة بالطب لأنه حسب رأيه من اختصاص النساء، لأن وظيفة الطب – كما كانت سائدة في عصره – هي من اختصاص الرجال، وقَلّ أن تمارسها النساء، ويظهر هذا في قوله "وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر لما أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسمى القائمة على ذلك منهن بالقابلة"[4]، ويقدم ابن خلدون تعريفا دقيقا لطب التوليد، لا يجانب تعريف أشهر أطباء عصره حيث يقول في ذلك على صناعة التوليد: "وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك ثم ما يصلحه بعد الخروج"[5].

3 -3 طرق العلاج حسب ابن خلدون:

أما بالنسبة لطرق العلاج فقد أورد ابن خلدون مجموعة من الممارسات الطبية رغم قلتها لكنها تبرز مدى اطلاعه على هذا العلم وممارسته، فإلى جانب ذكره لعملية التشخيص التي بها يدرك الطبيب علة المريض بقوله: "بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن"[6]، فإن طرق العلاج حسبه يمكن تقسيمها إلى ثلاث أقسام وهي:

- **التدبير والتغذية:** إذ يجب لعلاج المريض تنظيم الغذاء وانتقاء ما ينفع الجسم من أنواع الأطعمة المناسبة فهو يعتبر أن "أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية"[7]، مستدلا على ذلك بحديث رسول الله ﷺ في قوله المعدة " بيت الداء والحمية رأس الدواء، وأصل كل داء البردة "[8]، ويقدم التفسير العلمي حسبه

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص1026.

[2] نفس المصدر، ج2،ص ص873-874.

[3] نفس المصدر، ص874.

[4] نفس المصدر، ص872.

[5] ابن خلدون، نفس المصدر، ج2، ص872.

[6] نفس المصدر ، ج3، ص 1026.

[7] نفس المصدر ، ص 875.

[8] حديث موضوع وقد أخذه الواضعون من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، المقدمة، ج2، ص875.

لذلك بقوله "فالحمية الجوع وهو الاحتماء من الطعام، والمعنى أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الأدوية، وما قوله "أصل كل داء البردة" فمعنى البردة إدخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتم هضم الأول"[1]، ثم يقدم شرحا دقيقا يفسر به كيف أن الجوع يكون دواء وأن التخمة (إدخال الطعام على الطعام) أو البردة داء[2]، ويرى أن التدبير في الغذاء بالصوم أو قطعه أحيانا على المريض مدة من الزمن يكون فيه شفاء له بقوله: "وهذه الحميات علاجها بقطع الغذاء عن المريض أسابيع معلومة ثم بتناوله الأغذية الملائمة حتى يتم برؤه"[3].

- **مرحلة الأدوية:** ويستعمل فيها أدوية شافية بعضها مفرد والبعض الآخر مركب، لمرض ما تحدده صفاته الجسمية وسنه وجنسه، إذ يقول ابن خلدون في معرض حديثه عن مهنة الطب ووظائف الطبيب: "فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أو لا، في السجية والفضلات والنبض"[4].

- **مرحلة أعمال اليد:** كالمسد والجراحة والكي والتشريح وغيرها، ويظهر ذلك في غير ما موضع، فمثلا في خضم كلامه عن طب التوليد يشير إلى أعمال القابلة باليد كالمسد فيقول: "فتكون القابلة معينة على ذلك بعض الشيء بغمز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من الأسافل تساوق بذلك فعل الدافعة في إخراج الجنين"[5]،أو في قوله أيضا "فتتناوله القابلة بالغمز والإصلاح حتى يرجع كل عضو إلى شكله الطبيعي ووضعه المقدر له، ويرتد خلقه سويا"[6]، أو في موضع آخر قوله "تراجع النفساء وتحاذيها بالغمز والملاينة لخروج أغشية الجنين"[7]، كذلك بالنسبة للجراحة حيث نجد قوله "فتقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان الفضلة ولا تضر بمعاه ولا برحم أمه"[8]، والكي الذي يظهر في قوله "ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي"[9].

---

[2]ابن خلدون، المقدمة ، ج2، ص 876.
[3]نفس المصدر، ج2، ص 876.
[4]نفس المصدر، ج2 ص 877.
[5]نفس المصدر ،ج3، ص 1026.
[6]نفس المصدر ، ج2، ص 872.
[7]ابن خلدون، المصدر السابق ، ج2، ص 873.
[8]نفس المصدر ، ص 873.
[1]ابن خلدون، نفس المصدر ، ج2، ص 873.
[2]نفس المصدر ،ج2، ص 873.

ومن خلال طرق العلاج التي أوردها ابن خلدون نجد أنها نفس الطرق التي أوردها ابن سينا الطبيب المتخصص في ذلك[1]، ما يجعل ابن خلدون - من خلال آراءه هذه – يظهر بمظهر الطبيب البارع الحاذق الذي قدم وصفا دقيقا لكل مراحل وطرق العلاج المتبعة في ذلك العصر.

4 - الحاجة للطب والممارسة الطبية حسب ابن خلدون:

لقد وضع ابن خلدون فصلا خاصا في مقدمته أفرده للحديث عن حاجة الناس لعلم الطب سماه "فصل في صناعة الطب وأنها محتاج إليها في الحواضر والأمصار دون البادية "[2]، فحسب ابن خلدون أن مهنة الطب تكون الحاجة إليها في المدن والأمصار العامرة أكثر منها في المناطق النائية مثل البوادي ويقدم لنظرته هذه أسبابا يرى أنها الدافعة لتكون حاجة الأمصار للطب أكثر من البوادي، فهو أولا يرى أن أهل المدن أكثر من البوادي ملكة علمية، بسبب توفر التعليم عندهم ولأن العلم يجب أن يؤخذ من معلم أو شيخ وأن الأمصار والمدن الكثيرة العمران والراسخة في الحضارة تكون أكثر الأمصار علمًا ومنها علم الطب، ويظهر ذلك في قوله "فصارت العلوم بذلك حضرية"[3] هذا من جهة، و من جهة أخرى يُعزي الحاجة إلى الطب كعلم وممارسة في المدن والحواضر إلى كون أهل المدن هم أكثر الناس مرضًا ويظهر ذلك في قوله "ووقوع هذه الأمراض من أهل الحضر والأمصار أكثر"[4] لذلك تكون حاجتهم للطب أكثر بقوله "فكان وقوع الأمراض كثيرا في المدن والأمصار، وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم إلى هذه الصناعة"[5].

ويقدم ابن خلدون أسبابا للأمراض التي تكثر لدى سكان الحضر والأمصار أكثر من سكان البوادي ومنها كثرة مأكل أهل المدن وعدم الاقتصار على النوع الواحد من الطعام، وأكلهم في أوقات كثيرة وغير محددة، إضافة إلى كثرة التوابل والبقول الرطبة واليابسة التي تطبخ في الطعام ما يجعل للغذاء مزاج غريب لا يتلاءم مع قدرات البدن وأعضائه فيسبب الأمراض[6].

كذلك بسبب كثرة العفن في الهواء الذي في المدن المكتظة بسبب كثرة الفضلات التي تنتج عن ذلك الاكتظاظ، وملامسة الهواء لها فيصبح مصدرا للأمراض التنفسية، ويظهر ذلك في قوله "ثم إن الأهوية

---

[3]ابن سبنا أبو علي الحسين بن علي، القانون في الطب، تق محمد أمين الضناوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، ص 267.

[2]ابن خلدون، المصدر السابق،، ج2، ص875.

[3]نفس المصدر، ج3، ص1123.

[4]نفس المصدر، ج2، ص877.

[5]نفس المصدر، ص878.

[1]ابن خلدون، نفس المصدر السابق، ج2، ص 878.

في الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات "[1]، أيضا بسبب الركون إلى السكون والجلوس الطويل وعدم الحركة لدى سكان المدن لأن أعمالهم لا تستدعي منهم كثرة الحركة، وهي ما أشار إليها بعبارة الرياضة في قوله "الرياضة مفقودة لأهل الأمصار إذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا، ولا تؤثر فيهم أثرا، فكان وقوع الأمراض كثيرا في المدن والأمصار"[2].

وعلى العكس تمامًا فإن أهل البادية لا تكون حاجتهم للطب والأطباء كبيرة، أولا بسبب قلة الأمراض لديهم ويرجع ابن خلدون ذلك إلى قلة مأكولهم في الغالب، لأن "الجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة"، وعدم استعمالهم للمواد الدسمة لأنها لا تتوفر لديهم بسبب بعدهم عن الأسواق، وتجنبهم الطبخ بالتوابل الكثيرة كما يفعل أهل المدن والأمصار "فيتناولون أغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها"، وهو ما يجعل غذائهم ملائما أكثر لصحة البدن والأعضاء، فتقل بذلك الأمراض لديهم،

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الهواء في البادية - على عكس المدن – يكون نظيفا قليل العفن، بسبب العدد القليل للساكنة في حالة البدو الذين يستقرون كجماعات في مناطق محددة، أما في حالة البدو الذين يتنقلون من منطقة لأخرى بحثا عن المراعي والمناطق الخصبة ومصادر المياه لماشيتهم وإبلهم، فإن تغير الهواء ينعدم معه العفن فيكون هواء صحيا أكثر، كذلك يعتبر ابن خلدون الرياضة أحد أهم أسباب الصحة، وهي حسبه الطريقة المثلى للحفاظ عليها، لذلك يعزي صحة البدو وعدم إصابتهم بالأمراض إليها فهم يتميزون بكثرة الحركة من ركوب الخيل والجمال المتواصل، والركض الكثير بحثا عن الطرائد أثناء الصيد من أجل الغذاء، وكثرة التنقل لطلب حاجاتهم سواء أراضي أو مياه أو أسواق أو غيرها، ومن ثم تكون بذلك " أمزجتهم أصلح وأبعد من الأمراض فتقل حاجتهم إلى الطب"[3]، وتنعدم.

وثانيا بسبب عدم وجود معاش للطبيب في البادية لعدم سكناهم – في أغلب الأحيان – منطقة واحدة، فتقل حاجتهم له، لأنه حسب ابن خلدون "لو احتيج إليه لوجد، لأنه يكون له بذلك في البدو معاش يدعوه لسكناه"[4].

5 - الخاتمة:

في ختام هذا العرض تتضح لنا مجموعة من النقاط حول الموضوع يمكن تلخيصها فيما يلي: - يعد تصنيف ابن خلدون للعلوم تصنيفا إسلاميا بامتياز ، فهو لا يختلف فيه عمن سبقه من العلماء في العالم الإسلامي خاصة الذين لديهم النظرة الثنائية في التصنيف إلى عقلي ونقلي أو شرعي وإنساني، أيضا نجد أن

[1] نفس المصدر، ص878.

[3] نفس المصدر ، ص 878.

[3] نفس المصدر، ص878.

[4] نفس المصدر، ص 878.

تصنيف ابن خلدون هذا قائم على مبدأ الخصوصية والمشاركة، فالعلوم النقلية (الشرعية) خاصة بالملة الإسلامية دون غيرها، أما العلوم العقلية (الحكمية) تتشارك فيها كل الأمم، كذلك نجد أن تعريف ابن خلدون للطب قائم على ثنائية حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى، ويصنفه ضمن العلوم العقلية كأحد فروع العلوم الطبيعية، يرى ابن خلدون أن للطب فروع، ويعتبر طب التوليد أحدها لكنه يخصه بالذكر والشرح باعتباره أولى العلوم الطبية التي يحتاج إليها الإنسان في بدايات حياته لتعلق الأمر بمولده، تفصيل ابن خلدون لطرق العلاج المعتمدة في عصره وشرحه لمراحل الغذاء داخل جسم الإنسان، بنظرة الطبيب المتمكن دليل على سعة إطلاعه على الكتب الطبية، وتمكنه – إلى حد ما – من تلك العلوم، يرى ابن خلدون أن الإنسان يكون أحوج إلى علم الطب وممارساته، كلما كان حضريا، فإن سكن البوادي قلت حاجته له لقلة أمراضه مقارنة بسكنى الأمصار.

قائمة المصادروالمراجع:

- **الكتب:**

- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، جزء2، طبعة7، دار نهضة مصر للنشر، مصر، 2014 .

- ابن منظور، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر .

- ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات،طبعة2 ، دار العربي، القاهرة، مصر، 1989 م .

- ابن سبنا أبو علي الحسين بن علي، القانون في الطب، تق محمد أمين الضناوي، جزء1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م

- ابو محمد علي بن أحمد بن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، جزء4، طبعة1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، م1983 .

- مصطفى سعيد الخن ، الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي، طبعة1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000م

- **المقالات:**

- يوسف عدار، واقعية تصنيف العلوم عند ابن خلدون ومدى إبرازه للتكامل بينها، مجلة البحوث العلمية للدراسات الإسلامية، عدد 10 .

فهرس المحتويات

الرقم	عنوان المداخلة	الصفحة
01	عوامل الازدهار والتفوق الطبي في الحضارة الأندلسية د،مريم سكاكو، جامعة الدكتور مولاي الطاهر- سعيدة (الجزائر)	20 - 10
02	مجالس العلم وازدهار الطب في عراق العجم في القرن الرابع الهجري د. أحمد عبد الباقي حسين النقيرة دراسات وبحوث الحضارات – شعبة الحضارة الإسلامية في آسيا	34 - 21
03	الصيدلة الأندلسية خلال القرنين 4-5 هـ / 10-11 م، عصر ابن وافد الطليطلي. ط د. حسين فهيس، جامعة المدية (الجزائر)	46 - 35
04	أساليب التداوي في تاريخ المغرب قبل انتشار البنيات الحديث محمد أبرهموش، باحث في التاريخ، جامعة ابن طفيل، (المغرب)	64 - 47
05	الطّب والامبريالية الفرنسية في شمال إفريقيا – دراسة مقارنة بين الجزائر والمغرب الأقصى-. د. مصطفى عتيقة. جامعة ابن خلدون تيارت. الجزائر	75 - 65
06	تأثير الثقافة العربية على بدايات الحضارة الأوروبية الحديثة تقويم الصحة لابن بطلان (ت 1064 م) –أنموذجا- د. حكيم لونيسي الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة (السعودية)	88 - 76
07	أخلاقيات ممارسة مهنة التطبيب عند عبد المالك بن زهر د. دكار محمد أمين ،جامعة سعيدة (الجزائر)	92 - 89
08	الطب لدى الصفدي(ت 764هـ) في كتابه الوافي بالوفيات :دراسة كمية أ.د. ناصر عبد الرزاق عبد الرحمن، جامعة الموصل (العراق) أ. أمال رابية، جامعة الجزائر01 (الجزائر)	106 - 93
09	الجهود والنظريات الطبية القديمة ودورها في تطور الأبحاث الطبّية المعاصرة - مقاربة تطبيقية في العصر الذهبي - ط.د عبد القادر سماعيل، جامعة وهران 01 (الجزائر)	124 -107
10	المؤلفات الطبية لعلماء أهل الذمة بمدينة القيروان 50هـ- 444هـ/ 670م- 1052م ط.د. سنوسي محمد، جامعة بشار (الجزائر)	139 - 125
11	مساهمات يهود الغرب الإسلامي في العلوم الطبية د.عبد الصمد حمزة، جامعة المدية (الجزائر)	151 - 140

12	الآليات العلاجية ببلاد الغرب الاسلامي في العصر الوسيط "الفصد والكي أنموذجا" سميرة نميش، جامعة خنشلة (الجزائر)	160 - 152
13	وباء الطاعون في بايلك الغرب (1515-1792م) الأسباب والإجراءات الطبية المتّخذة د. هاشمي بن إبراهيم، جامعة معسكر(الجزائر)	170 - 161
14	طرق وأساليب التداوي والتطبيب بالأندلس خلال العصر المرابطي د. طهير عبد الكريم، جامعة الشلف (الجزائر)	190 - 171
15	إسهامات غير المسلمين في مجال الطب في الأندلس. د. برحو بوسيف، جامعة ابن خلدون -تيارت، الجزائر	203 - 191
16	الطب والممارسة الطبية حسب ابن خلدون ط.د مشري حياة ، جامعة باتنة 01 (الجزائر)	217 - 204

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

المؤتمر الدولي العلمي:

الطب والخدمات الصحية بالعالم الإسلامي عبر العصور

Medicine and health services in the Islamic world through the ages

أ.عمار شرعان، رئيس المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا

التنسيق والنشر: د.حنان طرشان

رقم تسجيل الكتاب

VR .3383-6812. B

يونيو/حزيران2023